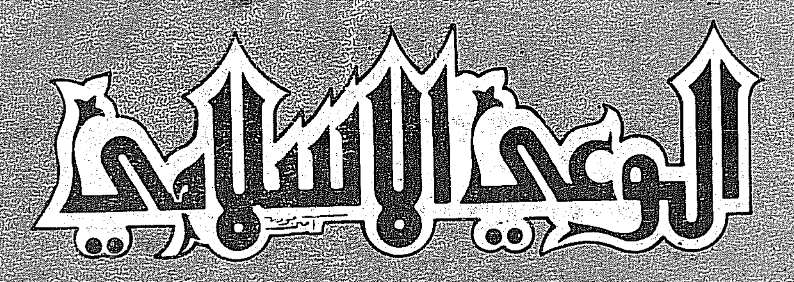


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٨ - صفر ١٤٠٣هـ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٢م

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا

رواه مسلم

قال تعالى:

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا
أن الله مع المتقين

محمد طوني

الآية ١٢٣ من سورة التوبة



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢١٨ - صفر ١٤٠٣هـ نوفمبر ديسمبر ١٩٨٢م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٢٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



القى صاحب السمو امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح كلمة الافتتاح في الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الخامس لمجلس الامة الكويتي . وقد أشار فيها الى الاحداث الجسام التي شهدتها الارض العربية : من مذابح جماعية قامت بها اسرائيل وعملاؤها ، وملاحقة لأبناء الكويت تمت على أيد آثمة ، وحروب داخلية ومؤامرات واغتيالات . وعلى الصعيد الداخلي للكويت تضمنت كلمة الافتتاح اهتماما بما حدث من اندفاع غير محسوب نحو الكسب السريع .
وفيما يلي نص الكلمة :

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ، بعون من الله سبحانه نفتتح الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الخامس لمجلس الامة .

اخواني :

بين لقائنا هذا ولقائنا السابق شهدت ارضنا العربية احداثا جساما منها المذابح الجماعية التي ارتكبتها اسرائيل وعملاؤها ضد المدنيين العزل الى ايد اثمة لاحقت ابناء الكويت الذين يحملون رسالتها الى العالم اخاء وسلاما وتعاونا فمنهم من نجا ومنهم من اختاره الله سبحانه الى رحابه شهيدا . وكان العرب والمسلمين لم يكفهم ما يلقونه من اعدائهم فاضافوا اليه الحروب



الداخلية والمؤامرات والاغتيال .
على الصعيد الداخلي حدث اندفاع غير محسوب نحو الكسب السريع تحت مظلة الاقتصاد الحر الزمنا ان نتخذ موقفا يجمع بين حماية المجتمع والاقتصاد الوطني في نور من قولـه تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » وقوله تعالى « ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ».
اخواني :
ان الاعباء التي تحملها الكويت داخليا وخارجيا تزداد كثافة وتشابكا مع تطور الحياة والاحداث في منطقتنا والعالم من حولنا .
واول من يعيننا على حسن القيام بها ايماننا بالله ربنا،منه سبحانه وتعالى العون والهدى . وندعوه دائما قائلين « إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم ».
وانني اذ اثني على التعاون القائم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لمقابلة هذه المسؤوليات . ادعو الله سبحانه وتعالى ان يزيد هذا التعاون قوة وامتدادا . لنجعل غدنا اكثر ازدهارا من حاضرنا . مهتدين بقوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع اجر من احسن عملا ».
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الوزارة في

في ذكرى الهجرة..

القى السيد محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت كلمة في ذكرى الهجرة المشرفة ، وذلك في احتفال اقامته الوزارة في هذه المناسبة

وقد استهل السيد الوكيل كلمته بالاشارة الى العقبات والمصاعب التي واجهت الدعوة الى الله في مكة المكرمة . ثم تحدث عن هدف الهجرة ، وما يستخلص منها من دروس لتعزيز الصحوة الاسلامية المعاصرة . والمح الى ابرز تلك الدروس وهو الاخذ بالاسباب بالتخطيط والاعداد مقرونا بالاعتماد على الله . واكد ان الكوارث التي تصيب امتنا الان ترجع الى افتراق الكلمة ، ودعا الى العودة الى الاسلام سلوكا ومنهجا للحياة وفي شؤونها كافة . وانهى كلمته بالتذكير بان الاسلام دين القوة ، وليس يجدر بنا ان نكتفي بالشكوى والضيق ، او ان نركن لليأس على حين تعاني الامة من النكبات ، حتى لقد صار الجهاد واجبا على كل مسلم ومسلمة .

وفيما يلي نص الكلمة :

الاحتفال بالهجرة

دعوة إلى الجهاد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد و آله وصحبه ومن اتبع هداه . وبعد . فكلما أطل على المسلمين عام هجري جديد تجددت معاني ذكرى عزيزة علينا . ذكرى خالدة الأثر في تاريخنا ونهج حياتنا دينا ودولة . انها هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بعد ان تشبع جوها بعدائه ومعارضة دعوته . وتواصى اهلها بسد السبل أمام انتشارها بينهم او في البيئات المجاورة . وفي ذلك الوقت نفسه أفاض الله على المدينة واهلها بركات العزم الصراح على احتضان الدعوة وبذل الطاعة للداعي الى الله على بصيرة . عازفين عن دين الآباء وتقاليد الأجداد . رابطين مصيرهم بمستقبل الاسلام رغم الظروف العصيبة المحيطة به . لا حافز لهم الا الثقة بوعد الله لرسوله والنهوض لنصرة الحق وأهله .

لقد هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام مع ثلة من السابقين الأولى لا بحثا عن معيشة افضل ولا سعيا الى مغانم لياخذوها . ولا رحيلا عن ارض نفدت خيراتها . فقد كانت مكة مهوى الافئدة ومركز جزيرة العرب . وخرج المهاجرون عنها وهي احب البلاد الى نفوسهم واقدس البقاع في الأرض . وكان

الهدف الوحيد لرعيل الهجرة الخروج الى ارض الله الواسعة ليهاجروا فيها ويعبدوا ربهم آمنين مع قوم (تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكان الهدف الذي ارتضاه الله لرسوله اقامة اول دولة للدين الحنيف بعد ان اشتاقت الأرض الى هدى الأنبياء واشتد ظمؤها الى وحي السماء .

لقد رافق حادثة الهجرة من مظاهر الأخذ بالأسباب ومن فيض العناية الالهية ما سدد الخطى وأنجح القصد ورسم السبل التي يجب أن يسلكها المسلمون أفرادا وجماعات لاعادة مجد الاسلام وعزة المسلمين ، بالتخطيط المدروس والاعداد المناسب مقرونا ذلك كله بما تمليه على المسلم عقيدته من الاعتماد المطلق على الله والثقة بوعده في نيل احدى الحسنيين : النصر المؤزر ، او الشهادة .

واننا بأشد الحاجة الى استحضار هذه الدروس المستفادة من الهجرة لتكون نبراسا لنا في تعزيز الصحوة الاسلامية وتأصيلها واحاطتها بما ينبغي من الفهم والهيمنة الرشيدة لتكون - كما يقولون - مقامات راسخة لا أحوالا متغيرة ، فان أحب العمل إلى الله أدومه وان قل ، ولا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق ، وهي الجديرة بالقيادة والريادة الى سواء السبيل .

ان هذه الذكرى تمر على المسلمين وهم مازالوا يخوضون امتحانا عسيرا بعد أن تكاثرت عليهم الكوارث المفجعة التي يكاد جديدها ينسي القديم .. وقد دلت هذه النوازل بما لا يدع مجالا للشك ، على ان أسبابها افتراق الكلمة واتباع السبل التي تفرق بيننا او تبعدنا عن صراط الله المستقيم ، وأقل ما يجب علينا ألا نحرم من الحوافز الداعية الى جمع الشمل وتوحيد الكلمة والنهوض بما تمليه الاخوة الاسلامية من التعاون والتكافل ، (انما المؤمنون اخوة) و« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

لقد كان في الهجرة الى المدينة فرصة للاحتكاك باليهود والاختبار لمن اختاروا طريق النفاق والارجاف والتخذيل .. وقد تمكن المسلمون بوحدة الصف أن يخيبوا من كاد لهم من المنافقين ، أما اليهود فقد ظلوا طوال حياة الدولة الاسلامية - كما وصفهم الله - (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا) - ولم تجد فيهم شتى المواثيق والعهود ولا ما تفيؤوه من ظلال الحماية الاسلامية لأهل الأديان بتركهم وما يدينون ، ولم ينفع الا استمرار لواء الجهاد خفاقا فهو سنام الاسلام والسبيل لنكون

العزة ـ حقيقة واقعا ـ لله ولرسوله وللمؤمنين .

هذا ، وان الفلاح والنجاح هو في العودة الى الاسلام سلوكا ومنهجا ، دستورا لحياتنا ، وقواما لاقتصادنا وأمانا لمجتمعنا ، ونبعا لثقافتنا ، ولا صلاح لهذه الأمة في شتى عهودها وبقاعها الا بما صلح به أولها ، فان مبادىء الاسلام اذا حملت الى الناس بالدعوة الحكيمة والتطبيق الرشيد كان فيها راحة الانسانية المتعبة التي تلهث وراء مبادىء لم تحقق للبشرية ما تصبو اليه بل كشفت الحاجة الى الانضواء في دين الله الذي اكمله للناس ، ورضيه لهم ، واتم عليهم به النعمة ، فجزى الله عنا صاحب الذكرى خير ما جزى رسولا عن أمته .

ايها الاخوة المؤمنون ،،

ونحن نرقب في الافق هلال المحرم هذه الليلة تودع أمتنا من عمرها عاما مر عليها ثقيلا بالاحداث والمحن ارتفع في حسابه عدد الضحايا والشهداء ، فخلف الآلام والجراح وعصر الحزن كل القلوب وهزت بشاعة العدوان المشاعر في شرق الدنيا وغربها .

والاسلام هو دين القوة يأبى ان نستقبل عامنا الجديد بالشكوى والضيق ، يأبى ان نواجهه باليأس وتنكيس الرأس ، بل يوجب الجهاد في الظروف الحاضرة على كل مسلم ومسلمة حتى نحرر الارض ونطهر المقدسات ونثأر لشهدائنا الابرار .

وكيف لا والارض أرضنا والحق حقنا ومن المستحيل ان يباد شعب يستحق الحياة وان يضيع حق سلبه الطغاة .

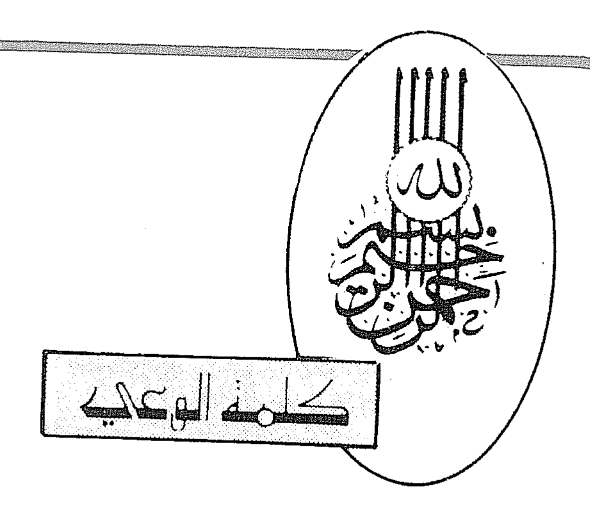
تعلمنا الهجرة ان نواجه الاخطار في قوة واستعلاء وان نستعلي بالايمان على الآلام والجراح وان نوحد الصف وننسى الخلافات ، ونقدم للمعركة اكرم زاد واعظم تضحية لنخرج من المحنة برؤوس مرفوعة وجهاد مشكور ، ونعلم الاعداء ان الحق امضى سلاح وان خط الطغيان خاسر وأنه على الباغي تدور الدوائر .

(وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

ايها الاخوة بالعودة الى كتاب الله والتمسك بسنة رسوله نستحق بشارة القرآن الكريم (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) .

هذا وان وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية لتنتهز هذه الفرصة فتبعث بخالص التهنئة الى سمو امير البلاد وسمو ولي عهده الامين والشعب الكويتي الكريم والأمة الاسلامية وكلها امل ورجاء ان يعيد الله سبحانه هذه الذكرى على امة الاسلام وهي اكثر تمسكا بكتاب ربها وسنة نبيها وقد توحدت الصفوف واجتمع الشمل وتحقق لها النصر الكريم والفوز المبين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،،



أدب الدعوة إلى الله

غاية الاسلام أن يحيا الناس حياة طيبة ، ويتمتعوا بمدينة فاضلة ، ثم يفوزوا في الآخرة بسعادة خالدة .

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن الدعوة إلى الاسلام لا يثبت أصلها ، وتمتد فروعها ، وتؤتي ثمرها الطيب ، إلا إذا قامت على أساس الحجة والبرهان ، وذهب بها الداعي كل مذهب حكيم ، وأخذ فيها بكل أدب جميل ..

وفي شواهد هذه المعاني يقول الله تعالى : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** .

ويقول سبحانه : **(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)**.

وكذلك كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام . فكان يراعي في تبليغها الطرق الكفيلة . بنجاحها ، فيورد لكل مقام مقالا يناسبه ، ويكسو كل معنى من المعاني ثوبا يليق به ، ويخاطب كل طائفة على قدر عقولهم ، ويلقاهم بالاسلوب الذي هو أدعى إلى إقبالهم ، وأسرع أثرا في صرفهم عن غوايتهم .

ومن طرق دعوته صلى الله عليه وسلم التذكير بما يصير اليه المتقون من عز وسلامة ، وما يلحق المجرمين من خزى ومهانة .. وللبشارة والانذار أثر كبير في حث المؤمنين على الحسنات وردعهم عن السيئات ، ودعوة غير المؤمنين إلى النظر والتأمل .. وإذا نظر غير المؤمن بروية أدرك أن دعوة الاسلام حق فيفسح لها صدره ، ويمد إليها عنقه مذعنا .

ومن مظاهر دعوته « صلى الله عليه وسلم » إرسال الحكم البالغة .

والكتاب العزيز والحديث الشريف مليئان بالحكم السامية التي تدل المتأمل على أن دعوة الاسلام قول فصل وما هي بالهزل

وما من حكمة نافعة يذكرها الناس لشاعر أو خطيب بالأعجاب إلا وكان معنى تلك الحكمة مقتبسا من كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

ومن أدب دعوته أخذه فيها بالصبر والرفق والأناة . يعرضها في لين من القول ، ويقابل الجاهل بالاعراض والمسيء بالعفو أو الاحسان . وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ في التأديب والزجر عما لا ينبغي مأخذاً لطيفا حتى أنه لا يوجه الانكار إلى رجل بعينه ما وجد في الموعظة العامة كفاية ، قالت عائشة « رضي الله عنها » : « صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغه ذلك ، فخطب ، فحمد الله ثم قال : « ما بال

أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فو الله إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية »

ومن حكمته « صلى الله عليه وسلم » في الدعوة انه لا يجعل الوعظ على الناس ركاما بل كان يتحرى بالموعظة وقت حاجتهم إليها ، أو وقت نشاطهم لسماعها .

قال عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » لأصحابه : « إني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا ».

ومن بديع أسلوبه « صلى الله عليه وسلم » في إجابة السائلين أنه يأتي بالجواب في صورة قاعدة عامة . كان رجل من محارب يؤذيه أيام كان يعرض نفسه على القبائل داعياً إلى الله ، ثم جاء ذلك الرجل في وفد محارب مسلما وذكَّر رسول الله بما كان يلقاه به من الأذى ، وقال له : استغفر لي . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الاسلام يجب ما قبله ». ولو قال في الجواب للرجل : « غفر الله لك » لبلغ السائل مرامه . ولكنه « صلى الله عليه وسلم » أورد الجواب في صورة يؤخذ منها غفران كل ذنب صدر من السائل قبل الإسلام ، ويؤخذ منها أن هذه المغفرة عامة لا تختص به ، بل تحصل لكل من ارتكب آثاما في عهد الكفر ، ثم دخل في حظيرة الاسلام .

وكان « صلى الله عليه وسلم » في دعوته يخاطب الناس بما تحتمله عقولهم . وأرشد إلى هذا الأدب بقوله : « حدثوا الناس بما يعرفون »

وكان من حكمته في الدعوة التصريح بعلل كثير من الأحكام والآداب أو الاشارة إليها . وذلك مما يزيد القلوب إيمانا بصدقها ، وينادي بأنها دعوة قائمة على رعاية المصالح وقطع دابر الفساد .
سأله رجل أأستأذن على أمي قال : « نعم » قال : إني معها في البيت قال : « استأذن عليها » قال إني خادمها قال : « إستأذن عليها » أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا قال : « إستأذن عليها ».

فعلّة أدب الاستئذان الخوف من أن يكون صاحب المنزل في وضع يكره أن يراه عليه أحد من الناس .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وضعا هو من أشد ما يكره الانسان أن يشهده عليه أحد ، وهو وضع تجرده من الثياب ليقنع السائل بوجوب الاستئذان ، ويمنعه من أن يراجع في الأمر مرة أخرى .

ومن حكمه في الدعوة أنه كان يعيد الجملة ثلاثا ، كما قال « صلى الله عليه وسلم » « والله لا يؤمن » « والله لا يؤمن » « والله لا يؤمن » قيل من يا رسول الله قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه »

وكان « صلى الله عليه وسلم » يقرن القول ببعض إشارات حسية تناسب المعنى ليزداد جلاء ، ويأخذ بها في النفس صورة قوية . ومثال هذا قوله « صلى الله عليه وسلم » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه .

ومن طرق دعوته « صلى الله عليه وسلم » افتتاحه الكلام بسؤال المخاطبين عن الشيء الذي يريد تعليمهم إياه لماضي الاستفهام من تهيئة النفوس للاصغاء إلى ما يقول . فيقع منها موقع القبول . قال معاذ بن جبل « رضي الله عنه » بينما أنا رديف رسول الله ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل قال « يا معاذ قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك قال : هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا »

تلك قبسات من أدب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في تبليغ دعوته وهي تفصح عن بالغ حكمته ونجاح منهجه ، مما كان سببا في الاقناع والقبول .

وحرى بالدعاة الى الله أن يقتدوا بهذا الأدب العالي ، وأن يدركوا أنه لا يكفي في الدعوة إلى الاسلام أن يطرق الداعي بها المجالس من غير أن يشد أزرها بالحجة ، ويتخير لها الاسلوب الذي يجعلها مألوفة للعقول ، خفيفة الوقع على الاسماع .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للدكتور / عز الدين علي السيد

ما أمسكت القلم لأكتب إلا خلت اني سألغو وأثرثر ، بكلام معاد مسئوم ، لأنه ما من موضوع أقترحه ، إلا سبق لي أو لغيري قول فيه ، وكأنما يحس ذلك قلمي وصحيفتي ، فأراه نافرا وأراها ساخرة ! ولكني أجدني ما أزال مطالبا بواجب المسلم في التواصي بالحق ، ومبررا عملي ، بأن الفكرة مع تكرارها منسية كالمجهول : يعوزها ان تظل تذكر حتى تحيا وتشتد !

ويقيني في موضوع اليوم انه من علم القارىء بمكان ولكن يقيني أيضا أن ذلك المكان عند كثيرين زاوية من جانب المخ ، بعيدة عن البؤرة فليس له سلطان مهين على توجيه السلوك ، والترقي بالروح الى الغاية المبتغاة من انسان سوي ، عرف ما ناط به الخالق الكريم من مهمة صعبة ، ابت السموات والارض والجبال ان تحملنها واشفقن منها ! فالحياة المحمية بالأمانة من عقوق الآدمي في أنماط السلوك خاصية وعامة هي الحياة السوية ، التي تسنمت فيها الروح مكانها ، من قيادة الجسم وتوجيه انشطته ، وترشيد انفعالاته ، وترقية شهواته وهي حياة لا تخنق الاستعداد الشهوي ولاتئده كما يتوهم الاغبياء فلولا ما ناطه به الحكيم من وظيفة تعمير الأرض لما خلقه ، ولكنها تحفظه من العبث به من الشيطان ، الذي لا هم له الا احتواء البشر في حصيلة كيده المستمر !

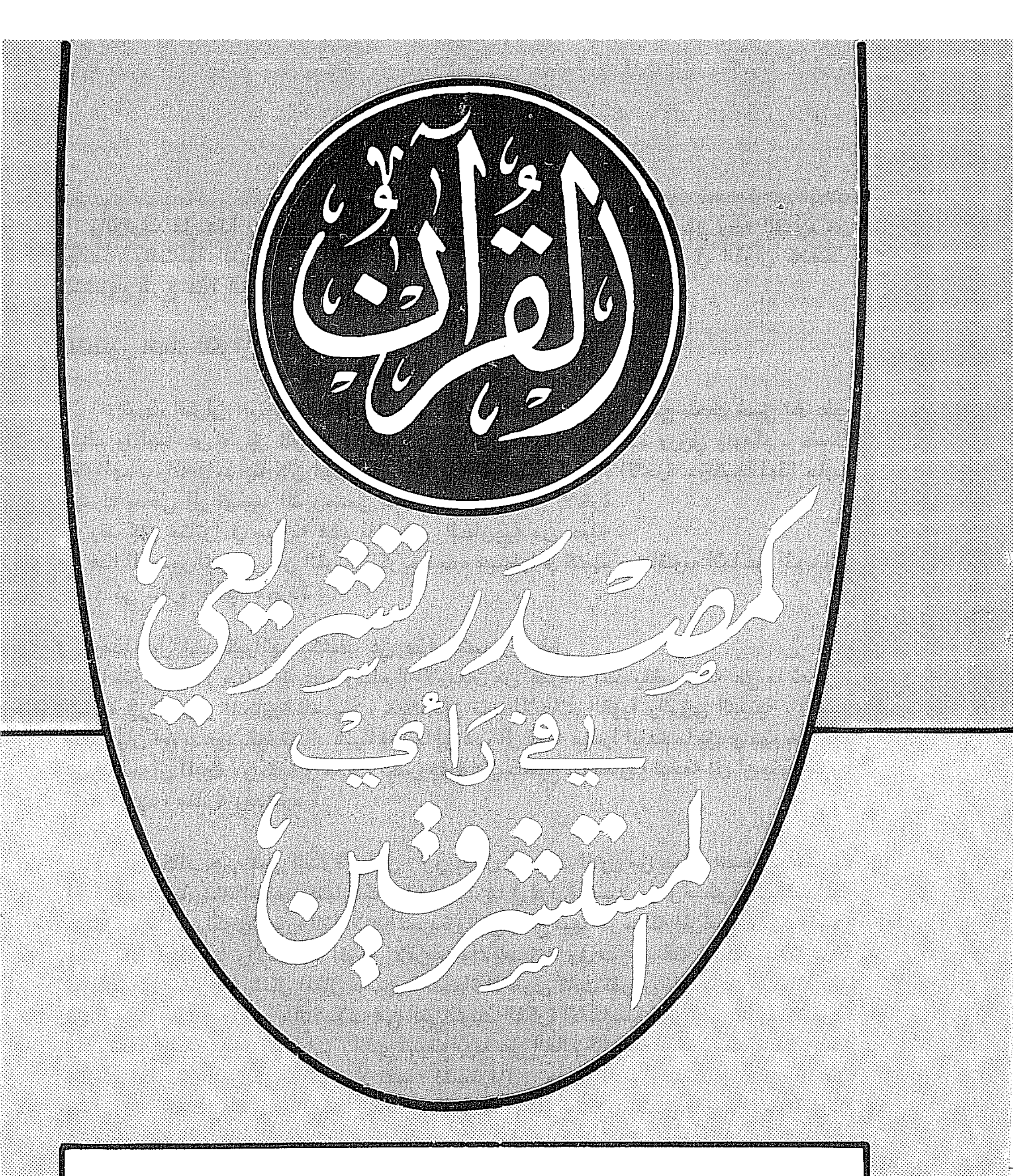
فالدنيا منذ شاء الله ان يستخلف آدم ، مستعمرة له ولذريته ، وهي حافلة بكل مشتهى ، وللانسان قابلية فطرية مودعة فيه بالحكمة لتلتقي بهذه المشتهيات التي لا حصر لها ، والحواس التي هي منافذ الادراك لهذه

المشتهيات ، تجهيز الهي يحكم الصلة بين الانسان والوجود الذي هو فلذة منه ، ولكنه الخليفة فيه .
ولعله لولا اقتضاء الحكمة العلية احلال الشيطان هذا الكون مع الانسان ، ما احتاج الانسان الى وحي السماء يوجهه ، اذ كانت الفطرة التي خلق الله الناس عليها دينا كافيا للاشباع في حدود السلامة من الجشع ، وحب الفرد ان يستقطب المنافع كلها لذاته ولو شقى من حوله ، ولكنه لو كان الامر هكذا ، لما تميز الفاضل من المفضول ، ولما وجد البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ووجود ذلك كل مفروغ من القول فيه ، لان حكمة الله اقتضته اقتضاء ازليا ابديا ، يستوجبه كمال اسمائه الحسنى وجلاله !
وهنا يتجلى ميدان الصراع ، ويصبح الجهاد للترقي واجبا للانتصار على عدو البشر ، وللسلامة من مصير اقسم عليه متحديا اذ قال (**فبعزتك لاغوينهم اجمعين**) ص / ٨٢ وليكون المجاهد المترقي غالبا عليه داخلا في استثنائه : (**الا عبادك منهم المخلصين**) ص / ٨٣ .
واذا تبين بهذا لزوم الجهاد للترقي الى مستوى النصر على الشيطان ، الذي دسيسته في صميم تركيب الانسان وهي النفس الموصولة الحس بالشهوات على وجه مستمر ـ فقد اقتضت حكمة الله ان يسند الصفوة المختارة المستثناة بمنهج هذا الترقي ، لان العقل وان يكن عقالا للنفس ـ يعجز احيانا كثيرة امام الحكم بالتحسين والتقبيح ، للالتباس بمغالطة الشيطان ووسواسه ، وخديعته العقل بالعلل والبراهين المفتراة ! فليحق الحق ويبطل الباطل وليتأكد العدل وتقام الحجة ، انزل الله الكتب منهجا حكيما على نجباء الحياة : (**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**) النساء / ١٦٥
ولو كان العقل وحده كافيا للحماية والانتصار لكان الحجة البالغة وكانت رسالة الوحي نافلة ! وحقيقة مؤكدة ان النفس البشرية نفس شاعرة وان لم تقل شعرا ، لان عالمها الداخلي عالم احساس وعاطفة ووجدان ، وعالمها الخارجي عالم اغراء واثارة وفتنة ، وهذا مناط انطلاق الخيال الذي يزلزل سلطان العقل ، وينيمه مخدرا بالسحر والنشوة ، ويصور له ان الله ما خلق هذين العالمين هكذا ، الا للاغتنام قدر المستطاع : (**من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث**) آل عمران / ١٤ واشباهها من كل مصب لعاطفة وهاتف بغريزة !
وهذا التلبيس حق بظاهره باطل مخز بباطنه والذي يكشف الحق ويزهق الباطل لعين العقل حتى يحذر هو منهج الله ، الذي لا يحرم قوانا الموهوبة من المتعة المسعدة بكل هذه المثيرات ، ولكن في اطار من الطهر والنزاهة ، وباحكام يعصم من انفلات المؤمن المستجيب الى حبالة الصائد المحتال .
فالرسالات والاسلام خاتمها والمهيمن بالتمام والكمال عليها ، منهج الهي منير صاعد يقيد الضار والقبيح بحكم ربه عليه ، وان حسنه العقل مخدوعا

بالعلل الكواذب ! ويقيد النافع والحسن بحكم ربه عليه وان قبحه العقل مخدوعا بالعلل الكواذب !
ويمكن للناظر في المنهج الالهي ان يجد مهما قلت ثقافته ـ قاموس الحسن وقاموس القبح ، الذي يفصل به بينهما ليهتدي فيرتقي :
فالحلال والطيب ، والبر ، والمعروف ، والازكى ، والاطهر ، والاحسن ، والاقوم ـ وما الى ذلك متصف بها الحسن عند الله !
والحرام ، والخبيث ، والمنكر ، والفاحشة ، والرجس ، والفسق ، والكفر ، وما اليها متصف بها كل قبيح عند الله !
وكل خير وفضيلة ـ كما قرر الحكماء ـ وسط بين رذيلتين : هما الافراط والتفريط . والمنهج الالهي هو دائم بينهما في استنان طريق الحياة !
فالاتصال الجنسي ـ كما لدى البهائم وشبهها من البشر ـ حسن في ذاته ، لانه استجابة طبيعية لغرائز تريد الاشباع ، ولكنه قبيح على اطلاقه ، لما يترتب عليه من مفاسد امن بها كل جيل او وطن اصيب بالفسوق عن منهج الله ، فضاع النسب ، وانحلت الاسرة ، وفقد السكن ، وتدلى الانسان فكان دون الحيوان ، الذي يعرف حظيرته وابناءه فيحضنهم ويرأمهم ! ولهذا حصنه المنهج الالهي بالضمان الكافي لحماية الحياة .
وحكم الانسان بالاعدام على هذه الغريزة فيه ، قبيح في منهج الله ، لانه افتراء على وصل الحياة باتخاذ السبب المشروع ، وحكم على الجنس بالانقطاع عند هذه الغاية ، وتحريم لما امتن به الله من زينة الحياة وانس القلب ، ومد بالحطب الجزل لنار الصراع في داخل الحياة النفسية يمرض المرء بالقلق والتوتر واضطراب الانتاج .
والقصاص قتل للنفس ، فهو قبيح في ذاته لانه ازهاق للروح وهدم لبناء الله الذي لا يقدر على مثله سواه ولكنه حسن في منهج الله لانه يعصم البناء الاكبر من الهدم ، لاعتقاله شهوة القاتل او نزوته في ظلال غريزة حب البقاء ، فيكف ليعيش عن اجابة النزوة ، ولهذا جعله المنهج الالهي مصدرا تصدر عنه الحياة ، بان جعله ظرفا لها في قول الحق جل علاه : **(ولكم في القصاص حياة)** البقرة / ١٧٩ كما جعل الحياة نكرة لعظمتها ، لانها حياة الملايين ومنها حياة القاتل الذي كفه النداء ! كما خاطب به اولى الالباب حملا لها ان تفكر ، وجعله تعالى علة للتقوى من الاعتداء الآثم والانطلاق المبير ، الذي ضرج الارض بدمائها اليوم ، دليل خسران البشر اذا تركوا منهج الله !
ولما كان هذا هو وجه الحسن في القصاص ، جعل الله الدماء قصاصا والجروح قصاصا ، والحرمات قصاصا ، ليرقى كل مؤمن فوق اهوائه ، ويؤمن البناء الاكبر شر بوائقه بثمن كبير هو امنه في الدنيا بالتلاحم مع هذا البناء ، وامنه في الاخرة بالاستجابة لصوت المنهج الذي اهاب به قلباه !
كما ان الاسراف في القتل قصاصا في منهج الله قبيح لانه طاعة للهوى ،

وانخداع بالظنة وافلات بالسلطان من قيود المنهج الذي استحب درء الحدود بالشبهات وفرض التحري لعدالة الشاهد ، وجعل للشهادة نصابا من الشهداء ، وللاقرار على النفس نصابا من الترديد ، تكريما لدم الآدمي وتعريفا له بقيمة ذاته ليعرف اين هو على دروب الحياة المتعددة المسالك !
وعلى قياس ما مثلنا كل ما في المنهج الالهي الحكيم من امر ونهى فما احل الله غير الطيبات وما حرم غير الخبائث .
والعبادات بمبادئها وصفاتها ما هي الا تدريب مستمر ناجح في التسامي بالنفس الى اعلى ما يكفل للدنيا نسقها المستقيم .
فالصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر قال تعالى : **(واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** العنكبوت / ٤٥ هكذا بتنزيل الصلاة منزلة الناهي العاقل المختار ، لاكبار شأنها في الترقي بالذات عن مشتهيات النفس الفاحشة ، التي ينكرها العقل المدعوم بسلامة الفطرة وبالسلامة من تزييف الشيطان .
والصوم تسام بالنفس عن اكتساب ما جبلت عليه ، وما هو ضروري لقيام الحياة ، فترة غير قصيرة من الزمن ، ليدربها على الانضباط وصيام الجوارح كلها عن التسفل بالهجر من قول او عمل وانت واجد عدم الجدوى من الصوم المقترن بالعمل الهابط في قول النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري واحمد عن ابي هريرة .
والحج تسام بالنفس على حب المال وملازمة الاهل والوطن ، واستمرار الحياة على نسق الكسب والراحة من عناء السفر ووعثاء الطريق ! وهو مع ذلك ترق بالسلوك الى التهذيب الاكمل ، في مضائق من شأنها ان تفلت الجارحة من ضبط العقل ، فلا تمام له الا بتمام السيطرة على مملكة النفس التي يحشد حولها المنكور قواه .
(فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) البقرة / ١٩٧ .
(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه !) رواه البخاري واحمد عن ابي هريرة .
والزكاة ـ والنفس مجبولة على الشح ـ استعلاء بهذه النفس على حبها المردي بتهديد الشيطان :
(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) البقرة / ٢٦٨
واستجابة في المقابل لدعوة المنهج الى الفلاح :
(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) التغابن / ١٦ .
حيث يبذل المتسامي من خير ماله وطيب كسبه مستعصيا على نداء عدوه ، لا يبطل ما انفق بالمن والاذي ولا يتيمم الخبيث ينفق منه وليس بآخذه الا ان يغمض فيه ، بل يؤثر غيره ولو كان به خصاصة ، لانه آمن حين ارتقت نفسه

فوق دنياه ، بان الذخر اجمعه في ابتغاء وجه الله :
(انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) الدهر / ٩
وكلمة التوحيد وهي الاس لاركان الاسلام وحقيقة المنهج ، تسام بالعقل والروح عن دنو النظر وهبوط الوجدان ، بل عن بلاهة الطفولة التي تغري بحب الجمع والتكثير ، حتى في الاله الذي يعبد ، والتي لا تقتنع لعدم القدرة على التجريد ، الا بما تدرك الحاسة ، فهي من اجل ذلك تنكر الوحدانية ولا تؤمن باله لا تراه او تلمسه ! ومفهوم عقيدة التوحيد في المنهج الالهي ، يبطل لدى المؤمن كل سلطان غير الله لا يظله الله بسلطانه فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
ومفهوم عقيدة التوحيد في المنهج الالهي ، تقرن الذل والعبودية لله وحده بالعزة والكرامة امام من سواه حتى يكون افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ! لان مفهوم هذه العقيدة ، ان الاكرم عند الله هو الاتقى ، وان الله اقرب الى العبد من حبل الوريد وانه معه حيث كان يعلم السر واخفى :
(انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) لقمان / ١٦
فلا حجاب بين المترقي بمنهجه وبينه ، بل ما يزال المترقي به يجاهر حتى يقسم على الله فيبره ، وحتي يجعله عبدا ربانيا يقول للشيء كن فيكون !
وملتزم هذا المنهج حذر وقاف ، لا مخدوع ولا مغرور لانه رأى فيه
(ويحذركم الله نفسه) ال عمران / ٢٨ و ٣٠
(ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) الحجرات / ٢
(وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) الفرقان / ٢٣
(وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) الكهف / ١٠٤
بل ورأى قول اهدى البشر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ولا انا الا ان يتغمدني الله » رواه البخاري واحمد
ان المنهج الالهي لترقية الروح ، الذي سلكه الحق في مائة واربع عشرة سورة هي القرآن ، واوحى الى نبيه بالسنة الحنون لبيانه وما اوسع صدرها لا يصوره في جلاله وكماله الا ذاته ، وهو بنعمة الله قد تكفل الله بان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فما تطفلنا مع وجوده القائم الا لنرد اليه بمثل هذه الحروف انفسنا ، وانفس امثالنا مما نأوا عنه ، بفتن اظلتنا هي من حولنا كقطع الليل المظلم ، لا عاصم لنا من شرها الا ذلك الحبل الممدود بيننا وبين الله ،
(وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) الانعام / ٧٠



للدكتور / عجيل النشمي

لقد تركزت بحوث المستشرقين حول القرآن الكريم وتناوله اغلبهم بالطعن من جوانب عديدة في لفظه ورسمه وتلاوته واحكامه واخباره وطريق تنزيله وثبوته والاحكام المستنبطة منه الى غير ذلك .

ولسنا هنا في معرض استقصاء ما دونوه والرد عليه . وانما حسبنا ان نقف على تصورهم للقرآن الكريم كمصدر من مصادر التشريع الاسلامي ودوره في بلورة الفقه ، وتقييم ذلك على ضوء ما قرره علماء اصول الفقه

والوقوف على هذا يستلزم حتما الوقوف على تصورهم للقرآن الكريم على وجه العموم من جانب ، والنتيجة التي راموا التوصل اليها من جانب آخر ، لأن النظر في القرآن كمصدر للتشريع فرع هذا التصور العام .

التصور العام للقرآن :

أ ـ ثبوت القرآن : ينظر المستشرقون الى القرآن الكريم على انه نسج محمد صلى الله عليه وسلم وتأليفه عن طريق الوحي المزعوم والذي هو عبارة عن احلام ورؤي واوهام ـ حسب افترائهم ـ وانه في بدايته كان عبارة عن افكار وأمثلة تصور الحياة الاخرة ـ ونتيجة لهذا حارب الشرك ودعى الى توحيد الله وحسن عبادته للفوز بالدار الآخرة .
وقد كان متأثرا في سيرته هذه بالمصادر الخارجية من حوله .
هذا التصور المشوش عن القرآن الكريم تجده مسطرا في كتبهم ويتناقلونه آثما عن آثم خاليا من ادنى نظرة علمية مجردة .

وهذا قول احد كبرائهم يكشف عن هذا التصور فيقول :
لما بلغ محمد (صلى الله عليه وسلم) الاربعين من عمره ، اخذ يقضي وقته على ما تعود في الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة ، حيث كان نهبا للاحلام القوية والرؤي الدينية ، وتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب الى قومه منذرا اياهم ما يؤدي بهم ضلالهم من الخسران المبين ، وبكلمة واحدة ، احس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه الى أن يكون مربيا لشعبه اي « منذره ومبشره ».

ويعبر الكاتب عن نفس الفكرة فيقول : وفي خلال النصف الاول من حياته اضطرته مشاغله الى الاتصال بأوساط استقى منها افكارا اخذ يجترها في قرارة نفسه ، وهو منطو في تأملاته اثناء عزلته ، ولميل ادراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلمح فيها اثر حالته المرضية ، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والاخلاقية لقومه الاقربين والابعدين . وفي بدء رسالته كانت تأملاته تأخذ طريقها الى الخارج في شكل امثال مضروبة للحياة الاخرى كانت تفرض نفسها على مخيلته بقوة تزداد يوما بعد يوم ، وهذه التأملات هي التي كونت الفكرة الاساسية التي بني عليها تبشيره ، وما سمعه او عرفه يوم الحساب ، الذي سيقع يوما على العالم كالصاعقة أخذ يطبقه على الامور التي يراها حوله ، والتي كانت تملأ نفسه اشمئزازا .. وهكذا اسس محمد (صلى الله عليه وسلم) دعوته على التوبة والندم والخضوع والاسلام الى تمثيلات تتعلق باليوم الآخر قبل كل شيء . وحالة الادراك هذه كان من نتائجها ، لا من اسبابها ، ان نبذ محمد (صلى الله عليه وسلم) الشرك الذي حطت عقائده من شأن القدرة الالهية التي لا حد لها ، ووزعتها بين آلهة متعددين ..

ثم يقول : اذا ما كان يبشر به خاصا بالدار الآخرة ليس الا مجموعة موارد استقاها بصراحة من الخارج يقينا واقام عليها هذا التبشير ، لقد افاد من تاريخ العهد القديم ـ وكان ذلك في اكثر الاحيان عن طريق قصص الانبياء ـ لِيُذكّرَ على سبيل الانذار والتمثيل ، بمصير الامم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين ارسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم ، وبهذا انضم محمد (صلى الله عليه وسلم) الى سلسلة اولئك الانبياء القدماء بوصفه آخرهم عهدا وخاتمهم .
ويحاول التوصل الى نفس النتيجة وهي الطعن بقطعية ثبوت القرآن الكريم بأسلوب وطريقة اخرى ، حصرها في وجوه ثلاثة ، سنذكرها تباعا ونناقشها ونرد عليها .

● **الوجه الاول** : تخليط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم

فيقول : « ان اول مصادر الشرع في الاسلام واكثرها قيمة الكتاب ، وليس هناك من شك في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ على الرغم من امكان سعي الشيطان لتخليطه سورة الحج الاية ٥١ و « الكاتب هنا في غاية الدهاء فهو حين يقرر قطعية ثبوت القرآن ابتداء ، ينفيها على الفور بزعمه امكان وسوسة الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم فيسبق لسانه سهوا او غلطا فينقل عن الله خلاف ما اراد . وهو يريد استغلال ما ذكره بعض المفسرين في قوله تعالى في سورة الحج « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم** »الآية٥٢الحج .

فقد ذكر بعض المفسرين ان سبب نزول هذه الآية ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى تولى قومه عنه ، وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به ، تمنى في نفسه ان يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه ، وذلك لحرصه على ايمانهم ، فجلس ذات يوم في نادي من اندية قريش كثير اهله ، واحب يومئذ ان لا يأتيه من الله تعالى شيء ينفرون عنه ، وتمنى ذلك ، فأنزل الله تعالى سورة « **والنجم اذا هوى** » فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ « **افرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى** » النجم ١٩/ ٢٠ القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ، ويتمناه « تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته ، فقرأ السورة كلها ، وسجد في آخر السورة ، فسجد المسلمون بسجوده ، وسجد جميع من في المسجد من المشركين ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد . وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا ، وقالوا : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا : قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه ، فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام فقال : « ماذا صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله سبحانه ، وقلت ما لم اقل لك » فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، وخاف من الله خوفا كبيرا فأنزل الله تعالى « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته** »

هذه هي القصة التي اراد ان يشير ويستند عليها ، وليس له فيها متعلق ولا تصلح دليلا لنفي قطعية ثبوت القرآن الكريم .

فقد فند العلماء منذ القديم هذه القصة وابطلوها من عدة نواح ، ذكرها الاستاذ امين الخولي وضمنها رده على Schacht في تعليقه على كتابه اصول الفقه فذكر أن العلماء **نقدوها من جهات** .

★ ـ نقدوا سندها نقدا مرا اذ سئل عنها محمد بن اسحاق فقال هذا من وضع الزنادقة ، وصنف في ذلك كتابا ، وابن اسحق نفسه قد قيل في الثقة به ما قيل ، فكيف بما يعده هذا المصنف من وضع الزنادقة ؟ كما قال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم اخذ يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم ، وسجد فيها المسلمون والمشركون الانس والجن . وليس فيها حديث الغرانيق . كما قال ابو حيان في تفسيره « وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثة شيء مما ذكروه ، فوجب اطراحه ، ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه ، وكذلك قال في توهين سند هذه الرواية القاضي عياض ، وابو بكر بن العربي وغيرهم ، كل هذا الى جانب ان المروي فيها مرسل ـ اي سقط من سنده من بعد التابعي ، والجمهور يتوقف عن الاحتجاج به وحسبنا ذلك من طرق نقد سند هذه القصة :

● **كذلك نقدوها من نواح مختلفة ، منها :**

★ ـ مناقضتها القرآن من مثل قوله تعالى « **ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين** » ، الحاقة ٤٤ ـ ٤٦ وقوله « **وما ينطق عن الهوى . إن هو**

الا وحي يوحى » النجم ٣ ـ ٤ والعجب ان هذه الآية في صدر السورة التي يحكي ان التخليط كان فيها . وقوله « **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع إلا ما يوحى اليَّ** ». ١٥ يونس .

★ ـ نقدها بمناقضة اعتبارات عقلية محضة لا تتوقف على مسلمات دينية ، ثم من تلك الاعتبارات ما هو عقلي صرف ومنها ما هو تاريخي ومنها ما هو ادبي . فالعقلي الصرف ، انها ليست الا خبر واحد ، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة . ثم من الاعتبارات التاريخية ملاحظة ان الرسول بمكة ـ حيث تروى القصة ـ لم يتمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة ولا سيما في محفل غاص ومنها أن معاداة المشركين الرسول كانت اكبر من ان يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل ان يقفوا على حقيقة الامر .

★ ـ ومن الاعتبارات الادبية ما يسوقه القاضي عياض بقوله « **ووجه ثان** ، وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا ، وذلك ان الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام ، متناقض الاقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن لا يخفي عليه ذلك ، بل هذا لا يخفي على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ». وهذا القول يوضحه النظر في السياق من سورة النجم وانه تعييب للآلهة وحط من شأنها « **ان هي إلا أسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما انزل الله بها من سلطان إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** » النجم ٢٣ « فكيف يقحم قبل هذا قوله « **تلك الغرانيق العلي ، وان شفاعتهن لترتجى** » وكيف يوضع هذا وسط ذلك السياق ، فيسيغه المشركون ، بل يعجبون به ويطربون له ، ويسجدون مع النبي ويشاع اسلامهم جميعا وفي المقام بعد ذلك نفى الله لشفاعة الملائكة في قوله « **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى** » النجم ٢٦ فكيف ترتجى شفاعة اصنامهم حين تنفي شفاعة الملائكة على هذا النحو ، وكيف يتلاءم هذا في المزاج الادبي لاساطين القول ، الذين تحدوا بالقرآن ، بل لأي عربي .

ومن الاعتبارات الادبية التي ينقد بها متن تلك القصة كذلك ، ما ساقه الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله ـ في بحث له قيم الم فيه بطائفة من نقد القدماء ، ورفض القصة ، وفسر آية الحج هذه بما يستقيم دون اتصال بالسبب المزعوم في نزولها ، ولذلك الملحظ الادبي الناقض لمتن تلك القصة هو : ان العرب لم يرد في نظمها ، ولا في خطبها ، ولا نقل عن احد بطريق صحيح ، انها وصفت الهتها بالغرانيق ، وليس من معاني الكلمة شيء يلائم صفة الآلهة والاصنام حتى يطلق عليها في القرآن .

فتلك الاعتبارات الادبية وحدها ، دون نظر الى شيء وراءها ، مما لا يليق ان يهمله من رجح حلمه ، واتسع في فقه اللغة علمه ، حتى يحتج بعدها وبعد غيرها من قوى النقد بآية الحج المذكورة على امكان سعي الشيطان لتخليط القرآن . وتلك كلها مظاهر النقد في الاسلوب القديم ، فكيف بدقة الاساليب الغربية الحديثة .

على انك ان تهدر ذلك كله ، وتقبل مع الاستاذ Schacht قصة الغرانيق ، فلن تجد بذلك ، الطريق للاستشهاد بآية الحج ٥٢ على امكان سعي الشيطان لتخليط القرآن . نعم تكون القصة وحدها شاهدا على وقوع هذا مرة على النحو الذي ترويه ، وتكون سببا للنزول له اثره في تفسير الآية ، لكن الآية مع ذلك كله لا تكون شاهدا على هذه الدعوى ، في امكان سعي الشيطان لذلك ، **لوجوه** :

● ـ ان الآية ـ على ان هذا سبب النزول ، وعلى فرض تخليط الشيطان على الانبياء ـ ليست حديثا عن تخليط حصل لنبي الاسلام ولا فيها اشارة اليه ، والى هذا يشير ابو حيان ـ في الموضع السابق ـ اذ يقول « وهذه الآية ليس فيها اسناد شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما

تضمنت حالة من كانوا قبله من الرسل والانبياء ، اذا تمنوا فليست الآية دليلا ـ في حساب البحث العلمي ـ على تخليط خاص بالقرآن ».

ولا يفوتك أن تلاحظ ان الآية تقول « **وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي** » فتعمم ، ولكن الكاتب يخص القرآن بامكان سعي الشيطان لتخليطه ، وذلك ما نمسك عن تعليله .

● ـ ان معنى الآية ، مع تسليم هذا السبب وتوجيه تفسيرها بمقتضاه ، انما هو ان ما يقع من تخليط الشيطان مؤقت ، لا يلبث ان ينسخه الله . ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ، فهو امكان مؤقت لا يترك اثرا ، فلا يتجه مع هذا الاستدلال بالآية على امكان التخليط .

الوجه الثاني : نسيان النبي صلى الله عليه وسلم

فيقول : « كما انه ليس من شك ايضا في انه وصل الينا ـ اي القرآن ـ من غير تحريف ـ على الرغم من نسيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعدد من آيات الكتاب ، سورة البقرة الآية ١٠٠ وسورة الاعلى الآية ٦ وما بعدها ».

فيزعم هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله عز وجل ينسي بعض ما يبلغ به ، ويستنتج ذلك من الآية التي اشار اليها وهي آية البقرة رقم ١٠٦ وليس ١٠٠ وهي قوله تعالى « **ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير** » . البقرة ١٠٦ وقوله تعالى « **سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفي** » . الاعلى ٦ ـ ٧

والكاتب هنا يلقي الزعم على عواهله دون بيان او تفصيل ، وكأن الامر مسلم ومقرر في تصوره ، والامر ليس كذلك عند التدقيق ، وليس له مستند يقوى على تثبيت تلك الدعوى وسنبين فيما يلي مدلول الايتين لنقدر على الحكم على صحة او خطأ المدعي .

اولا : قوله تعالى « **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ».

لقد فسر بعض المفسرين كلمة « آية » بالمعجزة كالشيخ محمد عبده ومحيي الدين بن عربي استنادا الى فاصلة الآية ، « فان ذكر القدرة والتقرير بها لا يناسب موضوع الكلام ونسخها ، وانما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة .

وعلى هذا تخرج الآية عن محل الاستشهاد فلا تكون دالة على النسيان .

ثم يقال له ايضا : ان كلمة « ننسها » فيها احدى عشرة قراءة ، وفيها معاني عدة فقيل يراد بها التأخير ، او الترك او النسيان ، ومع هذه الاحتمالات لا يصح التمسك والانتصار على معنى واحد هو النسيان كما ذكره الكاتب .

وحتى على فرض ان المراد منها النسيان فقط ، فيمكن القول ، انها ليست شاهدا مطلقا على دعواه ان النبي صلى الله عليه وسلم نسي آيات ، واخل هذا بصيانة الكتاب عن التحريف ، لأن الكلام في انساء الله اياه ، لا في نسيانه هو ، وانساء الله له الآية كعدم ايحائها ، وهو بالنسيان بعد ذلك يؤدي رسالته ، اما لو اراد الله ابلاغها فنسيها ولم يؤدها فهذا هو المحرف للوحي ، وليس هو المذكور في الآية : الا ان يتحكم في اختيار قراءة بعينها ويرفض ما عداها ولو لم تكن من القراءات القوية ، على انه ان يرد ذلك فسنسايره ايضا **فنرى** :

● ـ انه على ابعد التنزل والمسايرة ، ومع فرض قصر الكلمة في الآية على « تنسها » بتاء الخطاب وهو ابلغ ما يطمع فيه المستشهد ، على هذا كله لا تشهد الآية لا على وقوع النسيان ، ولا على الاخلال بصيانة الكتاب عن التحريف .

اما انها لا تشهد بوقوع النسيان فعلا ، فلأن الكلام على صورة الشرط **ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير** ـ وكل ما تفيده حصول الجواب ان حصل الشرط ، لا وقوع الشرط فعلا ، فكلمات الشرط تدخل على المستحيل مثل : **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** الانبياء /٢٢ **لئن أشركت ليحبطن عملك** الزمر /٦٥ ، خطابا للنبي ونظير هذا ان تقول ، ما ينصف الاستاذ

يصل الى الحق ، تريد وقوع هذا بوقوع ذاك وليس من معناه وقوع الانصاف من الاستاذ فعلا ، وهذا الملحظ قديم اورده المفسرون .

ـ فمعنى الآية على هذا « إن تنس تلاف الله نسيانك ».

وأما ان الآية لا تشهد بشيء من الاخلال بصيانة الكتاب عن التحريف فهو ان الله يحدث انه مراقب الرسول مشرف على الحال ، مبدله بما ينساه خيرا منه ، فهو عالم بنسيانه ، مغتفر له اياه ، معوض له عما ينسى ، فالآية على عكس ما يريد الاستاذ شاهدة ـ بفرض ان هذا تفسيرها وعلى كل هذا التنزل والتسليم ـ على عناية زائدة بمراقبة التبليغ ، واصلاح شأنه فكيف جعلها الكاتب شاهد نسيان وتحريف ..

ثانيا : قوله تعالى « **سنقرئك فلا تنسى . الا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفي** »الاعلى /٦ ـ ٧ . فقد فسر النسيان كذلك بمعنى ترك العمل ، فالمعنى انه لا يترك العمل الا بما شاء الله ترك العمل به فينسخه ـ وبهذا تخرج الآية من موضوع احتجاج الكاتب ، وان ابى إلا قصرها على معنى النسيان ، فالاستثناء منه ـ الا ما شاء الله ـ قد فسر بأنه استثناء غير حقيقي ، وذلك لأوجه ، منها :

★ ـ ان الاستثناء انما هو لاظهار قدرة الله ، وان عدم نسيان الرسول منحة من الله له وتفضل يؤيده به ، ولهذا المقام نظائر قرآنية ، اريد فيها بيان قدرة الله ، وعدم مشيئة الله وقوع الامر المقدور ، المؤثر على مهمة الرسول وشخصيته ، مثل آيتي الاسراء « **ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك . ثم لا تجد لك به علينا وكيلا . إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا** »الاسراء / ٨٦ ، ٨٧ مع القطع بأن الله لم يشأ ذلك ، ومثل آية الزمر « **ولقد أوحى إليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ». الزمر ٦٥ ومحال ان يشرك النبي « صلى الله عليه وسلم ».

★ ـ ان هذا الاستثناء بالمشيئة قد استعمل في اسلوب القرآن للدلالة على الثبوت والاستمرار ، فهو استثناء صلة في الكلام وليس ثم شيء اريد اخراجه ، وشواهد هذا الاسلوب القرآني قوله عن أهل النار « **خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد** » وقوله في اهل الجنة « **خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** » هود /١٠٧،١٠٨ . ولعل منه كذلك قوله « **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله** » الاعراف /١٨٨ .

الوجه الثالث : وقوع النسخ في القرآن الكريم .

فيقول : ولا يتعارض مع حجية القرآن القاطعة كذلك ان بعض آياته المتأخرة تنسخ ما قبلها ، سورة البقرة اية ١٠٠ وسورة النحل اية ١٠٣ وما بعدها ، وكان هم المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته ، اما بما عمدوا اليه من التوفيق بينها ، واما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها ، وذلك في الحالات التي يشتد فيها التناقض بين تلك الآيات .

والكاتب هنا لم يحرر معنى النسخ ولم يبين وجه التعارض والتناقض واكتفى بالاشارة الى آية النسخ السابقة وآية النحل في قوله تعالى « **ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** » النحل /١٠٣ .

وهذه الآية الثانية مقحمة على دعوى النسخ ، وليس محل الاستشهاد ـ الدقيق ـ بها هنا ، وانما اراد بها فقط ان يؤازر دعوى الملحدين القدامى في دعواهم ، ونكتفي برد الآية ذاتها المفحم على هذه الدعوى .

اما الآية الاولى فهي التي تستحق منا وقفة نكشف فيها عن وجه الصواب الذي حاد عنه الكاتب في فهم معنى النسخ .

فلقد تعددت تعريفات العلماء لمعنى النسخ في الاصطلاح الشرعي :

فعرفه الامام الجصاص بأنه : **اطلاق الشرع بيان مدة الحكم والتلاوة وعرفه الامام** البيضاوي بأنه : « **بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه** ».

وعرفه ابو بكر الباقلاني بأنه « **الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه** ».

وعرفه فخر الدين الرازي بأنه « **طريق شرعي يدل على ان الحكم الذي كان ثابتا بطريق شرعي لا يوجد بعد ذلك ، مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتا** » وعرفه ابن الحاجب بأنه « **رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر** » .

هذه هي حقيقة النسخ ولسنا في حاجة الى تفصيل هذه التعاريف من ناحية اصولية فنية انما يكفينا انها في جملتها تعني ان الله شرع حكما ما ثم رفعه ونسخه وابدله بحكم آخر غيره بما يناسب التدرج التشريعي الذي هو صفة من صفات التشريع الاسلامي .

والسؤال الموجه الى الكاتب بعد هذا ما هي صلة ذلك بعدم قطعية ثبوت القرآن انهما قضيتان منفصلتان ، لا تمت احداهما الى الاخرى بصلة ، اللهم الاصلة واهية .. كما الح لها الاستاذ امين الخولي في تعليقه على كلام الكاتب ـ وهي شبهة ما اثير قديما من ان النسخ يلزمه البداء اي ظهور شيء كان خافيا على الله ، وتلك شبهة واهية ، وقد مل القول فيها كذلك وواضح رد القدماء عليها بأن النسخ لم يكن الا اتباعا لمصلحة الخلق لا تغيرا لعلم الله ، والشرائع انما قصد بها مصالح الناس الدينية والدنيوية ، فتبدلت الخطابات بحسب تبدل المصالح .

على انه كان يجب على الكاتب ان يقدر ان طوائف من المسلمين المتاخرين قد انكروا جواز النسخ ، وفسروا الآيات المقول بنسخها تفسيرا لا يتوقف على القول بالنسخ .

فعلى القول بوقوع النسخ فعلا في القرآن ، لا يظهر له تأثير في قطعية الثبوت وعلى القول بعدم جواز النسخ يسقط الايراد من اساسه .

وبعد هذا يبقى القول والسؤال للكاتب اين التناقض الذي كان هم المفسرين التخلص منه ؟ هذا ما لا يستطيع اثباته بعد هذا البيان .

والامر الذي لا يمكننا استيعابه وتوجيهه وجهة علمية ، اشارته الى ان تلك التناقضات ـ المزعومة ـ تصور لنا تدرج محمد (صلى الله عليه وسلم) في نبوته فانها تصور التدرج حقا ولكن اتدرج التشريع ام تدرج المشرع ؟ اما عمل المشرع فظاهر في تدرجه ولكن هل ذلك تدرج للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يعتبر تدرج المعلم والمدرب والمروض والطبيب في العناية بمن يعلم او يدرب او يطبب صدى لتغيير في نفسه هو ؟ لا شك ان ذلك غير الواقع ، وهب ـ تساهلا ـ أن هذا المظهر يحتمل تدرج النبي وتدرج الشرع فكيف تحكم الكاتب وجعله مظهر تدرج النبي صلى الله عليه وسلم لا غير ؟ لا تدري اي اسلوب علمي يعتمد الكاتب في ذلك ، حتى يقرر ان التبديل يمثل ترقي النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته ولا يمثل ترقيه في اعداد امته وتلطفه في تربيتها .

وبمجموع هذه الردود على الجهات الثلاث التي زعم Schacht انها توهن قطعية ثبوت القرآن . لا يبقى محل لدعواه ولا وجه علمي يقابل به ما اوردناه .

وهذه النظرة الاستشراقية تعطينا تصورهم للقرآن الكريم كمصدر تشريعي من حيث ثبوته ، فهو لم يثبت عندهم من قبل الله عز وجل ولم ينزل بصورة وحي منه تبارك وتعالى ، وانما هو محض ادعاء واختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم تبلور من اتصالاته بمن حوله من اليهود والنصارى وغيرهم وساعد على ذلك حالته المرضية وعزلته الموحشة التي توهم من خلالها الوحي ، فرأى من واجبه تبليغ هذه الدعوة الى الناس .

وهذه افتراءات هشة ذكرها وحكاها القرآن على لسان اليهود والنصارى من قبل ورد عليها . ولسنا هنا في معرض مناقشة تلك الدعاوي وتفنيدها ، وانما المراد بيان اصل التصور ومنشؤه ، ويكفينا هنا القول بأن هذا التصور مردود من الناحية العلمية والتاريخية المجردة ، وكل ما ذكروه لا يشكل دليلا يستأهل النقاش ويصلح مستندا لاثبات الزعم .

مشروعية الأذان

الأذان لغة : الاعلام ، قال تعالى :
« **وأذان من الله ورسوله** »
(التوبة : ٣)

وقال عز من قائل : « **فأذن مؤذن** »
(الاعراف : ٤٤)

ويقال له : أذان .... وتأذين ....
وأذين .

وهو شرعا : الاعلام بوقت الصلاة ، بألفاظ مخصوصة .

والراجح ان الأذان : لم يكن مشروعا في مكة - قبل الهجرة - وانما شرع في السنة الأولى من الهجرة ، كما يدل على ذلك حديث ابن عمر الذي نفى النداء بالصلاة قبل الهجرة مطلقا .

وحديث ابن عمر ، كما رواه البخاري : « كان المسلمون حين قدموا المدينة، يجتمعون فيتحينون الصلاة ، ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما في ذلك .

- فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا ، مثل ناقوس النصارى .

● وقال بعضهم : بل بوقا ، مثل قرن اليهود .

فهذا يفيد ان الصحابة رضوان

في الإسلام

دكتور نجاشي علي ابراهيم

الله عليهم ، كانوا يتحينون الصلاة .

قال القاضي عياض : يعني يقدرون حينها ، ليأتوا اليها فيه .

وهذا يدل على ان الأذان : لم يكن قد شرع في مكة قبل الهجرة ، لأنه لو كان مشروعا : ما فعل الصحابة ذلك .

وتذكر كتب السنة انه : لما كثر الناس ذكروا ان يعلموا وقت الصلاة بشيء ، يجمعهم لها :

ـ فقالوا : لو اتخذنا ناقوسا ؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك للنصارى .

● فقالوا لو اتخذنا بوقا ؟.

قال : ذلك لليهود .

● فقالوا : لو رفعنا نارا ؟.

قال : ذلك للمجوس .

فافترقوا ... فرأى عبد الله بن زيد « رؤيا » فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : طاف بي وانا نائم رجل ، يحمل ناقوسا في يده .

● فقلت : يا عبد الله ... اتبيع الناقوس ؟.

قال : وما تصنع به ؟.

● قلت : ندعو به الى الصلاة .

قال : افلا ادلك على ما هو خير من

ذلك ؟ .

● قلت : بلى .

فقال : تقول : الله اكبر ... الله اكبر ... فذكر اذان .

فلما اصبحت ، اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : انها لرؤيا حق .

ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم ● لعبد الله بن يزيد- : القه على بلال ، فانه أندى صوتا منك .

وعلى هذا يكون ابتداء مشروعية الأذان بالمدينة .

وقد ذكر بعض المفسرين : ان اليهود لما سمعوا الأذان قالوا : لقد ابتدعت يا محمد شيئا ، لم نسمع به فيما مضى من الأمم ، فنزل قول الله تعالى : « **وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا** » (المائدة : ٥٨) .

وقد جزم ابن المنذر : بان الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي بغير أذان ، منذ فرضت الصلاة بمكة ، الى ان هاجر الى المدينة ، والى ان وقع التشاور في ذلك ، على مافي حديث عبد الله بن عمر ، ثم حديث عبد الله بن زيد / سبل السلام .

مسائل العقيدة في الأذان :

والأذان على قلة الفاظه ـ كما يقول القرطبي ـ مشتمل على مسائل العقيدة :

● لانه بدأ بالأكبرية ، وهي تتضمن وجود الله وكماله .

● ثم ثنى بالتوحيد ، ونفى الشرك .

● ثم باثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم .

● ثم دعا الى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة ، لانها لا تعرف الا من جهة الرسول .

● ثم دعا الى الفلاح ، وهو البقاء الدائم ، وفيه الاشارة الى المعاد ... ثم اعاد ما اعاد توكيدا .

حكمة مشروعية الأذان :

ومن ثم ذكر اهل العلم لحكمة مشروعية الأذان اربعة اشياء :

● اظهار شعار الاسلام .

● وكلمة التوحيد .

● والإعلام بدخول وقت الصلاة ومكانها .

● والدعاء الى الجماعة .

الحكمة في اختيار القول :

ويستطيع المتأمل ، ان يدرك الحكمة البالغة : في اختيار القول للأذان دون الفعل ، وذلك لسهولة القول ، وتيسره لكل احد ، في كل زمان ومكان .

ويروى ان اول من أذن بالصلاة جبريل : في سماء الدنيا ، فسمعه عمر ، وبلال ، فسبق عمر : بلالا ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء بلال فقال له : سبقك بها عمر / فتح الباري .

هذه هي قصة الأذان ، بالنسبة للصلاة المفروضة على وجه العموم ، حيث يكون الأذان للاعلام بدخول

وقت الصلاة بهذه الألفاظ المخصوصة التي ينطلق بها صوت المؤذن : خمس مرات في اليوم والليلة ، حتى انه : « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ، ولا إنس ، ولا شيء : الا شهد له يوم القيامة ، كما صرح بذلك المعصوم عليه الصلاة والسلام .

الأذان في صلاة الجمعة :

واذا كانت الجمعة تختص بأنها تسبق بخطبتين ، فمتى يكون الأذان ؟.

- هل يكون عند ابتداء الخطبتين ، وجلوس الامام على المنبر ؟.
- ام يكون قبل ذلك ؟.

يروى البخاري عن الزهري قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ان الأذان يوم الجمعة ، كان اوله حين يجلس الامام يوم الجمعة على المنبر : على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما . فلما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وكثروا ، امر عثمان يوم الجمعة : بالأذان الثالث ، فأذن به على الزوراء ، فثبت الأمر على ذلك / البخاري .

كما يروى البخاري عن السائب بن يزيد : ان الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة : عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حين كثر اهل المدينة ... وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام ، يعني على المنبر / البخاري .

كما يروى ايضا عن ابن شهاب : ان السائب بن يزيد اخبره ان التأذين الثاني يوم الجمعة ، امر به عثمان حين كثر اهل المسجد ، وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام / البخاري .

فأذان الجمعة انما كان بين يدي الخطيب طيلة عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما .

قال المهلب : الحكمة في جعل الأذان في هذا الحل ، ليعرف الناس بجلوس الامام على المنبر ، فينصتوا له اذا خطب .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه نظر ، فان في سياق ابن اسحاق عند الطبراني وغيره عن الزهري : ان بلالا كان يؤذن على باب المسجد .

فالظاهر ان هذا الأذان ، كان لمطلق الاعلام ، لا لخصوص الانصات .

نعم لما زيد الأذان الأول : كان للاعلام ، وكان الذي بين يدي الخطيب : للانصات / فتح الباري .

الأذان في عهد عثمان :

ولما تولى عثمان : الخلافة ، وولي امر المسلمين ، وكثر الناس بحيث اصبح الأذان الذي يقع بين يدي الخطيب : غير كاف في الاعلام ، احدث عثمان ، أذانا يعلم الناس بدخول وقت الصلاة ، وذلك غير الأذان الذي اعتاد الناس سماعه عند جلوس الامام على المنبر .

وعثمان رضي الله عنه ، لم يأمر بذلك الأذان عقب مباشرته لأمور

الخلافة وتوليه الحكم ، وانما سار على طريقة من سبقوه ، ثم لما رأى كثرة الناس : زاد هذا النداء ليكون اعلاما للناس بدخول الوقت .

ويؤكد هذا ما روي من ان الأذان ، كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابي بكر ، وعمر : يوم الجمعة أذانين .

وقد فسر ذلك : بالأذان والاقامة .

وعلى هذا فان الذي احدثه عثمان يوم الجمعة : هو النداء للصلاة حيث امر بالنداء لها في محل يقال له : « الزوراء » ليجتمع الناس للصلاة ، وكان ينادي لها بألفاظ الأذان المشروع .

والزوراء : موضع بسوق المدينة ، كما صرح بذلك البخاري في صحيحه .

قال الحافظ ابن حجر : وهو المعتمد .

وقال ابن بطال : هو حجر كبير عند باب المسجد ، وهذا مردود بما روى عند ابن خزيمة وابن ماجه عن الزهري : انها دار بالسوق يقال لها : « الزوراء » وعند الطبراني : فأمر بالنداء الأول على دار يقال لها : الزوراء .

وقفة تأمل :

والمتأمل في ذلك كله ، يستطيع ان يدرك ان ما زاده عثمان ، قد ورد في عبارات ، قد توحي لأول وهله بأنها متناقضة ، وذلك لأنها جاءت على النحو التالي ، على هذه الصورة .

- فأمر عثمان بالنداء الأول .
- التأذين الثاني امر به عثمان .
- امر عثمان بالأذان الثالث .

والواقع انه لا منافاة بين ذلك كله ، ولا تناقض بين هذه العبارات :

- لأن ما زاده عثمان يعتبر « اولا » باعتبار انه يسبق الأذان الذي بين يدي الخطيب ، والاقامة للصلاة .
- ويعتبر « ثانيا » بالنسبة للأذان الحقيقي الموجود بين يدي الخطيب لا الاقامة .
- ويعتبر « ثالثا » باعتبار كونه مزيدا على الأذان بين يدي الخطيب والاقامة للصلاة .

قال الحافظ ابن حجر : والذي يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك ، لكونه خليفة مطاع الأمر / نيل الأوطار .

الأذان بعد زيادة عثمان :

وهكذا يتبين لنا ، ان صلاة الجمعة تسبق بما يأتي :

-) الأذان الذي يعلم الناس بدخول وقت الصلاة ، وهو الذي احدثه عثمان ولم يكن معمولا به قبل ذلك .
-) الأذان الذي بين يدي الخطيب ، والذي يفعله المسلمون الآن ، وهو ما كان موجودا من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى أحدث عثمان الأذان الذي يعلم الناس بدخول الوقت .
-) الاقامة للصلاة ، وهي التي تكون عقب انتهاء الخطيب من القاء خطبتي الجمعة .

عمل الناس وسلوكهم :

وأمام هذا الذي حدث ، واستقر منذ عهد عثمان رضي الله عنه ، فان عمل الناس وسلوكهم مختلف في ذلك :

- فمنهم من يلتزم ما كان سائدا ، ومعمولا به في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما ، ويكتفي بالأذان بين يدي الخطيب ، والاقامة للصلاة ، ولا يلقى بالا لما زاده عثمان ، وبالتالي لا يفعلون ما فعله .

يقول ابن حجر : بلغني ان اهل المغرب الأدنى ، لا تأذين عندهم سوى مرة .

- والغالبية العظمى من المسلمين ، ينظرون الى عثمان بن عفان رضي الله عنه : نظرة احترام وتقدير ، فهو صحابي جليل ، وبالتالي يقلدونه في فعله ، ويسيرون على منهجه .

ابن عمر والأذان الأول :

واذا كان ابن ابي شيبة قد روى من طريق ابن عمر أنه قال : الأذان الأول يوم الجمعة بدعة .

فان هذا لا يصلح دليلا للمانعين ، او سندا لهم ، يعتمدون عليه ، لأنه لم يثبت عن ابن عمر ، انه قال ذلك على سبيل الانكار .

وانما كلام ابن عمر رضي الله عنهما :

● يحتمل ان يكون قد صدر منه على سبيل الانكار .

● كما يحتمل انه يريد بذلك : ان هذا الأذان لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ما لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام : يسمى بدعة .

واذا كان الناس لا يقتدون بعثمان رضي الله عنه الذي تبعه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخالفوه في ذلك ، فبمن يقتدون ؟.

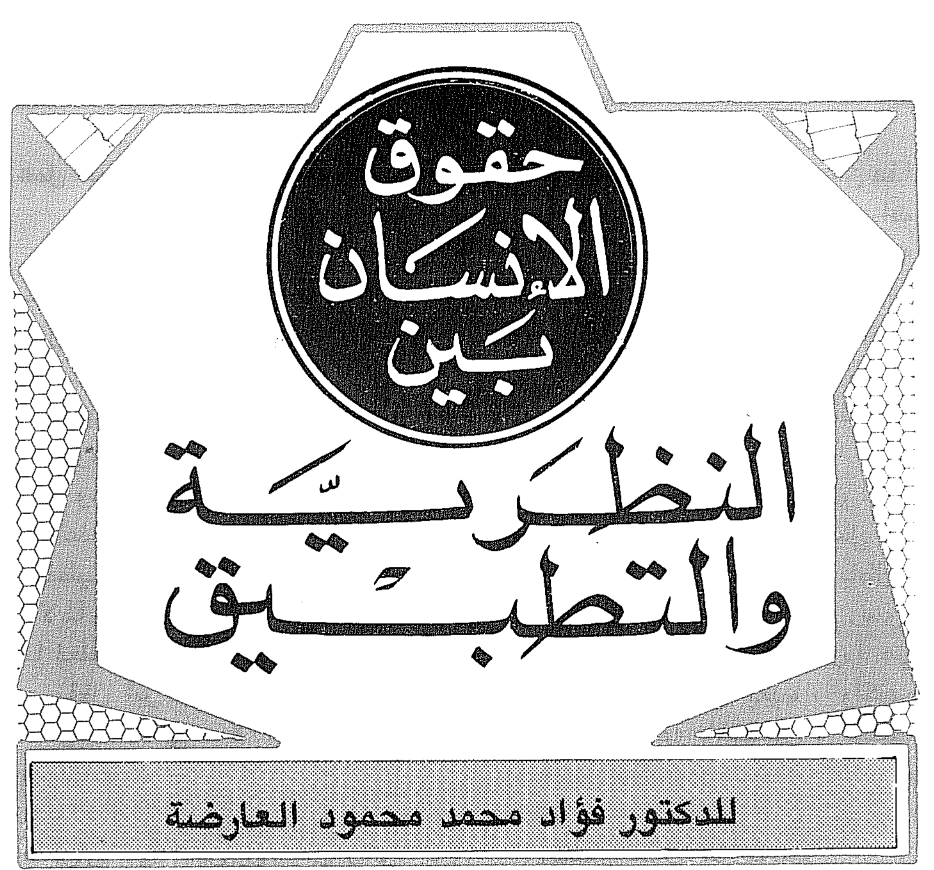
إن بعض هؤلاء المخالفين ، قد يدعي انه يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا حق اريد به باطل .

فلو انهم ارادوا فعلا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لساروا على نهج صحابته من بعده ، ولكنهم يخالفون جماعة المسلمين ، ليلفتوا الأنظار اليهم ، ويصفوا انفسهم بالأتباع ، ويصموا غيرهم بالابتداع .

وهكذا يتبين لنا بوضوح : ان عثمان رضوان الله عليه ، قد احدث الأذان الأول : لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة ، قياسا على بقية الصلوات ، وألحق الجمعة بها ، وأبقى خصوصيتها بالأذان بين يدي الخطيب / فتح الباري .

وبالتالي تشترك صلاة الجمعة مع بقية الصلوات المفروضة في الأذان الأول الذي يعلم الناس بدخول الوقت ، ثم تنفرد صلاة الجمعة بالخصوصية التي اثبتها النبي صلى الله عليه وسلم لها ، وهي الأذان بين يدي الخطيب اثناء جلوسه على المنبر .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ، والله الموفق والمعين ، والهادي الى سواء السبيل .



للدكتور فؤاد محمد محمود العارضة

الله سبحانه وتعالى خالق الكون وجميع المخلوقات من انسان وحيوان ونبات وجماد وغير ذلك وهو رب هذا العالم وبمشيئته ورحمته يتعلق كل مخلوق ولا سيما الانسان . ونعمه وافضاله تغمر الانسان وسائر المخلوقات . ومع ذلك لولا قوته الخارقة وقدرته المعجزة ولولا ان امر الانسان وسائر الكون بيده وحده عز وجل لما أمن به ولما عبده وأطاعه احد ولما اعطاه بشر حقه من عبادة وطاعة وتسبيح وذكر فالمؤمن الذي يعبد الله ويطيعه انما يفعل ذلك خوفا من عقابه وعذابه في نار جهنم وطمعا في ثوابه ونعيمه في جنان الخلود . اما الكافر الملحد بالله فانه يكفر بالله وينكر وجوده لانه على بصره وبصيرته غشاوة كثيفة من ظلمات الجهل المطبق والغرور بالله والناس اعداء ما جهلوا وينكرون ما لا يرونه بأبصارهم أو بصائرهم .

وهكذا تكون قوة الله الراحمة العادلة التي لا تحد ولا تطال والقادرة على احقاق الحق واقامة العدل واعطاء الثواب وانزال العقاب هي التي جعلت الانسان يعترف بوجود الله ويقر بوحدانيته ويدرك مبلغ عظمته وقدرته ويؤمن به وحده إلاها لا شريك له لجميع البشر وربا اوحد لهذا الكون .

وننزل الى الأرض عالم البشر فنرى منذ بدء الخليقة وحتى اليوم ان الحياة الحرة الكريمة والعزة والقيادة والسيادة والمجد والعلم والحضارة والأمر والنهي كان من نصيب الاقوياء القادرين لا من نصيب الضعفاء العاجزين . فقد قاد أدم

حواء وانقادت حواء لآدم لان آدم اقوى بطبيعته من حواء جسما وعقلا ونفسا وروحا وقد ورث آدم هذه القيادة وربوبة الأسرة الى ابنائه واحفاده من بعده وورثت حواء هذا الانقياد للرجل والتبعية له الى بناتها وحفيداتها من بعدها وظل ذلك ارثا متوارثا بين بني البشر على توالي الاجيال والازمان كما يقول الله تعالى : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم** » . سورة النساء / ٣٤

وفي عالم الدول والأمم نرى ان الأمم الواعية القوية هي التي صنعت التاريخ وحملت شعلة العلم والمعرفة ورفعت منار الحضارة والمدنية وهي التي تأثرت بالحياة وأثرت في مجراها وهي التي نالت حقها الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة المستقلة وعاشت مسموعة الكلمة عالية المكانة يقدرها القريب والبعيد ويحترمها الصديق ويهابها العدو ..

ولما شاخت وضعفت وانحلت اقتحمتها العيون وافترستها الذئاب البشرية وبذلك فقدت حقها في الحياة الحرة المستقلة .

فالفرس والرومان كانت لهم قبل الاسلام الحنيف امبراطوريتان استعماريتان قويتان تنازعتا السيادة على العالم القديم ردحا طويلا من الزمن . ولما ضعفتا وشاختا فقدتا ما كان لهما من سيادة وحرية واستقلال على ايدي المسلمين الأوائل ..

وأقام المسلمون الاولون دولة عربية اسلامية امتدت الى فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا واضاء سماءها وارضها نجوم وكواكب من اهل العلم والفكر والفن والادب وأشرقت في آفاقها شمس الحضارة العربية الاسلامية .

ولما ضعف العرب المسلمون لابتعادهم عن الاسلام الحنيف الذي كان نور ابصارهم وبصائرهم وحياتهم وجامع ارواحهم وابدانهم ومصدر عزتهم وقوتهم وسلاحهم الذي فلوا به سلاح الحديد والفولاذ وهزموا اعتى قوى الباطل والظلم والظلام واعداء الحق والعدل والانسانية غزاهم الاعداء الطامعون في عقر ديارهم واستعمروهم واستعبدوهم واقتطعوا اجزاء عزيزة غالية من ديارهم وأوطانهم ونهبوا خيراتهم وثرواتهم وازهقوا ارواحهم وسفكوا دماءهم .

وفي العصر الحديث اندلعت ثورات وطنية دموية وظهرت حركات انسانية على الظلم والباطل والاستعباد والاستبداد وكلها رفعت شعار الحرية والاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية ونادت بحق الانسان في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل .

واخيرا تشكلت هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٥ واعلنت ميثاق حقوق الانسان ولكنه ظل حبرا على ورق ولم يترجم الى واقع ملموس واوضح دليل على ذلك هو حرمان الشعب الفلسطيني العربي من ارضه ووطنه وداره على يد دول استعمارية ماكرة غادرة تقول ما لا تفعل وتعمل ما لا تقول فهي قد وضعت توقيعها وختمها على ميثاق الامم المتحدة الذي يحرم الظلم والعدوان وينص على حق الانسان في الحياة

الحرة الكريمة في وطن حر مستقل ولكنها لم تحترم توقيعها وختمها باتباعها سياسة استعمارية لا اخلاقية لا انسانية تناقض مضمون الميثاق .

وهكذا يكون وضع القوانين ورفع الشعارات واعلان المبادىء شيء والتطبيق العملي لها والعمل بها شيء آخر فواقع الحياة يقول لنا ان الاقوياء من افراد وجماعات ودول هم الذين استثمروها لصالحهم وتمثلوها ومارسوها في حياتهم وعاشوا احرارا كراما على ان الظالمين منهم تستروا بها ليستعبدوا الضعفاء والفقراء ويسخروهم لخدمة مصالحهم ويمتصوا دماءهم وينهبوا ثرواتهم باسم الحضارة والمدنية والانسانية والامن والسلام . فكم من اباطيل ومظالم اقترفت باسم الحق والعدل وكم من حماقات وجهالات ارتكبت باسم الحضارة والعلم والمدنية وكم من شعوب استعمرت واستعبدت باسم الحرية والامن والسلام العالمي وكم من افواه تكمم وايدي وأرجل تقيد وتغل والسن تربط وتخرس واجساد تلقى في غياهب السجون تحت ستار المحافظة على القانون والنظام وكم نحُر الوطن والشعب والمصلحة العامة على مذبح الوطن وكم وطنية جعلت شباكا ، وكم من شعارات براقة وقوانين لماعة خلابة رفعت واطلقت للاستهلاك المحلي وتخدير الاعصاب . هذا ما تبتلى به الشعوب المتخلفة الضعيفة اما الشعوب الواعية الحية القوية فانها تمارس حقها الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل يحترمها الصديق ويهابها العدو ويخطب ودها القريب والبعيد . وهذا هو واقع الحياة وحال الدنيا في كل زمان ومكان .

ويحدثنا واقع الحياة وهو القانون المعقول السليم الذي ينبغي السير عليه والعمل به بان المبادىء والقوانين والدساتير والقرارات تبقى حبرا على ورق مطوي حتى تلقى اقوياء قادرين على تطبيقها والسير في طريقها وبذلك تحيا وتثمر . ويقول لنا ايضا ان الحق الذي لاتدعمه قوة يسلب ويغتصب ويؤكل وان الحياة الحرة الكريمة لا يحياها الا الاقوياء الاشداء القادرون على الحرب والكفاح ودفع الظلم وانتزاع الحق المغتصب واقامة العدل ومعاقبة الظالمين المعتدين وان حقوق الانسان في الحرية والاستقلال والمساواة والعدالة الانسانية لا ينالها ولا ينعم بها الا الاقوياء القادرون بينما يحرم منها الضعفاء المساكين هذا والاقوياء الظالمون يقرون للاقوياء المبصرين مثلهم ، بحقهم في الحياة الحرة الكريمة وينصفونهم ولكنهم ينكرون على المستضعفين العاجزين العميان هذا الحق ويظلمونهم كما يقول احد الشعراء :

لا عدل الا ان تعادلت القوى وتصادم الارهاب بالارهاب .

والقوي الظالم يصم سمعه ويغلق بصره دون شكوى الضعيف المظلوم ويسخر منه عندما يتظلم ويطالب بحقه كما يقول الشاعر فهد العسكر :

كم ضعيف بكى ونادى وراح لبكاه تقهقه المدفعية

فالحياة الحرة الكريمة نورها العقول الواعية المستنيرة وسياجها النفوس الحرة الأبية التي يستوي الموت عندها والبقاء وتحمل ارواحها على اكفها وراحاتها كما

يقول شاعر فلسطين الشهيد عبد الرحيم محمود :

سأحمل روحي على راحتي   وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق   وإما ممات يغيظ العدى

ويقول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم .

والدول الخمس الكبرى لقوتها وطول باعها تتمتع بحق الفيتو اي النقض في مجلس الامن الدولي ويدور في فلكها الدول الصغيرة الضعيفة . وهي تسمع كلمتها ويصان حقها ولا يعتدى احد على حدودها .

فعلى قدر قوة الامة الذاتية تتمتع بالحياة الحرة المستقلة الكريمة وتعلو مكانتها ويرتفع شأنها بين الأمم والدول ، فالقوي القادر حر كريم وسيد نفسه . والضعيف المسكين عبد مسخر للقوي وخادم له . والقيادة والسيادة والحياة للأقوى والانقياد والتبعية والعبودية للأضعف . فاذا كنت محاربا مقاتلا فأنت موجود ورأس مرفوع وان كنت ضعيفا متخاذلا فأنت ضائع مفقود وذيل مجرور .

والاسلام الحنيف دين العدل والحق والحرية والمساواة والقوة العاقلة الرحيمة يؤثر المؤمن القوي على المؤمن الضعيف كما يقول رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) : « **المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير** » رواه مسلم . فالمؤمن القوي نور قوي ساطع والمؤمن الضعيف نور ضعيف خافت . والحكمة في ذلك ان المؤمن القوي انفع للاسلام والحياة من المؤمن الضعيف . وهو اقدر منه على نصرة الاسلام وحمايته واقوى على احقاق الحق واقامة العدل وصنع الحياة الحرة الكريمة ، لذلك كان الاكثر اثمارا والأقدر على العمل والانتاج والخدمة هو الافضل المفضل عند الله والناس كما يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « **الخلق عيال الله وأحبهم الى الله انفعهم لخلقه** » .

والاسلام الحنيف شعت انواره في الأرجاء والآفاق وقامت له دولة عربية اسلامية عظمى وحضارة اسلامية انسانية ساطعة مشرقة على ايدي المسلمين المؤمنين الاقوياء ويدل على ذلك اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ بدخوله في دين الله انتقلت الدعوة الاسلامية من مرحلة السر والخفاء الى مرحلة الجهر والعلانية .

الا ان القوة نوعان قوة ايجابية بناءة نافعة وقوة سلبية هدامة ضارة . فالقوة البناءة الخيرة هي القوة الرحيمة العادلة العاقلة المبصرة . اما القوة الهدامة الشريرة فهي الظالمة الغاشمة العمياء . وتصير القوة عادلة رحيمة خيرة بالعلم والايمان وتقوى الله ومكارم الاخلاق ، وتصير القوة جائرة باغية متسلطة بالجهر واتباع الهوى والشهوة والانانية والتحلل من الفضائل والمثل العليا . والقوة العادلة الراحمة العاقلة حضارة ومدنية

وانسانية والقوة الغاشمة العمياء همجية وحيوانية ووحشية .

وقوة الاسلام الحنيف قوة انسانية رحيمة عادلة وعاقلة مبصرة وهي شجرة طيبة مباركة أزهرت وأثمرت وأينعت ثمارها الطيبة الحلوة . لقد عامل المسلمون الأوائل في أيام عزهم وسلطانهم وقوتهم ودولتهم العظمى الناس برحمة وانسانية وأذاقوا الشعوب التي احتكوا بها طعم الحرية والكرامة والعدالة والأخوة الانسانية وأعلنوا حقوق الانسان في الحياة الكريمة ونشروا في ربوع الأرض نور العلم والايمان لأنهم كانوا هداة مصلحين وحملة رسالة سماوية ومجاهدين في سبيل الله ولم يكونوا مستعمرين متسلطين ولا لصوصا يسرقون وينهبون ويدل على ذلك البلدان التي انصهرت في بوتقة العروبة والاسلام بحرارة العلم والايمان والاسلام .

وهكذا تكون الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل حقا طبيعيا مقدسا لكل انسان كالماء والهواء والنور ولا يحق لأي انسان أن يحرم انسانا آخر من هذا الحق الطبيعي فالله سبحانه وتعالى خلق الناس أحرارا كراما كما يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

ولما كان الظلم والاستبداد والطمع والأنانية من شيم النفوس كما يقول المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم

فقد رأينا الأقوياء الظالمين يتعدون حدودهم ويعتدون على الضعفاء المساكين وينتزعون منهم لقمة العيش ويسلبون حقهم في الحياة الحرة المستقلة .

ويمارس الأقوياء الأشداء القادرون حقهم في الحياة الحرة الكريمة ويحرم منه الضعفاء المساكين . فالقوي القادر سيد يأمر وينهي والضعيف المسكين عبد وخادم مسخر للقوى يدور في فلكه ويتبعه .

والقوة بيدها الأمر والنهي وحسم الأمور وحق تقرير المصير والبناء والهدم وصنع التاريخ وهي القادرة على الصنع والعمل والانتاج والتغيير والتبديل واحقاق الحق واقامة العدل واجراء الثواب وانزال العقاب وغرس الخير واجتثاث الشر وصنع السلام العادل ونشر الأمن الوارف ، والقوة لها القدرة على الطيران والغوص وتسخير البر والبحر والجو لخدمتها وعلى وضع الفاتحة والخاتمة ووضع النقاط على الحروف ولها المجد والعلى والفوز والفلاح .

وبالقوة الغلابة الراحمة المبصرة العاقلة تعاد المياه الى مجاريها ويوقف الظالمون الطامعون عند حدهم وتسحق الأخطار المحدقة بالوطن ويعاد الهر الذي يحكي انتفاخا صورة الأسد الى حجمه الحقيقي والقزم المتعملق الى وضعه الطبيعي ويفيق المخمور السكران ، بخمرة البطر والغرور من سكرته وغروره ويعود الحق الى نصابه والقوة العاقلة تفتح الطريق المسدود والباب المقفل .

على أن القوة العاقلة الراحمة العادلة قوة انسانية خيرة مثمرة ولها النصر والمجد والخلود فهي نفحة من نفحات الله العزيز الحكيم .

أما القوة الحمقاء الغليظة القاسية فهي قوة حيوانية كاسرة مفترسة ولها في

آخر الامر الهزيمة والاندثار والمصير الأسود .

فالقوي العاقل الرحيم مبصر وصحيح سليم معافى يعيش حرا كريما وآمنا مطمئنا تغشاه السكينة والطمأنينة ويثمر ثمارا طيبة .

أما القوي الظالم الأحمق فانه أعمى ومريض نفسيا وعقليا ولا قلب له ولا ضمير لديه ويعيش مفتقدا صفاء النفس وطمأنينة القلب وراحة الضمير يفر النوم من عينيه ويخنقه كابوس الرعب والقلق ويؤرقه وتطارده أشباح ضحاياه وجرائمه كما يقول الشاعر العربي :

اثنان يمضي الدهر لم يتهادنا شبح الضحية والضمير المجرم

وأما الضعيف المسكين فيعيش مغبونا مأكولا يسخره القوي الظالم لخدمته ويأكله حين يجوع كما يشهد بذلك واقع الحياة قديما وحديثا في كل زمان ومكان وواقع الحياة هو القانون السليم الذي ينبغي السير عليه .

ولا حياة حرة كريمة في هذه الحياة الا للأقوياء العقلاء الرحماء أما الأقوياء الظالمون فأعمارهم قصيرة اذ سرعان ما يقعون في مهاوي الردى والهلاك فهم لحمقهم وعماهم وتهورهم وصلفهم يلقون بأيديهم الى التهلكة ، فالقوة الحمقاء العمياء تضر وتؤذي وتدمر كما أن الشجاعة بلا عقل وحكمة تهور وجنون وانزلاق ولا خير في قوة بلا عقل ولا في شجاعة بلا حكمة كما يقول المتنبي :

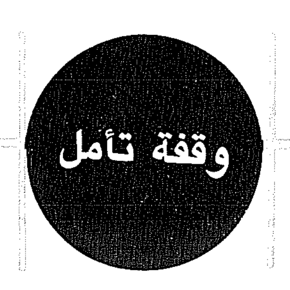
وكل شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في حكيم

والخير والمجد والعزة ثمرة القوة والعقل والشجاعة والحكمة . على أن العقل له المقام الأول والشجاعة لها المقام الثاني إذ بالعقل والحكمة يتميز الانسان عن الحيوان . أما الشجاعة فتوجد لدى بعض الحيوان . وفي ذلك يقول المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان

وقوة الانسان تتجسد في عقله وروحه وخلقه لا في جسمه وقواه الحسية المادية ، وبها سخر قوى الطبيعة لخدمته وحلق في الفضاء وغاص في قاع البحر وجعل العالم الأرضي في مدى سمعه وبصره وفي متناول يده . وشق طريقه في الحياة وتذليل صعابها واجتياز عقباتها وحل مشاكلها العويصة ووضع الحيوان الذي يقوى عليه جسدأ وذراعا في القفص في حديقة الحيوان وهكذا يتبين لنا من واقع الحياة منذ كان الانسان أن الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل حق طبيعي لكل انسان ولكن هذا الحق لم يستطع أن يمارسه ويعيش فيه عبر الزمن الا الأقوياء القادرون . وقد حرم منه الضعفاء المساكين على أيدي الطغاة الظالمين فلا يمكن أن يعيش الانسان آمنا مطمئنا وحرا كريما إلا في عالم الملائكة والأنبياء . ففي دنيا البشر في العالم الأرضي لا يعيش في أمن وسلام وحرية واستقلال الا الأقوياء الأشداء العقلاء . فالعدالة الانسانية كانت ومضات غابرة في دنيا البشر وقد بلغت عصرها الذهبي في عهود المسلمين الأوائل ولا وجود للعدالة الوارفة الظلال الا في عالم الملائكة والأنبياء والدار الآخرة فالعدالة المطلقة فوق مستوى البشر .



البعد الديني

إن العبادات الدينية برامج يومية تعمق في النفس معاني أسمى ، وإذا فقدت العبادة روحها فقدت أثرها الفعال في الفرد والجماعة ..

العبادات في الاسلام ليست شيئا من الأشياء .. يؤديها المسلم دون أن تترك في نفسه أثرا ..

○ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتجعل الانسان « الفرد » و « الجماعة » يسلم الأمر لله ، فهو يرتبط في علاقته بالقوة التي لا تقهر ، وبهذا التسليم يشعر المسلم بالأمان ، ولا يرهب أحدا .

○ والزكاة تحارب صفة البخل في الانسان ، فيعيش المجتمع حالة التكافل ، والتراحم . فتنشأ المدينة الفاضلة .

○ والصوم سمو بالنفس عن عالم المادة إلى عالم الاشراق الروحي ، والصفاء النفسي ، حيث أن الله مطلع على كل شيء .. فلا خداع ولا نفاق ولا غش ولا احتيال .

○ والحج بوتقة تجمع الأمة المسلمة في أطهر البقاع ، طارحة وراءها كل متع الحياة الزائلة ، ملبية الخالق العظيم .. والجميع سواسية ، فلا اعتبار لحسب ولا نسب ولا جنس ولا لون .

وهذا البعد الديني هو الذي يجعل المسلم يقدم على التضحية بالمال والنفس من أجل هدف أسمى ، سعيا وراء الأمل ..

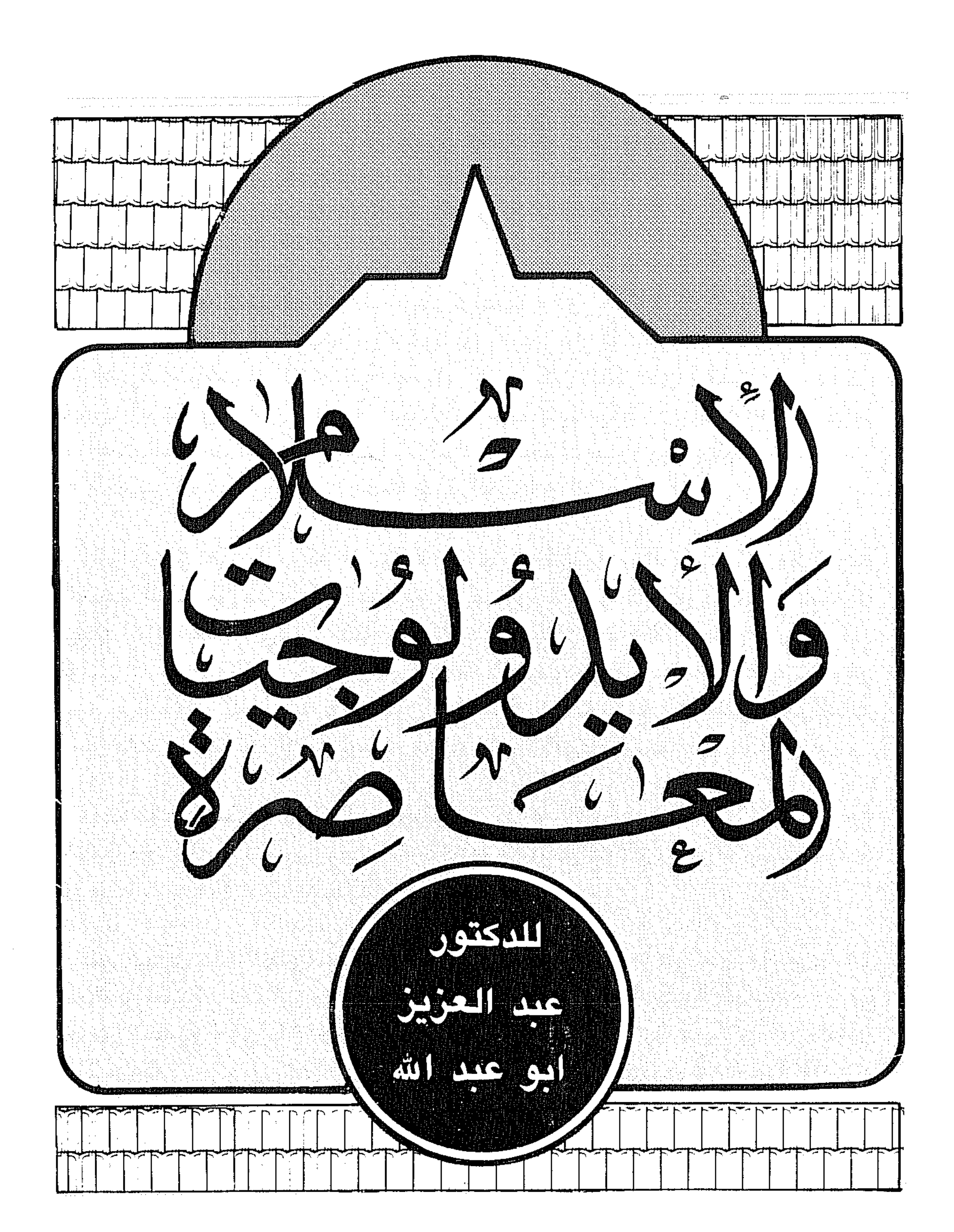
فما الهدف ؟.. هدف المسلم تحقيق العدالة في الأرض وفقا لمنهج الاسلام ، الذي ارتضاه الله للناس جميعا . وهو هدف لا يعرف الحدود الضيقة من الجنس والعرق .. بل هو لخير الانسانية جمعاء .

والأمل في نصر الله وتوفيقه لا يعرف اليأس ، فقديما قال الشاعر : « ما أضيق العمر لولا فسحة الأمل » .. ولتحقيق الأمل .. لا بد من وضوح الهدف ، والطموح الى تحقيقه ..

فهل نعرف نحن مسلمي اليوم هدفنا ؟ وهل نطمح الى تحقيقه ؟ وبمقدار ما يكون الهدف ساميا تهون التضحية والبذل والجهاد ..

ومادام الأمل عظيما فلا يأس .. وبالأمل يعمل الانسان ويجهد ويتعب ويتعرض للمخاطر .. ومن بعد ذلك يتحقق وعد الله القائل : « « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا »ويقول سبحانه : « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ».

فهل تعمل الحكومات الاسلامية من أجل هدف واحد ، وغاية واحدة ؟.. لو كان لما توالت على واقعنا الهزائم أليس كذلك ؟!



بعد ان فتحت الحرية على المواطنين الابواب على مصراعيها ، انطلق البعض ينادي بمذاهب ، كانت المناداة بها فيما مضى ، تجعل مكانه وراء القضبان ، وليته ينادي بها عن معرفة ، ولكن بدون وضوح فكر ، ولعلني ابلغ ما احاول الكشف عنه من بناء الوجودية الانسانية في منطقة مهبط الوحي وأرض الحضارات على دعائم خالدة ، واني لعلى يقين بان النقد الذي يستهدف الحق هو طريق المخلصين ، واذا

كنت احب افلاطون والحق . فان حبي للحق اكثر ، والحق أحق ان يتبع ، لقد اتسم الفكر المعاصر بنزعة مادية جافة من جهة ، وبنزعة انحلالية مائعة من جهة اخرى ، قوام الاولى فلسفة الايمان بالصراع الديالكتي من وراء هذا التمذهب بالواقع المادي .

وقد اصبحت المدرسة الجدلية وعلى رأسها « فورباخ وهيغل وماركس » ذات مذهب او ايديولوجية ، يجب ان تسود في رأيهم على الصعيد التوجيهي في دنيا الافراد والجماعات بل الانسانية جمعاء . واذا كان الفكر حركة تأملية من داخل الوجود البشري ، فان المادية الجدلية حركة ديناميكية في الخارج ، تحيكها صراعات الطبقات التي يصنعها الاقتصاد في مختلف صوره وتحركاته الصاعدة ، وما التاريخ في جوهره سوى قصة هذا الصراع الدامي ..!

والواقع ان هذه الحركة المادية قد تبلورت نظرتها في الوجود بانه مادة حية اكتسبت الفكر من تفاعلها وليس هو الا صورة له . وهنا تكون المادة سابقة في الوجود على الفكر ، والمادة كما يقولون ـ لم يخلقها اله ولا انسان ، وانما هي بعوامل الصيرورة تتطور كما قال قيراقليط الاغريقي وافتتح بها « ماركس » هامش كتابه « الدفاتر الفلسفية » والدين والمثالية في نظرهما اساطير وخرافات وانحرافات ومخدرات كانت تصنع دائما بين الاقوياء لاسكات الضعفاء .

وهذه نزعة فلسفية نبتت في اغريقا على يد هيراقليط ، ثم حملها التاريخ عبر الاجيال بين اخذ ورد وجزر ومد . تارة تظهر في انحراف المزدكية الفارسية ، ومرة على يد الخرمية في دولة الخلافة الاسلامية .

غير انها في هذا الطفو لم تكن ذات صبغة فكرية بقدر ما هي حركة متمردة على النظام والمثالية ، وما ان جاء القرن الثامن عشر بحركته الفكرية الواسعة ، حتى ظهرت : مادية « فورباخ » وجدلية : « هيغل » وصراع : « ماركس » في القرن التاسع عشر ، وتحول ذلك الى حركة عملية على يد : « لينين » في بداية هذا القرن .
ونلاحظ ان هذا المذهب قد اخذ على عاتقه تفسير الحياة في كل مظاهرها ونشاطها بالمبدأ الهام وهو : المادة المتحركة غير المخلوقة اصلا وحركتها الديالكتية تاريخ الوجود والاقتصاد هو الحبل السري ، والبشرية هي الدمى التي تحركها تلك الخيوط .. !

و« ماركس » رجل يهودي قصة حياته مثيرة ، ولا يعنينا منها سوى قدرته الفائقة على هضم هذا المذهب المادي من الجهة الفلسفية ثم انعطافه الى الناحية الاقتصادية ، واخراجه كتاب الشيوعية المقدس : « رأس المال » وهو كتاب صعب الاسلوب يقوم على ما يشبه المعادلات الرياضية ولقد عكف على هذا الكتاب تلميذ

مخلص هو « لينين » . ويحكي انه وعاه بدرجة تفوق على كاتبه ، وكان هو الاخر يهوديا قد حكم على اخيه بالقتل لاتهامه بحركة ضد القيصر الروسي ، ففر « فلادمير لينين » يجوب اوروبا ؛ وكانت الحالة السياسية والاقتصادية في روسيا بالاضافة الى ذوي الارهاب الراسبوتيني قد مهدت لقيام انقلاب خطير ، استولى فيه العمال على السلطة ، والحديث يطول عن الشيوعيين ، ولكن نكتفي هنا بنقطتين اساسيتين الاولى : ليست دفاعا عن القيصرية بالطبع ولكنها اعلان حقيقة . وهي ان المحفل الامريكاني الماسوني ، الذي يدير الماسونية الكونية وكل اعضائه من أعاظم زعماء اليهود وحدهم ، عقد مؤتمرا قرر فيه خمسة من اليهود اصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية بانفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودي لاثارة الثورة في روسيا ، وهؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم « اسحاق وموتيمر وشستر وليفي ورون » وكان المال مفروضا للدعاية واثارة الصحافة العالمية على القيصرية ، هذه الاموال هي التي غذت الثورة الشيوعية الثانية .

وفي عام واحد وخمسين وتسعمائة والف كان المجلس الشيوعي الذي يحكم روسيا مكونا من سبعة عشر عضوا على رأسهم ستالين والباقي يهود عدا « فيرشيلوف ومولوتوف » .

ولكن زوجتيهما من اليهود ، علاوة على هذا فكارل ماركس مؤسس الحركة الشيوعية يهودي ، ولا نريد ان نعلق ، ولكن هل كل هذه الاشياء صدق ؟ وما تعودنا ان نتكلم بهذه اللهجة ، لاننا لا نعادي اليهودية كدين ، ولكن كحركات عنصرية استعمارية ، والجواب مطلوب من الشيوعيين العرب .

وحكايتهم مع الامة العربية ليس فيها ما يشرف ، فقد دخلت الشيوعية مصر في اوائل العشرينات من هذا القرن عن طريق مجموعة جلبهم اليهود واتخذوها ستارا للعمل ضمن مخطط للحركة الصهيونية ، وكان اليهود قد اخذوا على عاتقهم مهمة نشر الشيوعية في الوطن العربي ، لان ذلك سيساعدهم على انشاء وطن قومي لهم في فلسطين . ثم بدأ انتشارهم في ظروف كانت مهيأة لهم ، فالوطن العربي تحت الاحتلال ، وما استقل منه لم يكن في المستوى الذي يمكنه من مواجهة مخططات من هذا النوع ، وقد قام تحركهم على تقسيم المجتمع الى شرائح اجتماعية وطائفية ، اما الاجتماعية فكانت في اوساط العمال الذين كانوا يعانون الوانا بليغة من الفاقة في ظل الانظمة الرجعية بدغدغة امانيهم واحلامهم بالاشتراكية الا أن امتدادهم كان محدودا ، وكان ينظر اليهم نظرة الريبة والحذر ، حتى الذين استجابوا لهم لم تطل استجابتهم فبمجرد ان اكتشفوا حقيقة ما يخفونه وراء دعوتهم انفضوا رافضين ، اما الشرائح الدينية ، فقد اختاروا طوائف معينة بدعوى انها ليست عربية وحاولوا عزلها عن المجتمع ،

والنقطة الثانية : قضية هجرة اليهود السوفيت الى فلسطين المحتلة كيف

وبأي منطق يبرر هذا ؟ . انه عدم التزام الماركسيين بالامية التي جاءوا بها وتحللهم من قوميتهم لانهم يرفعون شعارات لا يطبقونها ، وهذا هو « لينين » الذي ارتبطت به الماركسية تطبيقا يقول عام الف وتسعمائة واربعة عشر هل ترى اننا نحن « البروليتاريين » في روسيا نحس بان الاعتزاز القومي غريب علينا ؟ لا والف لا ! فنحن نتعشق لغتنا ونحب بلادنا ونبذل قصارى جهدنا للرفع من شأن جماهيرنا الكادحة ، لنصل الى مرحلة الوعي الديمقراطي الاشتراكي ، ونحن نحس بالالم اكثر من غيرنا لما نراه من اضطهاد وذل يحيط ببلادنا على ايدي القيصر ورجاله ونبلائه ورأسماليته ، فنحن شديدو الاعتزاز ، ولذا فنحن نكره ماضينا الذليل ، وحاضرنا المستعبد .

ان التقدم الاقتصادي في اوربا كانت نتيجته ضد تقدم الانسان ، لانه سلبه شخصيته وارادته ، والذي ينظر الى المؤسسات الاقتصادية الكبيرة ، ويتبع سير فروع اعمالها ، يجدها تستغل الانسان ابشع استغلال ، وتأخذ منه كل وقته ، ولذا كان « شارل ديجول » سباقا عندما قال ان الحضارة الديناميكية معناها : انها تقيد الانسان ؛ وانها تثقل عليه بحيث لا يفكر في مصيره .

ان الدول الكبرى رغم تقدمها ، لم تفكر في تغيير اسلوب حياة الانسان الى الافضل ، بحيث تنعم بقسط من الحرية واكتشاف الذات ، ولقد تحدثت عن سقوط النظام الماركسي لانه قام على اساس عنصري لغرض خاص ، وبقي ان اثبت ان المجتمع الرأسمالي ينهار ، والشباب الامريكي يفقد نفسه ، وكوارث الطبيعة لا تحير المربين ، ولا تزعج علماء الاجتماع ، ولا تثير من الاهتمام الا بقدر الجهد الذي يبذله لمواجهة خسائرها بالاعتمادات المالية واعمال الاغاثة ، ولكن الكارثة التي تواجهها امريكا الان من النوع الذي يصعب معالجته ، ولا تقف خسائرها عند حد معين ، كفقد الارواح والممتلكات بل يتعدى ذلك لتمس حضارة الامة ومستقبلها في الصميم ..

السوس ينخر في نظام الكيان الأمريكي الذي لا يهمه مصلحة المجتمع ولا يهمه الا الربح المادي ولو بشراء أسلحة توجه الى صدور الشعوب ، لذلك ينهدم الهيكل الحضاري الهش والمخدرات في ادمان ، وهذه المشكلة بدلالتها الاخلاقية لها ابعاد عميقة ، وتوضح فشل فلسفة التربية الامريكية في تحقيق اهدافها واشباع غايات المجتمع منها وخطورتها ، ولا سيما اذا كانت تتعلق بالاطفال في سن المراهقة ، ولا يقتصر على الدراسة و « تفريخ » جيل من المنحرفين فحسب بل يتعداها الى مصير الامة كلها .

واذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

في النظامين الماركسي والرأسمالي وضعت حرية الفكر والقلم في خدمة الاغراض الحزبية والتخريبية ، حيث تجند المخابرات الامريكية جيشا من العلماء لصنع ادوات الدمار وجيشا في تدبير المؤامرات ، وكذلك يفعل الاتحاد السوفيتي

وغيرهما من الدول الأخرى .

هناك ـ كما اسلفنا ـ تجربتان أثبتتا أن الحرية وهم عند الغربيين والشرقيين ، فالغربية انتهت الى الديمقراطية كما أسموها ، والشرقية انتهت الى شكل الحكم في الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشيوعي ، وقد لازم التجربتين في حركة نضالهما التحرري نضال رءوس الاموال في أيدي البيوتات الصناعية ، وقامت عليها طبقة من العمال تعيش من قوة عملها او اقطاعات زراعية قامت عليها طبقة من الفلاحين تعيش ايضا من ناتج عملها ، والديكتاتورية في روسيا دكتاتورية الطبقة العمالية تملي على الشعب ما تشاء ولكن هل زعماء الكرملين يعيشون كما يعيش سواهم ؟ لا والف لا ! انهم يعيشون في رغد من العيش وبحبوحة من النعيم ، بينما كثرة الشعب تطحنهم تروس البؤس وتطويهم عجلات الشقاء ، لا شفقة عليهم ، ولا احسان اليهم ، ولا تقدير لانسانيتهم ، ولا مراعاة لمشاعرهم .

ولقد وقف خروشوف يوما وكان جريئا فاخذ قطعتين من حديد ، وصار يضرب احداهما بالأخرى ، ثم استعدى أحد الجالسين وصفعه على وجهه عدة صفعات ، فحاول ان يدافع عن نفسه عندها قال خروشوف كلمة مشهورة ومسجلة وهذا في المؤتمر الأخير للحزب الشيوعي ، قال : الى ان يكون الانسان كهذه الالة او كهذه الاداة او كهذا الجماد لا يحس ، يمكنني ان أتعامل معه كما اتعامل مع هذا .

اذا كانت الاشتراكية الشيوعية او الماركسية لا تحقق للانسان في روسيا وفي ظلها ما حققته الرأسمالية في الدول الاسكندنافية ، فانا سأفرق بطاقة الحزب الشيوعي ، هذا كان اول تراجع مسجل وفيه الخفة بنظام ستالين فانهارت الماركسية ، علما بان الذرة لا يوجد في داخلها صراع كالانسان .. ! الرأسمالية حلت المشكل الاقتصادي باطلاق الملكية الفردية الى ما لا نهاية ، والرأسمالية تحولت الى طاحونة تطحن المجتمع الرأسمالي وتحول الفرد الى ترس في عجلة الرأسمالية ، هي التي تثير الحروب وتوجه السياسة ، وهي التي تجلب التعاسة للعالم في كثير من الاماكن .. والشيوعية تجربة مضادة للرأسمالية وهي اقصى اليسار ، واعتبرت نفسها حلت المشكل الاقتصادي بالغاء الملكية الخاصة ، وطبقت هذه التجربة ورأينا الفرد تحول ايضا الى ترس في عجلتها ، واصبح الحزب الشيوعي في البلاد الشيوعية يمثل السلطة ، ويملك الثروة في البلاد الشيوعية مثل الطبقة الرأسمالية .

لا بد من حل جديد ، فالاشتراكية هي التي تتيح الفرصة لارادة الانسان وهي التي تكون حلا باستمرار ، وليس هناك غير اشتراكية واحدة هي العدل الاجتماعي ، الذي يمنع استغلال الفرد للفرد او سيطرة طبقة على طبقة ، وهي التقاسم في الخير والتشارك في النعمة ، تسمح بنزع الملكية احيانا والتأميم ، ووضع قيود على الملكية في حالة ثالثة ، وبالتأمين والضرائب التصاعدية . والاديان كلها تقف بجانب هذه العادلة الاجتماعية ، تلغي الاستغلال ، وفي القرآن الكريم كتاب البشرية الامجد من الايات ما يكشف بجلاء عن نظرية الاسم للمال ، فالمال

هو مال الله ، اي انه ملك عام فالمولى سبحانه يقول **(وآتوهم من مال الله الذي اتاكم)** النور / ٣٣ وقال عز وجل :**(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** الحديد / ٧ فالقول بان المال مال الله وان الناس ليسوا سوى امناء وحراس عليه ، هو قول لم يصل اليه مذهب من المذاهب الاشتراكية الحديثة ، لان ترجمته بلغة هذه الايام هو « المال وظيفة عامة وليس ميزة شخصية » فاذا أضفنا اليه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم واحمد ادركنا ان مازاد عن حاجة الانسان يجب ان يكون في خدمة غيره وان الاستئثار به لا تقره روح الاسلام .

ولننتقل الى « النازية » التي ظهرت في بداية العقد الرابع من القرن الحالي وبلغت اقصى نجاح لها ، ولم يكن نجاحها عسكريا فقط بل قد بلغ حد الاعجاز البشري اذ حاربت المانيا بفضله كل القوى الحربية في العالم المتمدين فهزتها جميعا ، ولكن الجانب العسكري لم يكن سوى الوجه الظاهر لحشد هائل من ملكات التفكير والتقييم والاختراع والاحتيال والالهام والتأثير في دروب الحكم والاقتصاد والدعاوى والتمويل والنقل والمواصلات والطباعة والنشر والحرب النفسية . بلغ اقصى نجاحه حينما ضم اليه كبار رجال السياسة والفكر واجتمعت كل السلطات في يدها واجتمعت سلطات الحرب في زعيم كان متجردا للمصلحة العامة ويفيض حبا لبلاده ، ولكن انصاره قالوا عنه انه زعيم معصوم ، خلبت النازية انظار العالم واوهمته بانه نظام جدير بالحياة وقادر على البقاء ، بل انه الحل الاسمى لازمة اوروبا والغرب كله ، ولكن لم يقدر لهذا النظام البقاء بعد الحرب العالمية الثانية ، لانه قام على العنصرية والتهديد . هدد « هتلر » القسس حينما نادوا بالتقوى والعمل الصالح لان هذا يتنافى مع نظريته العنصرية التي اساس التفاضل فيها الجنس « المانيا فوق الجميع » فانصرف رجال الكنيسة الى الحياة الاخرى وتركوا الدنيا .

في التربية عرف هتلر الاعمال التربوية وكان يقول للناس : ان رجلا سليما معافى هو افضل من رجل مريض مهما كانت مقوماته العقلية ، كان يتجه الى دعم قوى الرياضة لانه يؤدي الى قوة الجسد ، وطلب من المؤرخين ان يفسروا التاريخ تفسيرا تتجه فيه الناحية العنصرية اتجاها اخر باعتبار ان الشعب متفوق .

وطلب من العلماء ايضا ان يقولوا ولو بالتزييف ان الشعب الآري متفوق ، وكانوا يكتبون باللغة الانجليزية على السلع : صنعت في المانيا فاشترها فهي جيدة ، هنا تحول مخطط ، يتجه فيه الشعب نحو الوضع الافضل في تصوره ، اقول هذا لانني « ابغض العنصرية » لان اصحابها يعتبرون انفسهم اوصياء على الشعوب . نلاحظ في هذه النظم ان القسوة والقمع هي سبيل المحافظة على الايديولوجية وهي من صنع بشر ولكنها تحاط بقدسية المبدأ الذي يقول : الدولة التي تسمح بنقاش تسمح بالنقاش فيما يتصل بتطبيق المبدأ لا بالمبدأ نفسه ، هذه

مقررات الاوصياء **ولها ملامح خمسة** :

١ ـ لا تمتد بجذورها الى ثقافة المجتمع .

٢ ـ تحاط بجو من القدسية والحماية عن طريق القمع والقهر .

٣ ـ يتبنى ايديولوجيتها حزب غير مفتوح .

٤ ـ تهتم بالناشئة اكثر .

٥ ـ لا تهيء الفرصة للحوار والمناقشة وصولا الى الاجتماع .

فاين هذا من الثورات الشرعية المنبثقة من القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان القادرة على هداية الانسان واضاءة حياته بنور الايمان من اجل الخير تقوم على مبدأ الشورى : (**وشاورهم في الأمر**) ال عمران / ١٥٩

والقرآن الكريم يقول : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) والألمان يقولون : « المانيا فوق الجميع » وهناك فرق كبير بين المعنيين ولكنه فارق روحي ، ولكن اذا اخذنا الالفاظ على ظاهرها فقد نجد تشابها أن هؤلاء النازيين يريدون ان يرفعوا زعيمهم الى المكان الذي رفع الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (**اطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) النساء / ٥٩ وهيهات ان يصل زعيمهم الى موطىء قدم الرسول فهذا موحى اليه وقد اختارته العناية الالهية واذا كانت الثورة الفرنسية قد قامت لتحرير المواطن الفرنسي في اواخر القرن الثامن عشر ونادت بالحرية والاخاء والمساواة ، فليست مبادىء جديدة ، وقد جاء بها الاسلام منذ اربعة عشر قرنا ، جاء الاسلام وكان سموا بالذات العربية بل قتلا لحدة الشر في النفس الانسانية وتغليبا لجانب الخير في الجانب الفردي ، فكان منهجا تجلت فيه ادق المعاني الانضباطية والنظامية في الجانب الاجتماعي منتظما في ظل التربية النبيلة الروحية للفرد ومنسجما ومتجاوبا مع تطلعاتها الحياتية . بحيث يكون تنفيذ هذه التطلعات خاضعا لروحية التربية وصادرا عن خلقية سلوكية تكبح جماح النفس ازاء مغريات المادة . واتزنت النفس العربية اتزانا عميقا في ظل الاسلام وشموليته ، فأصبح فعلها المادي محكوما بهذا الاتزان الشمولي ، وصفت صفاء جعلها في ظل شمولية الاسلام تستشرق عالم الكون بشفافية مكنتها ان تعرف معنى وابعاد اتجاهها نحو السمو الروحي ، وهو القصد من هذه الحركة ، ثم كان على الجانب الاخر المنهج الحياتي لهذه النفس المهذبة كيف تحقق خلافتها لله في الارض ؟ وكيف تنظم هذه الخلافة للمجموعة الانسانية ؟ ثم قبل هذا كيف ينطلق الانسان العربي ليحملها نورا يبدد الظلام ومعرفة تبدد اليأس وتوحيدا يمزق جدران الشرك ، وامنا واطمئنانا يريح النفس مما هي فيه من قلق واضطراب ؟

لهذا خرج العرب ، ومن اجل خير الانسان قاتلوا ، ولكي تنتظم الانسانية كلها في ظلال المثل والروح تشرق شمس الاسلام ويعمر بالمحبة ، تظلها رايات العدل ، تحمل العرب عبء الرسالة : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران / ١١٠



من معاني الاسرة ـ كما في معجمات اللغة العربية ـ : الدرع الحصينة ، وأقارب الرجل الادنون ، وأهل بيته ، الذين يتقوى ويحتمي بهم ، كما يحتمي المحارب بالدرع ، ومن المجاز البليغ ـ كما قال الزمخشري ـ قولهم : شد الله أسره ، اي قوى احكام خلقته .

والاسرة في التاريخ القديم ، وعند اكثر الامم ، اعتبروها وحدة اجتماعية ، يرأسها الاب ، وكان العرب يعتبرون القبيلة ، هي الوحدة السياسية والاجتماعية ، كما قال « سمث » ـ، وقال « روبرت لوى » : انهم كانوا يعتبرون الاسرة ، هي الوحدة الاجتماعية الصغرى ، التي نمت بعد ذلك حتى صارت عشيرة او قبيلة ، وقد ذهب بعض الباحثين الى ان عرب الجاهلية ، لم يعرفوا زواجا مستمرا ، ترتبط فيه المرأة برجل معين ، والى اجل غير مسمى ، لانهم كانوا يجرون على نظام النكاح المؤقت .. الذي ظل شائعا بينهم ، حتى جاء الاسلام ، فأباحه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لاصحابه فترة من الزمان ، عرف فيها هذا النكاح المؤقت باسم « نكاح المتعة » ، كما ذهبوا الى شيوع الاباحية الجنسية عند العرب قبل الاسلام وذلك ما سجله المؤرخ العريق « سترابون » في معجمه الجغرافي ، على العرب في بلاد اليمن ، غير ان الباحثين المحققين قديما وحديثا ، قد اثبتوا بطلان ما سجله « سترابون » هذا ، وأثبتوا ان علاقة الرجل بالمرأة في العصر الجاهلي ، كانت لها نظم اربعة أشار اليها الحديث الصحيح ،

في الجاهلية والاسلام

للاستاذ : الغزالي حرب

بلسان السيدة عائشة ام المؤمنين التي قالت ـ رضي الله عنها ـ : ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء :

أ) فنكاح منها نكاح الناس اليوم .
ب) والنكاح الثاني كانوا يسمونه نكاح الاستبضاع ، وهو ان يقول الرجل لامرأته ، اذا طهرت من حيضها : ارسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ثم يعتزلها زوجها جنسيا ، حتى يظهر حملها من ذلك الرجل ، فاذا ولدت منه ، نسب الولد الى ابيه لا الى امه ، وهذا النكاح لم يكن شائعا عند العرب ، ولا مقصورا عليهم ، كما سنبين ذلك قريبا .

جـ) والنكاح الثالث نكاح المشاركة او الرهط ، وهو ان يجتمع رجال دون العشرة ، فيدخلوا على المرأة ، ليصيبها كل منهم .. فاذا وضعت حملها ، اجتمعوا عندها ، لتختار منهم من تلحق به ولده وولدها ، وهذا النكاح الثالث كان دخيلا على العرب من الفرس في أثناء حكمهم لليمن ، وتسلطهم على الحيرة قريبا من الكوفة ، في عهد الساسانيين .
د) والنكاح الرابع كان نكاح الاماء البغايا ، اللائى كن دخيلات على العرب ، الذين كانت أغلبيتهم العظمى ، لا يعترفون الا بالنكاح الاول المشروع ، الذي اقره الاسلام ـ فيما أقر ـ من النظم الجاهلية التي لم ير بها بأسا في مجموعها ، وأدخل عليها ما أدخل من التعديل ، والتنظيم ، والتهذيب ، لانه وحي السماء ، الذي لم يبح مثلا ـ وحاشاه ـ نكاح الاستبضاع ، الذي اباحه افلاطون في جمهوريته ، كما أباحه

ليكورغ مشرع أسبرطه ، وأباحته شريعة سولون للمرأة التي يعجز زوجها عن معاشرتها جنسيا ، وأقرته شريعة مانو للهنود .. وكل هذه الشرائع الوضعية لا قيمة لها ، ولا عبرة بها ، في جنب الاسلام شريعة السماء وخاتمة الديانات : ولا يستوي وحي من الله منزل .. وقافية في العالمين شرود !!

وما أهم ما أنكره الاسلام ، على نظام الاسرة في العصر الجاهلي ، منذ اللحظة الأولى لقيام هذا النظام ؟ وما أهم التعديلات أو البدائل الاسلامية التي بفضلها صار هذا النظام اسلاميا بعد ان كان جاهليا ؟

أولا : انكر الاسلام على عرب الجاهلية - اول ما أنكر - اعتبارهم عقد الزواج ، صفقة تجارية ومن هنا وصفوا الانثى عقب مولدها بأنها « النافجة » قائلين في التهنئة بمولدها : هنيئا لك النافجة « وذلك ما سارت به أمثالهم العربية ، ومعنى النافجة : التي تنفج مالك وتزيده ، بما تأخذه من مهرها - وهو العوض الذي يدفع لأهلها - وبما تأخذه من صداقها - وهو العوض الذي يدفعه الرجل لها هي وبفضل الصداق والمهر ينتفج حال والد العروس ويتضخم ، وانصافا للحقيقة والتاريخ ، نقرر أن بعض سادات العرب واشرافهم ، كانوا يأنفون من تضخيم ثرواتهم واموالهم بمهر او صداق ، ومن هنا فخرت احدى الزوجات العربيات ، بأن زوجها ووالد بناتها ، لا يأخذ مهرا أو صداقا مما كانوا يسمونه « حلوانا » وفي ذلك قالت هذه الزوج الام الفخور بزوجها المتعفف .

« لا يأخذ الحلوان من بناته » كما قال زوج عربي يفخر بذلك أيضا :

وليس تلادى من وراثة والدى
ولا شاء مالى مستفاد النوافج

وبقدر ما أنكر الاسلام ، اعتبار عقد الزواج صفقة تجارية ، خلع على هذا العقد من القداسة والتكريم ما لم يخلع على عقد سواه :

أ) فهو آية كونية عالمية شاملة لبني الانسان وغيرهم (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس /٣٦ .

ب) وطرفاه - وهما الذكر والانثى - جديران بالقسم بهما ، والتكريم لهما ، شأنهما في ذلك شأن الآيات الكونية التي اقسم الله بها قائلا : (**والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . إن سعيكم لشتى .**) الليل /١ - ٤

جـ) وهو العقدة الوثقى ، والميثاق الغليظ ، الذي وصف القرآن الكريم به اثنين لا ثالث لهما : وهما العهد الرباني الاول الذي اخذه الله على انبيائه ورسله ، وعقد الزواج ، قائلا : (**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**) الأحزاب/٧ وقائلا ايضا سبحانه (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا.وكيف تأخذونه**

وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا .) النساء / ٢٠-٢١

ثانيا : هذا الميثاق الزوجي الغليظ ، أقامه الادب الاسلامي القرآني ، على امتن الدعائم واقوى الاسس الاجتماعية ، وهي السكينة والمودة ، والرحمة ، مصداقا لقوله تعالى (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم / ٢١ .

ثالثا : في ظلال هذه السكينة والمودة والرحمة ، المتبادلة بين الزوجين المسلمين المتحابين أقر القرآن الكريم العيون ، وشرح الصدور وأنار الأبصار والبصائر ، بالدعوات الصالحات المتوهجات بنور الامل والرجاء ، في الذرية الصالحة ، والخلف (بفتح اللام) الطيب قائلا : (**هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**) آل عمران / ٣٨ (**فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا**) مريم / ٥-٦(**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان / ٧٤ .

رابعا : ولم يفت الاسلام ـ بادىء ذي بدء ـ ان ينكر على أهل الجاهلية ، مغالاتهم في المهر والصداق ، اللذين كانوا يفرقون بينهما ، بأن المهر هو العوض الذي يدفع لأهل المرأة ، والصداق هو العوض الذي يدفعه الزوج للزوجة نفسها ، وما أقوى الدعاء المحمدي الشريف الحاسم الذي يقول : اللهم اذهب ملك غسان ، وضع مهور كندة » ومعلوم ان اهل قبيلة « كندة » ، كانوا يغالون في مهور العرائس ، الى درجة ان العروس الكندية ، كان مهرها احيانا لا يقل عن الف من الابل ، وتلك هي الروح التجارية المادية ، التي اعلن الاسلام الحرب عليها بإنسانيته وسماحته وبساطته ، حتى يقيم الاسرة على أساس انساني ، لا على أساس تجاري ، بمثل قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلا لسهل بن سعد عندما أراد الزواج : اذهب فاطلب ـ ولو خاتما من حديد ـ قال : يا رسول الله ، ما وجدت شيئا ولا خاتما من حديد ، فسأله الرسول الانسان الاعظم : هل معك من القرآن شيء ؟ قال : معي سورة كذا ، وسورة كذا .. قال : اذهب فقد انكحتكها بما معك من القرآن ، ومثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ايضا : خير النساء أيسرهن صداقا » وكما زوج الرسول سهل بن سعد بما كان معه من القرآن ، زوج رجلا آخر بدون مهر اكثر من ان يعلم زوجته اربع سور او خمسا من كتاب الله ـ كما روى ابن عباس ـ أو يعلمها عشرين آية ـ كما روى ابو هريرة ـ، وبهذه الروح الاسلامية الاصيلة ، تشبع فاروق الاسلام عمر بن الخطاب ، في كلمته الصادقة الواقعية الملهمة : « لا تغالوا في صدقات النساء ، فانه لو كان تقوى لله ، او مكرمة في الدنيا ، لكان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولانا بذلك ، فما أصدق نساءه ولا بناته اكثر من

اثنتي عشرة أوقية » ، ثم تشبع بها فقهاء الاسلام الذين قدروا المهر الشرعي ، بما لا يزيد عن خمسة وعشرين قرشا مصريا ومن شواهد الوسطية الاسلامية في اتزانها واعتدالها ، انها لم ترض المغالاة في المهر ، وفي الوقت نفسه لم ترض الحرمان نهائيا من المهر ، ومن هنا حرم فقهاء الاسلام ما يعرف باسم « نكاح الشغار » ، الذي سمى بهذا الاسم لانه شاغر وخال من المهر كلية ، لأنه قائم على اتفاق بين رجلين ، على أن يزوج كل منهما الآخر ابنته أو أخته ، بدون مهر مطلقا وحسب الطرفين هذا التبادل بينهما .. فان تم هذا النكاح المحرم - وهو نكاح الشغار - فهنا يوجب الاسلام مهر المثل لكل من هاتين الزوجتين ، وإلا فالزواج باطل شرعا .

ب) ومن شواهد الوسطية الاسلامية ايضا ، ان الاسلام لم ينكر على الجاهلية ، تعدد الزوجات - من حيث المبدأ - وانما أنكر عليها الفوضى في تعدد الزوجات ، فقد جاء الاسلام فوجد في قبيلة ثقيف وحدها ، رجالا لدى كل منهم عشر زوجات ، كمسعود بن معقب ، وعروة بن مسعود ، وسفيان بن عبد الله ، وابي عقيل مسعود بن عامر ، وغيلان بن سلمة ، فلما أسلم غيلان ، وسفيان ، وأبو عقيل ، نزل كل منهم عن ست زوجات وامسك أربعا ، ولكثرة الازواج الذين تزوجوا اكثر من اربع نساء في الجاهلية ، الف فيهن ابو الحسن المدائنى كتابا مستقلا عنوانه « من جمع اكثر من اربع » ، ومن سماحة الفقه الاسلامي ومرونته التي كان بها صالحا لكل زمان ومكان ، أنه اعتبر تعدد الزوجات ، خاضعا في الحكم الشرعي ، للظروف والاعتبارات الاجتماعية التي تحيط بالفرد والاسرة والامة ، فهو إما مباح ، وإما مكروه ، واما حرام ،- كما حقق ذلك الفقهاء قديما وحديثا ، ولا سيما الشيخ محمد امين صاحب الحاشية المشهورة باسم « حاشية ابن عابدين » في فقه الاحناف ، ولا شك في ان المنصفين الموضوعيين - حتى من غير المسلمين - يعتبرون تعدد الزوجات في الاطار الاسلامي المحكم المعتدل العادل ، خيرا من تعدد العشيقات ، في النظم الغربية المتحللة ، التي ندد بها كثير من الكتاب والباحثين الاجتماعيين شرقا وغربا ، ومنهم - على سبيل التمثيل لا الحصر - جوستاف لوبون ، الذي وصف نظام العقود الاسلامي بانه « نظام حسن ، ويرفع المستوى الاخلاقي في الأمم التي تدين به ، ويزيد الاسر ارتباطا ، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تجدهما في أوروبا ».

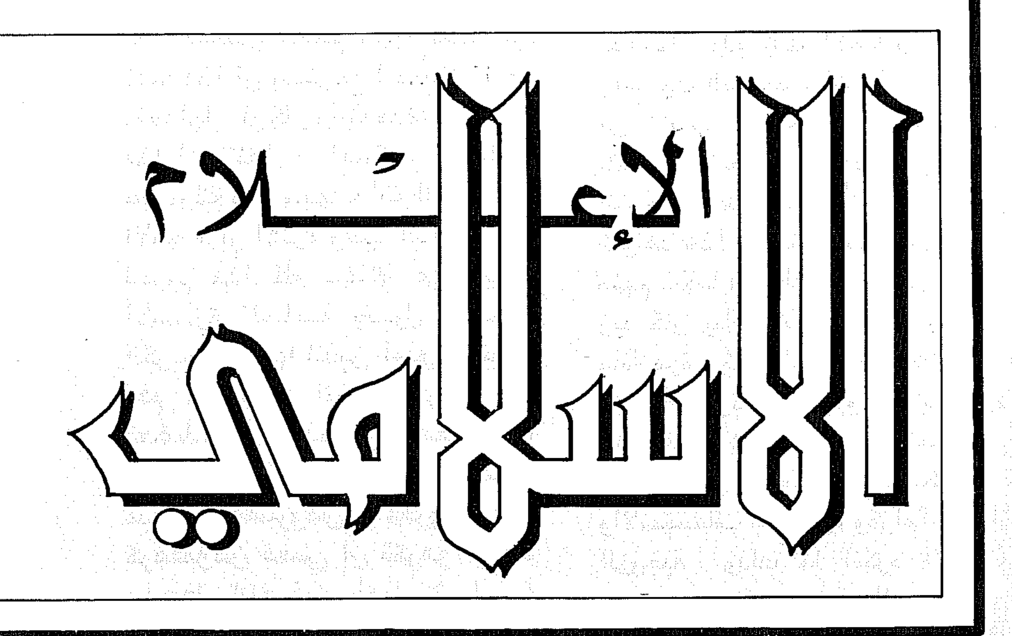
خامسا : ولم يفت الاسلام - بادىء ذى بدء أيضا - ان ينكر على بعض القبائل العربية ، انها كانت لا تكتفي بحرمان المرأة من الميراث - وان كانت زوجة وأما ، وانما كانت تعتبرها هي نفسها ميراثا يورث عن زوجها المتوفى ، وكانت لا تتورع عن عضلها والتضييق عليها بمنعها من الزواج في

حياة زوجها او بعد وفاته ـ سواء أكان هذا العاضل الظالم زوجا هدفه من ظلمه هذا أن يسترجع الصداق الذي دفعه لها ، أو كان وارثا هدفه من ظلمه هذا أن تتنازل له المسكينة الارملة ، عما ورثته من زوجها بدافع الغيرة ، أو الأنفة ، أو الأثرة وحب الذات ، وفي تحريم هذا كله حفاظا على كيان الاسرة المسلمة يقول القرآن الكريم :(**يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ألا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ..) النساء / ١٩

وفي تفسير هذه الاية الكريمة ، قال الطبري : « ان ابن الزوج المتوف او قريبه ، كان يعضل امرأته فيمنعها من الزواج من غيره ، حتى تموت او ترد اليه صداقها فداء لها ... وقال الزمخشري : « ان الرجل كان اذا تزوج امرأة ، ولم توافقه ، حبسها مع سوء العشرة ، والقهر ، حتى تفتدي منه بمالها وتختلع ،، » ، وانصافا هنا للحقيقة والتاريخ ، نذكر القراء ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بأن هذه المنكرات التي أنكرها الاسلام على بعض القبائل العربية ، ليكفل للاسرة استقرارها العائلي المنشود ، لم تكن مقصورة على هؤلاء العرب ، فقد كان العبريون يعتبرون المرأة جزءا من متاع الرجل ، تورث كما يورث ما خلفه ، وللوارث ان يبيعها او يعضلها ويضيق عليها ..

سادسا : ولم يفت الاسلام ايضا ـ وهنا بيت القصيد ـ ان ينكر على كثير من العرب في الجاهلية استخفافهم بقداسة الحياة الزوجية ، وكرامة الزوجة المغلوبة على امرها ، ومن شواهد هذا الاستخفاف ، ان الرجل منهم ـ كما قال الفخر الرازي ، وابن زيد كان يطلق امرأته ألف مرة ، أو مائة مرة ، ثم يراجعها بعد كل مرة ، ان أراد ، ولا حسيب ولا رقيب ، ولا معروف ولا احسان ، وانما هي المضارة للزوجة المسكينة ، والاستخفاف بكرامتها وكرامة الحياة الزوجية ، وذلك ما أنكره الاسلام عليهم أيما انكار ، يقول الله ـ تعالى : (**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**) البقرة / ٢٢٩

وفي ظلال هذا التشريع القرآني الكريم المحكم الخالد على الزمان ، كفل الفقه الاسلامي للزوجة حقها تاما كاملا ، في ان تشترط على زوجها في عقد الزواج ، جعل العصمة بيدها ، وأباح لها ـ اذا لم تكن العصمة بيدها ـ ان تفتدي حريتها ، بما تدفعه لزوجها من مال ، باسم « الخلع » ، ما دام هنالك مبرر معقول ، ومسوغ شرعي مقبول ، كالغيبة الطويلة ، او العجز الجنسي ، او سوء العشرة ، او تعذر التجاوب العاطفي بينها وبين زوجها ، او نحو ذلك مما فصلته كتب الفقه الاسلامي ، في واقعية وموضوعية والى لقاء قريب ـ ان شاء الله .



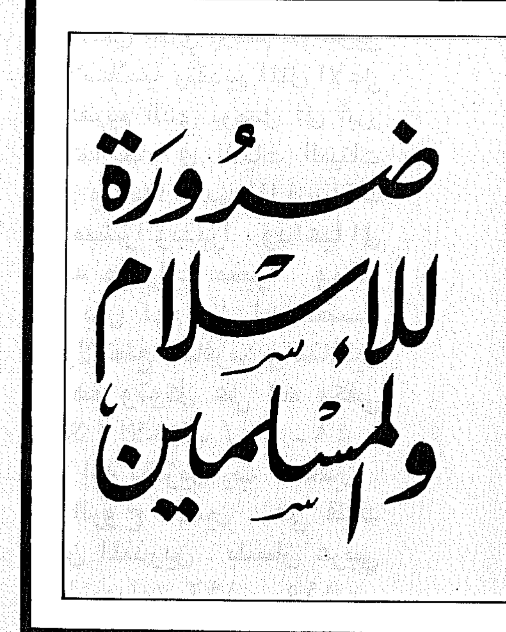
ان الحاجة ماسة اليوم الى اعلام اسلامي متميز عن الاعلام الغربي بنظرياته التقليدية التي تخدم بلاده ولا تحقق لنا أي شيء سوى أن نتعلم مبادىء وقيم بعيدة عن صدق الكلمة وإيثار الحق . يجب أن نتعدى مرحلة الأحاديث ونبدأ على الفور في التخطيط من منطلق منهج علمي يرسم لنا استراتيجية طويلة المدى ، ولتكن النهضة التكنولوجية في مجال الاتصال وأجهزته احدى وسائلنا لتحقيق هذا الهدف الذي يفرض نفسه علينا ...

أولا : التصدي للحملات التي يتعرض لها الاسلام ... وثانيا : تأسيس اعلام جديد يخدم الاسلام والمسلمين .

اننا نعيش الآن تحديات يتعرض لها الاسلام وتحيط به وبنا من كل جانب ...

أولها : اعتبار الديانات أفيون الشعوب وانه لا نفع من التمسك بها خاصة الدين الاسلامي ..

ثانيها : محاولة جعل الانسان ماديا وجعل القيمة للمجتمع ... أما



للاستاذ / محمد عبد الحميد

قيمة الانسان وحريته وكرامته فلا مكان لها على الاطلاق ...

وثالثها : ان الاسلام جامد ولا يصلح للعصر الحديث وانه يتعارض مع تطور المدنية ...

ورابعها : وصف الاسلام بأنه صورة متكررة من الديانات التي سبقته ، وهو ما قام عليه مفهوم بعض علماء الأديان المقارنة لاعلاء شأن دياناتهم ...

وخامسها : تشجيع الرغبات الجسدية من منطلق مفهوم الحرية التي يجيزونها لهذه الرغبات ويحرمونها على السلوك والانتاج الانساني ...

وسادسها : التبشير الغربي القائم على التضليل الفكري والتحلل الخلقي والالحاد الذي يجد متنفسا قويا وواضحا في الصحافة ووسائل الاعلام المتعددة كالسينما والمسرح والتلفاز والراديو والمعارض والكتب ...

سابعها : ان اللغة العربية الفصحى تواجه بوصفها لغة القرآن الكريم العديد من التحديات عن طريق اعلاء شأن العاميات واحياء اللهجات واللغات القديمة باستعمالها في وسائل الاعلام لوضع السدود والحيلولة دون فهم القرآن والاعتزاز والاهتمام بالتراث الاسلامي .

● الصحيفة الالهية

ولا شك أننا أمام كل هذه التحديات التي تهاجمنا بشكل مباشر أو غير مباشر وتتسرب الينا عبر العديد من القنوات الاعلامية الغربية .. تحتاج الى اعلام اسلامي لعرض الفكر الاسلامي ونشر المعرفة الصحيحة وتقديم الثقافة الاسلامية في اطار متطور جاذب وليس طاردا حتى تتحقق الاهداف التي نبتغيها للأجيال الحاضرة والمستقبلة باعتبارها الدرع الواقي للدين والاسلام والمسلمين . ان الاعلام الاسلامي حقق في الماضي أهدافه ... ان الاسلام قد أدرك ما ينبغي أن يكون عليه الحال بين المسلمين في اجتماعاتهم المختلفة ... وفي اتصالهم وفي كل ما يخص أمورهم ... وضع الركائز القوية والمعالم الواضحة ..

كان الاسلام منذ بدء ظهوره دين دعوة من الناحيتين النظرية والتطبيقية ... ان الوحي في حد ذاته بما يحويه من الصدق والقوة وعظمة الخالق يحمل اعلام الحق تبارك وتعالى لنبيه الكريم بحكم شرعي في قلب وعقل الرسول الكريم ليبلغه الى المؤمنين الذين انفتحت عقولهم وقلوبهم لهذه الرسالة الكبرى ... أيضا القرآن الكريم حسب المفهوم الاعلامي السائد أليس أكبر وأهم وسيلة اعلامية كونه الدستور الاكبر للبشرية الذي بين حدود الله وهاديا للناس كافة الى الصراط المستقيم .

لقد حوى القرآن الكريم قمة الاعلام في المصطلحات والمفاهيم والألفاظ الدالة على مختلف طرق وأساليب وأنماط الاعلام ... على سبيل المثال .. قول الحق تبارك وتعالى : (**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب**) . ابراهيم / ٥٢ . أيضا : (**عم يتساءلون . عن النبأ العظيم**) النبأ/ ١ و ٢ . أيضا (**هو الذي يصوركم في الأرحام**) آل عمران /٦ . كذلك : (**يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها**) الزلزلة/ ٤ و ٥ .

هذه الكلمات الربانية الخالدة فيها جميع أساليب الاعلام والدعاية المعروفة المدونة في الكتب الحديثة ... فيها الخبر ... فيها التوجيه والارشاد ... أيضا نجد أسلوب الأمثلة والشواهد التي جاءت به الكتب السماوية السابقة ... كذلك نجد أسلوب التوقع ... أيضا نجد الطريق الأمثل الذي يرسم لنا طريق الدعوة الاسلامية وتقديم المثل الأعلى والمنهج القويم الذي يوصل الى أبرز النتائج كما جاء في الآيات البينات التالية : (**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**) الأحزاب / ٤٥ ـ ٤٨ .. كذلك : (**إنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين**) الشعراء/ ١٩٢ ـ ١٩٥ ... أيضا : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) النحل /١٢٥ ... أيضا (**لا إكراه في الدين**) البقرة /٢٥٦ . هذه مجرد أمثال ... وإننا لنجد في كل آية ، الاعلام الصادق الأمين من رب العالمين حتى إننا لنقول بأن القرآن الكريم هو بحق صحيفة إلهية فوق كل الصحف يصدق فيها قول الحق تبارك وتعالى : (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء/٨٨ .

● الصدق والأمانة

ماذا في الأحاديث النبوية

الشريفة ؟ ... فيها الكثير .. فيها الصدق والمعلومات بل هي بحق مواثيق شرف لأعظم رسائل إعلامية بما تحويه من أدب الحديث ، بساطة التعبير ، التواضع ، احقاق الحق ، الايجابية في المواقف ، وضوح الايمان ، اكتساب محبة المستمع التي يتحلى بها رجل الاعلام وأيضا تحقيق الهدف المراد بقول هذه الأحاديث التي ما قيلت الا لتحقيق فائدة المسلمين الى يوم الدين . لقد توافر في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وتحقق فيهما ما يقوله الاعلاميون من أن أبرز مجموعة الاهداف التي تتجه اليها وسائل الاعلام على اختلافها مقروءة أو مسموعة أو مرئية هي : الاعلام أو الأخبار ، التوجيه والارشاد ، التفسير والايضاح والتثقيف .

ولنقرأ هذا الحديث الذي ينهى عن التعصب للنسب أو الجنس أو اللون : « دعوا الكسعة ، دعوها فانها منتنة » رواه البخاري وأحمد ومسلم . أيضا : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » . رواه أبو داود .. وفي الفضائل يقول صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » رواه أحمد والنسائي . وقوله : « عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة » . رواه الأصفهاني . وقوله : « ان الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ، ويكره سفسافها » رواه الطبراني . وقوله : « ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » . رواه أحمد والحاكم . وفي العلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، انما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذي وقوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي وابن عدي عن أنس بن مالك ... وباقي الأحاديث كل واحد فيه رسالة ذات هدف ، ونصيحة توجب الطاعة ، ومنهج يوجب الأخذ به ، وعلم يجب الاستفادة منه ، ونهي تجب عدم مخالفته ومعرفة يجب اتباعها ... هكذا هي الاحاديث النبوية الشريفة .

أيضاً تتمثل الوسائل الاعلامية فيما قاله الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وكلام كبار المحدثين والعلماء ، وخطب الخطباء ... وكانت الوسيلة لابراز ذلك كله ، المساجد ، اجتماع المسلمين في الصلاة والحج ، والاجتماعات العديدة والرسائل المختلفة التي كانت تبعث في المناسبات ... ثم الاعلام المباشر على هذه المستويات وغيرها .

هذا الزاد الكبير ... وهذا الزاد الرباني المتمثل في القرآن الكريم ... وهذا الكنز .. هذه الخزانة من المعرفة المتمثلة في الأحاديث النبوية الشريفة كيف لا نحافظ عليهما اليوم في مكانتهما الساشعة المرتفعة كما فعل الأوائل ... كيف نترك هذه الجحافل الملحدة تبعدهما عنا بنظريات دنيوية ... بنظريات اعلامية هي دونهما بكثير ؟؟ الا يحق لنا أن نتصدى لهم ... نأخذ منهم ونعطيهم بما هو أقوى وأشد تأثيرا .. اذا كان علمهم سيفسدنا ، بل انه كذلك ، فلنرده اليهم أشد وأقسى بالعلم والاقناع حتى يعرفوا ان الحق إلى جانبنا ... وأن حق ديننا علينا أن نصونه ونحميه حتى يبقى مصانا الى الأبد من أيدي العابثين .

● المنهج العلمي

كيف نصل الى اعلام اسلامي مثالي ونموذجي في آن واحد ؟ .. كيف نخطط ونتوصل الى منهج علمي يكون أساسا لاعلامنا الاسلامي الذي ننشده لجيلنا الحاضر والأجيال القادمة ؟ ... كيف نبني الحصن الاعلامي المسلم كي نصد هجمات الأعداء الذين يهدفون الى إبعادنا عن ديننا الذي يعرفون أهميته وقوته وشموليته وعالميته وأبديته ؟ ..

بين أيدينا نهضة تكنولوجية في مجال أجهزة الاتصال ... لدينا نهضة الترانستور ... لدينا أقمار الاتصال التي يسرت امكانية نقل الحدث لحظة وقوعه « مصورا » ، وليس مسموعا فقط كما هو الحال بالنسبة للراديو ... لدينا أيضا التلفزيون .. لدينا الكلمة المقروءة « الصحافة » ... وغيرها من وسائل الاعلام ... هل حقيقة قمنا باستغلال واستخدام هذه الوسائل لخدمة الدين الاسلامي ؟ ... هل استفدنا منها واستخدمناها في اعلامنا لهدفنا الأسمى للحفاظ على مبادىء الدين الاسلامي ؟ .

المسؤولية كبيرة ... والواجب أكبر أمام هذه الحملات الشرسة التي يشنها أعداء الاسلام لدين الله وصدق قول الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة :

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) ٢١٧ . ولاشك أن حاجتنا تصبح ملحة لتحقيق هدفين أساسيين :

الأول : أن نبدأ بأنفسنا ... فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتلقى شيئا دون أن نكون عارفين بأهميته في تشكيل مستقبلنا ... المعنى الاجمالي الشامل حول هذه الخصوصية هو قيام الاعلام بدوره المؤثر في خدمة الدين الاسلامي وتحقيق أهدافه ومبادئه وفضائله ... ذلك يتطلب تثقيف وتعليم المواطن المسلم لاعداده لتلقي ذلك الاعلام حتى لا يشعر بالغربة العقلية بالمقارنة بالاعلام الغربي الذي يمتاز بعناصر التشويق التي تشد القارىء وتحرك مشاعره وأحاسيسه ليبتلع الطعم أو الفكرة التي تقدم له في قالب أو قوالب براقة وجميلة .

اذا قمنا بذلك أصبحنا أقوياء .. أصبحت لدينا القدرة على التصدير .. أقصد بكلمة التصدير العطاء الخارجي لمواجهة هذه الحملات .. وتتحول الدعوة الى عملية اتصال بالمفهوم الاعلامي السليم ... وهذا يقتضي تقديم الدين للجماهير التي لم تتح لها فرصة معرفته أو فهمه بالشكل والصورة الواقعية .

السؤال الذي يفرض نفسه كيف نحقق هذه الأهداف ؟ ... وبشكل آخر ما هي الوسائل التي تساعدنا ويمكننا استخدامها لتحقيق هذه الأهداف ؟ هل هي فقط الصحافة والاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية « التلفزيون » ؟ ... هل نضيف اليها الكتاب والمعارض والمؤتمرات والندوات ؟ ... هل نضم اليها الأفلام بشتى أنواعها سواء الأفلام السينمائية أو التسجيلية أو الوثائقية ؟ ... هل نقدر أهمية ودور الاتصال الشخصي والجماهيري والتوسع في انشاء المراكز الاسلامية المتخصصة في الخارج ؟ ..

لا شك أن هذه الوسائل جميعها هامة .. بل هي على جانب كبير من الأهمية .. لأنها وسائل اعلامية متعارف عليها ... ومتفق على فاعلية الأدوار التي تلعبها في الاعلام الغربي ... ونحن لا بد أن نعرف قدرها ونقدرها ونخطط لتأثيرها في مجال الاعلام الاسلامي الذي ننشده ونبغي تحقيقه . ان استخدام هذه الوسائل لا يمكن أن يبدأ من فراغ ... ولا يمكن أن يتم بشكل منفرد تقوم به كل دولة اسلامية على حدة ... ولا يكفي في هذا المجال انعقاد المؤتمرات والندوات ثم اصدار التوصيات التي يجري تنفيذ جزء منها ثم ترك بقية الأجزاء ..

● الوسائل الاعلامية

إذن نحن مطالبون بانشاء الوسائل التالية :

* قمر صناعي اسلامي لاستخدامه في تزويدنا بكافة البرامج التليفزيونية الاسلامية يشاهدها الناس كافة في بلدان العالم المختلفة من أهمها نقل شعائر الحج وكافة الأفلام المصورة التي تنقل الى المشاهد الحضارة الاسلامية العريقة .

* عمل تخطيط علمي لتوزيع معاهد وكليات للصحافة الاسلامية التي تضطلع بدور تكوين الصحفي المسلم أو رجال الاعلام الاسلاميين ، الذين يخدمون في هذا المجال على مستوى البلاد الاسلامية وخارجها في دول العالم أجمع مع المعرفة التامة للغة الشعوب الاخرى واتقان لهجات الشعوب الاسلامية .

* انشاء وكالة عالمية للانباء تقوم بتمويلها الحكومات الاسلامية تتميز بالاستقلالية والعطاء ... لا يقتصر دورها على مجرد نقل الخبر بالكلمة أو الصورة بالشكل الغربي المتعارف عليه ... وانما يوضع لها منهاج اسلامي علمي اعلامي ولا تخضع لسيطرة الحكومات لتعمل في جو من

الحرية حتى تكتسب ثقة المسلمين وغير المسلمين في العالم كله ... تهتم بالخبر العادي ... والخبر الذي يخدم الدعوة الاسلامية .

* انشاء صحافة اسلامية تندرج تحتها التخصصات التالية :

أ ـ صحافة اسلامية شاملة بتصور اسلامي تهتم بالفنون الصحفية المتنوعة .

● ـ صحافة اجتماعية ودورها القيام والاهتمام بالدراسات الاجتماعية وقضايا المجتمع تتصدى لها بموضوعية اسهاما منها في تقديم وتقويم المجتمع وحل مشاكله بكافة الصور المختلفة .

● ـ صحافة اقتصادية .. قريبة مما يحدث في العالم ... مع بيان الأسس التي تتحرك في اطارها قضايا المصارف والبنوك والشركات المختلفة المتنوعة من خلال رؤية اسلامية ... **الأمر بهذه الصورة سيجعل المواطن المسلم وغير المسلم يعرفان عدالة هذه القضايا وصلاحيتها في التطبيق في كل زمان ومكان .**

● ـ صحافة اسلامية علمية .. وهي في هذا المجال يجب أن تسير في اتجاهين ... **الاول** : تفسيري بما حواه القرآن الكريم عن عظمة الخالق في الخلق بصوره المختلفة ... واحتواؤه ليس للتطورات والتكنولوجيا السائدة الآن ، بل بما يمكن أن تصل اليه في المستقبل ... **الثاني** : الحث على العلم ، وفتح الباب على مصراعيه للعلماء المسلمين في كافة التخصصات العلمية ، وتخصيص جوائز قيمة لأصحاب النظريات العلمية والمخترعين المسلمين ، وتشجيع البحث العلمي الذي يخدم البشرية بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة .

● ـ صحافة اسلامية أدبية وفنية ... وليس معنى ذلك أننا سنقف بها في شكل معين جامد ... وانما نعمل دائما على تحريكها في اتجاه التمييز الذي عرف به الشعر في أزهى عصوره في التاريخ الاسلامي والذي كان يعتمد على التلاقي بين فحول الشعراء في الأشكال المتعارف عليها حاليا كالندوة والمناسبات ليس في بلد معين ... وإنما في جميع البلاد الاسلامية مع ترجيح المهرجانات التي تضم شعراء المسلمين ودعوة الشعراء الغربيين للمشاهدة والسماع والمشاركة ... يضاف الى ذلك الاهتمام وتشجيع باقي الفنون الاخرى كالمسرح والقصة مع خلق الناقد الفني الاسلامي الذي يضع الأطر الفنية في هذا المجال لاثراء هذه الفنون وتقدمها على الدوام .

● ـ الاهتمام بالقضايا التي تعالج مشاكل المرأة ... وخير وسيلة لذلك وجود صحافة نسائية متخصصة تشجع على الدعوة الاسلامية والسلوك الحسن في ظلال تعاليم الاسلام ... مع التصدي لأي مشكلة وايجاد الحلول المناسبة لها ... وتشجيع المرأة في مجالات العمل التي تناسبها . والعمل على كل ما يصون حق المرأة بمعاملتها للزوج والأبناء ... الى كافة الموضوعات التي تتعلق بحياتها وصولا الى النموذج الأمثل

للمرأة المسلمة .

● وسائل أخرى

الأمر لا يقف عند هذا الحد ...

ولكن ذلك كله يرتبط بانشاء دار نشر اسلامية ومكتبة اسلامية لها فروعها في كل بلد اسلامي ... ووجود رابطة للناشرين المسلمين وتكوين جمعية اسلامية لحقوق التأليف .

والاهتمام بالمعارض الفنية الاسلامية عملية ضرورية ... ان حركة هذه المعارض في البلاد الاسلامية وخارجها تتيح للمسلم وغيره الوقوف على أهمية الفن الاسلامي بمدارسه المختلفة والتطورات العصرية التي أضافها الفنانون المعاصرون على أساس ان الدين غير جامد ... ولن يكون بأي حال من الأحوال جامدا أمام عمليات الابداع والخلق الفني والتشكيلات المتنوعة التي هي ثمار ذلك كله .

كذلك الاهتمام بالمكتبة الاسلامية لا يجب أن يقف أو يتوقف عند حد المبنى الذي يضمها ويتحرك اليها المواطن المسلم ... المكتبة في شكلها المتطور يجب أن تتحرك الى المواطن ... بمعنى ايجاد ما يسمى بالمكتبة الاسلامية المتنقلة ... تسعى الى صاحب المعرفة .. الى القارىء أينما وجد وتواجد .. وهذه الفكرة تشجع أكثر على القراءة ... وتجذب المزيد من القراء وهي غاية على جانب كبير من الأهمية .

موضوع آخر له دوره وأهميته ... ويدور حول توسيع الدائرة أمام المخيمات الاسلامية التي تضم الشباب من الجنسين في غير اختلاط ... مخيمات للذكور وأخرى للاناث ... تمارس فيها الرياضة الفعلية بمناقشة علوم الدين والاجابة على كافة الأسئلة التي تدور في عقول الشباب ... وأيضا ممارسة أنواع الرياضات المختلفة . وما أحوج شبابنا الى المزيد من هذه المخيمات داخل البلد الاسلامي الواحد ... وأيضا تجمع شباب المسلمين في مخيمات سنوية تقام كل عام في بلد اسلامي .

هذا الاطار العام الذي يضم الصور المختلفة يمكن أن يكون أساسا في خلق اعلام اسلامي في مظهره وشكله وجوهره ومضمونه ويصل بنا الى الأهداف التي نتمناها ونريدها ... أولا من أجل تكوين رأي عام اسلامي على أساس سليم ... الأمر الذي يمكننا في التصدي لأي معلومات مشوشة نخشى أن تهدمنا ... بل هي جادة في هدمنا ... وفي نفس الوقت تكون لدينا القدرة للوقوف أمام الاعلام الغربي نتصدى له بأساليبه ونتفوق عليه بأساليبنا القائمة على العقيدة الاسلامية التي أساسها العدل والاخلاص والوفاء والصدق والتضحية والعطاء والفهم الحقيقي لمعاني الحرية .. والتي يعبر عنها وعن غيرها القرآن الكريم دستور الاسلام والمسلمين الى يوم الدين .

مائدة القارئ

مقاومة الشر

قال تعالى : « يـأيها الذين آمنوا قـاتلوا الـذين يلـونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين »

الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

الا المجاهرون

قال رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ :

« كل امتي معافى الا المجاهرون ، وان من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عمـلا فيستره الله ، ثم يصبح ليكشف ستر الله عنه » رواه البخاري ،

لا تشاؤم

كـان المنصور بن ابي عامر الأندلسي اذا قصد الغزو عقد لواءه بجامع قرطبة ، ولم يسر الى الـغـزو الا مـن الجامع ، فـذات مرة اتجه الى الجامع لعقد اللواء فيه ، فـاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، فرفع حـامل اللـواء اللواء فصادف ثريا من ثريات الجامع ، فانكسرت على اللواء وتبدد الزيت ، فتطير الحاضرون من ذلـك ، وتغـير وجـه المنصور ، فقال رجل : أبشر يا أمير المؤمنين لغـزو هين ، وغنيمـة سـارة ، فقـد بلغت أعـلامـك الثـريـا ، وسقاها الله من شجرة مبـاركـة زيتـونـة .

فـاستحسن المنصـور ذلـك ، واستبشر به ، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات .

هل لك حاجة ؟

كان من أوائل من اقتحمـوا الحـرب في موقعة اليرموك غـلام من الأزد ، وكان حدثا كيسا ، وقال الغـلام لأبي عبيدة رضي الله عنه وهو قائد جيش المسلمـين : « **أيـهـا الأمـير ، اني اشفي قلبـي ، وأجـاهـد عـدوي وعـدو الاسلام ، وأبذل نفسي في سبيـل الله تعالى لعلي ارزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك ؟ وان كان لك حاجة الى رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ فأخبرني بها ؟** » .

فراسة

يحكى أن الشافعي كان يسير هو ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما فرأيا رجلا فقال الشافعي : انه نجار ..

وقال محمد : انه حداد ..

فسألا الرجل عن صناعته .. فقال : اني حداد ، وكنت أعمل في السابق نجارا .

فصدقت فراستهما .

افضل الجهاد

قيل لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : أي الجهاد افضل ؟
فقال : جهادك هواك .

الاعتدال

قال حذيفة بن اليمان : ليس خياركم من ترك الآخرة للدنيا ، ولا من ترك الدنيا للآخرة ، ولكن من أخذ من هذه لتلك .

كن أبيا

قال الشاعر :

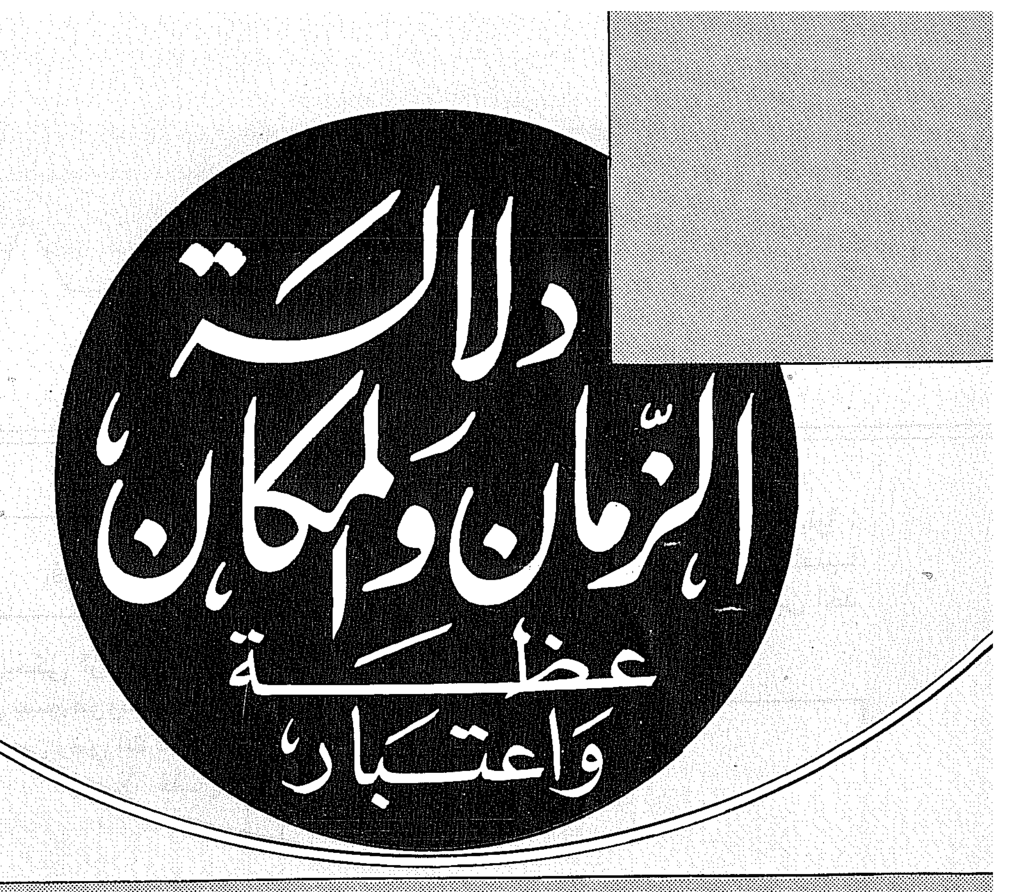
وكن أبيا عن الاذلال ممتنعا
فالذل لا ترتضيه همة الرجل
وان عراك العنا والضيم في بلد
فانهض الى غيرها في الارض وانتقل

الامن

قال حكيم : الأمن مع الفقر خير من الخوف مع الغنى .

جواب مسكت

قال رجل لاخر : ان الحاكم قد أمر لكل مجنون بدرهمين .
فقال له : هل أخذت نصيبك ؟ .



دلالة الزمان والمكان عظة واعتبار

للاستاذ / عبد العزيز مصطفى

التلازم بين الزمان والمكان حقيقة من حقائق الفكر والحياة الانسانية وتجارب الانسان ، وهي حقيقة لا تحتاج الى برهان أدق من النتائج الحاصلة بعد كل شوط من أشواط العمل الانساني ، فأي عمل من أعمال الانسان في مجتمعه وفي اي بيئة ينتهي الى نتيجة حتمية ، ومهما كان نوع هذه النتيجة او لونها ودرجتها فهي نهاية « موقوتة » لعمل ما سبقها ، وفي ضوء هذه الحقيقة تتعدد الاعمال وتختلف وكذلك تتعدد وتختلف النهايات والنتائج .

ولكن التلازم بين الزمان والمكان في منهاج الاسلام حقيقة مضيئة باهرة ، فاذا كان الزمان والمكان وعاء لعمل الانسان ومشوار حياته المحدودة في عالم الدنيا ، فان الاسلام يجعل من وعاء الزمان والمكان مواطن اختبار للارادة ، ومواضع تأمل للعقل والوجدان ، ومجالا للانسان في عقيدته وعمله تتحقق فيه اخطر النتائج لعلاقتها بمصيره ، وهو مجال ليس قصاراه مظاهر الحياة في هذه الدنيا ، وإنما هو أبعد من ذلك ، لان الاسلام يجعل من الدنيا قنطرة الى الآخرة ، ومزرعة لحياة خالدة بعد الموت ، ولهذا فان الزمان والمكان في منهاج الاسلام سبيل للمسلم الى عالم لا يفنى بعد الموت ، وهو عالم إما جنة وإما نار ، الجزاء فيه على حسب النية والعمل ؛ والعقيدة والعمل الذي يطابقها ويوافق مراميها . وكأن التلازم بين

الزمان والمكان يقابله تلازم بين عهد الضمير وسلوك المسلم ، وكأنه التوافق بين الوعاء وما يوضع فيه أو يدور في مجاله المحدود من خير أو شر ما يقدمه المسلم في دنياه لاخرته . ولذلك فإن عظمة الاسلام في جانب من جوانبها العديدة تبين جلية واضحة في توقيت كل امر وكل شيء بميعاد ، وفي دور موكّل به كل مخلوق ، واذا كان وعاء الزمان والمكان هو حيز ما وكّل به كل مخلوق من أعمال وأقوال ، فإن ارتباط هذه الاعمال بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يجعل للاعمال غاية ومعنى وقيمة كما يجعل للزمان والمكان معنى وغاية وقيمة وليس مجرد حركة زمانية او دورة مكانية .

فحركة الزمان والمكان ليست ـ في الاسلام ـ غاية لذاتها ، وإنما هي حركة مسخَّرة لغاية أسمى من مجرد الدوران في اختلاف الليل والنهار ، وما قيمة الحركة في اي مقياس عقلي إن لم تكن تستهدف غاية ؟.. فاذا كانت الغاية هي تأمل عظمة الله في مخلوقاته ، وكسبيل الى مزيد من الايمان بالله الواحد القادر الخالق العظيم ، فقد صارت للحركة الزمانية والمكانية ـ إذن ـ قيمة تعلو على أية قيمة أخرى ..

يقول جل شأنه :

(**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**) الاسراء / ٤٤

(**سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**) الحديد / ١

(**تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ**) الاسراء / ٤٤

(**يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**) فصلت / ٣٨

تشير الآيات إلى أن الزمان والمكان من المخلوقات التي خلقها الله لتسبح بحمده ، كما أنها موضع للتأمل والاعتبار ، ولينتفع بها الانسان ، ويرى فيها قدرة الله . يقول سبحانه وتعالى :

(**ولله المشرق والمغرب**) البقرة / ١١٥

(**أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء**) الاعراف / ١٨٥

(**هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**) يونس / ٦٧

(**الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان**) الرحمن / ٥ و ٦

ولكن المسلم مطالب بألا تلهيه الدنيا وما فيها عن مصيره الابقى في الاخرة .

(**وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون**) القصص / ٦٠

فحركة النجوم والكواكب ، والليل والنهار ، وتعدد بيئات الانسان في الارض وتنوعها ، إنما هي دلائل قدرة الله ، وآيات من آياته سبحانه ، يجب أن تكون مصدرا للمؤمن من مصادر التفكير في صفات الله وقدرته البادية في مخلوقاته ، ومصدرا يتأمله المؤمن فيزداد ايمانه قوة ، وتلك هي الغاية من الزمان والمكان في منهاج العقيدة الاسلامية ، وهي أن يكون النظر الى الزمان والمكان على انهما آية

من آيات الله في ملكه ، وآية على رحمته التي وسعت كل شيء ، وسبيل الى التنافس في طاعة الله وعبادته والتقرب اليه سبحانه بالاعمال الصالحة .
(ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) لقمان/ ٢٠ .

من دلائل التدبير المحكم

وتبدو قدرة الله في مخلوقاته للمؤمن فيهتدي الى أدق نظام وأرقى اسلوب وأجمل تكوين وأروع توجيه كلما نظر في حركة الزمان والمكان كمثل من أمثلة مخلوقات الله ونعمه التي لا يبلغها الاحصاء . بل إن تعبير اللغة عن الجمال والنظام في حركة الزمان والمكان إنما هو تعبير محدود بحدود اللغة القاصرة عن الوصف مهما بلغت من البلاغة والشاعرية والمنطق ..

ومن دلائل النظام والجمال في حركة الزمان والمكان التنوع مع التخصيص والتعميم والمنفعة والتناسق في تدبير محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . هنالك النسيم والهواء الطلق والهواء الصحراوي القوي ، وهنالك هواء الخريف وهواء الشتاء والصيف وعبير الربيع .. ولكن هنالك أيضا الاعاصير والطوفان والسيول والعواصف الجامحة والرعد والبرق :
(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة / ١٦٤
(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الاعراف / ٥٧
(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر / ٢٢
(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنَّوم سُباتا وجعل النهار نشورا . وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهورا . لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسيَّ كثيرا) الفرقان / ٤٧ ـ ٤٩
وقد تأتي الريح بمعنى العقاب :
(كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) آل عمران / ١١٧
وقد تأتي بمعنى الابتلاء أو الاختبار أو العقاب أيضا :
(هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم

أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) يونس /٢٢
(فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) الاحقاف / ٢٤
(أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) الاسراء / ٦٩

ومن ألوان المنفعة التي يجنيها الانسان فيما خلق الله من نعم .. السحاب ..**(هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشيء السحاب الثقال)** الرعد / ١٢
(حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء) الاعراف / ٥٧
(ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) النور / ٤٣ وفي هذه الاية الشريفة بيان لقدرة الله سبحانه في تصريف مخلوقاته على حسب ارادته ، فهو سبحانه المهيمن القيوم القهار ، وهو الرحيم الذي يرحم من يشاء من عباده ، وهوالخالق الاعظم .

نعمة وحكمة للتذكير والتأمل

والله جعل الزمان والمكان آية من آياته ، وعبرة لأولى الالباب ، فيهما اختلاف ولكنهما مسخران لغايات تنفع الانسان المؤمن في الدنيا والاخرة ، اذا أحسن هذا الانسان الشكر لله واذا اتجه الى الله بقلب سليم ، وأخلص العبادة لله ، وأعمل فكره في تأمل هذه المخلوقات العظيمة التي سخرها الله وذللها للانسان .
(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) فاطر / ١٣
وفي الاية الشريفة اشارة الى الاخرة ، فالدنيا زائلة ، ولها وقت معلوم لله تنتهي عنده ، هو وقت الساعة ، ولذلك فالشمس والقمر ليسا دائمين خالدين ، وإنما هما مسخران لاجل مسمى يعلمه الله وحده :
(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان. فبأي آلاء ربكما تكذبان) الرحمن / ٣٧ و ٣٨
هنالك التخصيص في مخلوقات الله والتعميم فيما سخرها له ، فالزمان مختص بدور ، والمكان له دور ، ولكنهما مسخران لكل البشر مؤمنين وكافرين ، فهما من آيات نعمه وابتلائه على سواء : اذ إن المؤمن تزيده النعم إيمانا ، بينما الكافر

جاحد لنعم الله فهو خاسر دنياه وآخرته ، وذلك لان المؤمن كلما اهتدى الى الشكر لله على نعمه والى المزيد من العبادة والتقوى كان شكره وعبادته جزاءً حسناً له في الاخرة ، اما الكافر فله عذاب اليم حيث خسر مصادر الهداية في الدنيا فهو في الاخرة يلقي الخسران المبين .

تخصيص في وظيفة الزمان والمكان فلكل دوره ، وتعميم للفائدة ، يقابله تخصيص من نوع آخر هو دور المخلوق بالنسبة الى الخالق جلّ وعلا . دور العباد تجاه المعبود ، فاذا امتثل العبد لامر ربه فاز فوزا عظيما ، واذا انحرف عن طاعة خالقه واتبع هواه فقد ضل ضلالا بعيدا .

واذا كان التخصيص والتعميم في خلق السموات والارض ، فان المولى سبحانه جعل الزمان والمكان ، اية كبرى على النظام الفريد الذي لا يختل ، والتناسق العظيم الذي يبهر العقول والقلوب والافئدة ، تمجيدا لله وثناء عليه . فحركة الليل والنهار ـ كما يقول بعض المفكرين ـ آية على نظام دقيق يستدعى الايمان بالله أكثر مما تستدعي المعجزة إيمان المنكرين والملحدين والمكابرين ، فهذا النظام الدقيق المستمر طوال الدهور والعصور هو اكبر من المعجزة في بلاغتها واشارتها الى الصانع الاعظم . هذه الحركة المستمرة الدقيقة في سير الافلاك هي ابلغ دليل على وجود الله وعلى قدرته سبحانه ، وعلى رحمته بعباده فالزمان والمكان من نعم الله على الانسان ، قد سخرها سبحانه لينتفع بها الانسان ولتكون عبرة لاولى الابصار والالباب :

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) الاسراء / ١٢

وكما أن الله سبحانه جعل الزمان نعمة من نعمه على الانسان فقد جعل سبحانه المكان والزمان متكاملين يكمل كل منهما الآخر ، ويؤثر كل منهما في الآخر ، وجعل سبحانه في هذا التأثير منطقة للانسان ورحمة به ، واذا كنا لا نتصور الزمان بغير مكان فلا نتصور المكان بغير صورة زمانية .. وهما مجال للعبادة واشارة واضحة الى عظمة الخالق ، والى أن واجب المخلوق أن يشكر الله على هذه النعم الكثيرة التي لا يحصيها عقل أنسان :

(خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كلّ دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) لقمان / ١٠

(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) لقمان / ٢٠

ونظام الكون فيما يرى الانسان من نظام الزمان والمكان رحمة من الله ونعمة . لان هذا النظام في دقته واتقانه من أسباب استمرار حياة الانسان الدنيوية وصلاحيتها للعيش ، وإمكان التمتع بخيراتها . ولو لم يكن هذا النظام الالهي قائما لما استطاع الانسان أن يحيا على هذه الارض . ولما استطاع أن يعمل ويفكر

وينال نصيبا من الراحة بعد عناء العمل . ولا شك أن حركة الزمان والمكان تشير الى أن هذه الدنيا فانية ، والى أن حياة الانسان محدودة ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، فالافلاك تسير على نظام دقيق الى أجل مسمى ، وكذلك حياة الانسان في الارض لها أجل محتوم لا مفر منه ولا مهرب :

(ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير) لقمان / ٢٩

وكذلك يجب أن يتأمل الانسان في حركة الزمان والمكان تأمل العابد المسبّح الشاكر لله ، فكل ما في السموات والارض آيات من آيات الله ، تشير الى عظمة الخالق ، وافتقار المخلوق الى الله المنعم المتفضل .

(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون) الروم / ١٧ و ١٨

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) الروم / ٢٣

وتشير آيات من القرآن الكريم الى أن الزمان والمكان من آيات القدرة الالهية ، وأنهما من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، فيهما نور وضياء ، وفيهما مجال للتفكير العقلي واعمال الفكر في مخلوقات الله ؛ على أن الغاية من وراء ذلك الفكر تأكيد الايمان ألقلبي ، وتأكيد الاعتقاد بأن هذه الدنيا الى زوال ، وأن الآخرة هي الخير الأبقى :

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدَّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلّا بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون . إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون . ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يونس / ٥ ـ ٨

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس ٣٧ ـ ٤٠

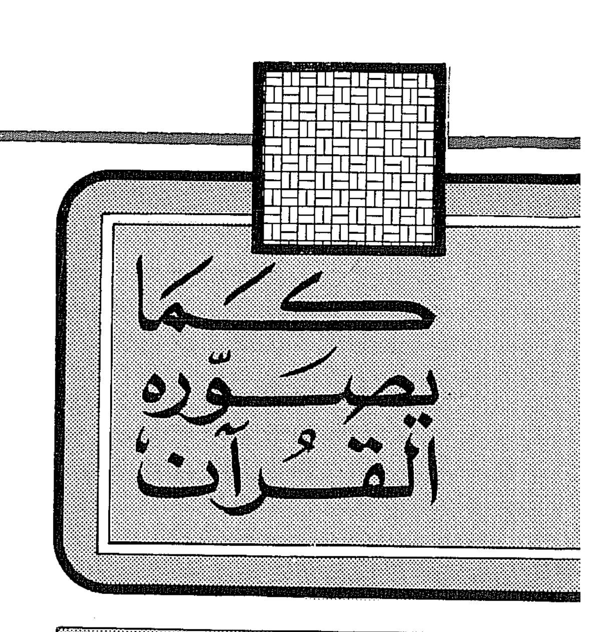
ومن نعمة الله على الانسان أن جعل سبحانه الزمان والمكان تذكيرا دائما للانسان بعظمة الخالق ، ورحمته ، وكرمه . فالزمان والمكان في متناول العقل الانساني والحواس الانسانية . وهما الحركة الدائبة في عالم الشهادة . وكما يشيران الى دقة النظام واحكام الحركة ، فهما أيضا يشيران الى رحمة الله في اختلاف الليل والنهار ، إذ الانسان يحتاج الى الليل للراحة ، ويحتاج الى النهار للعمل ، ولكن العبادة جائزة ليلا ونهارا ، لان العبادة هي وظيفة الانسان المصيرية ، ففي العبادة سعادته في الدنيا وفي الاخرة ، وهي واجب المخلوق تجاه الخالق جلّ وعلا .



التاريخ درس متكرر ، والمشكلات التي تعتاق سبيل المجتمعات الانسانية واحدة ، والآفات التي تعتريها واحدة ، مهما اختلفت في المظهر فإنها تتفق في الجوهر ، ذلك لأن الانسان واحد . مهما استقى من ينابيع الثقافة والمعرفة وعبر التاريخ ، لأن هذه العوامل لا تغير منه إلا الشكل .. أما المضمون فسيبقى واحدا رغم تطاول الزمن وتقدم الحياة ... ومن هنا كان حتما على الانسان المعاصر أن يستفيد من عبر التاريخ ، وأن يتعظ بما حدث للانسانية منذ أقدم العصور .. ليأخذ الحذر ، ويتجنب الخطأ ، ويمضي على درب مأنوس ، وطريق لاحب .

ويتميز القرآن الكريم باعطاء نماذج حية وواقعية فيها العظة والعبرة لمن أراد أن يتدبر أو أراد شكورا .. وحين يستغرق الانسان المعاصر في قراءة هذه النماذج وتدبرها ، ويمنحها من الوعي والتحليل ما تستحق سيجد فيها الكثير من صور الحاضر ، ومشكلاته المعقدة ، وآفاته المدمرة حتى لكأنما هذا النموذج أو ذاك قد نزل غضا من السماء ليتناولها بالتحليل والبيان - وسيجد أن الخلاص من تلك المشكلات مرتهن بما وصف القرآن من علاج ، وبما طب من دواء ، وبما قدم من وسائل الانقاذ .. لقد تعرض المجتمع المسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لموجة عاتية من الحرب النفسية كادت تعصف بأمنه وتفت في عضده وتتركه هيكلا بلا روح ، أو جسدا بلا طموح ، ولم تكن هذه الحرب **إلا حرب الاشاعة** ، التي كانت تدار هادئة ، وقت السلم ، وتشن عاتية وقت الحرب .... كانت تتناول القيادة المسلمة حينا بتوهين أمرها ، وتقليل خطرها .. فالرسول ـاعر ، أو كاهن ، أو مجنون وكانت تتناول منهجة حينا آخر فهو شعر أو سحر أو أساطير الاولين .

ومما يدخل في هذا الباب حرب أخرى **تسمى حرب السخرية** تلتقي



للاستاذ : توفيق محمد سبع

مع السابقة في هدفها من قتل الثقة في نفوس المسلمين وإلقاء اليأس في قلوبهم ، وإثارة الربكة والخجل في تصرفاتهم ، وهي سلاح فتاك كسابقتها وقد حكى القرآن بعض أساليبها في قوله سبحانه : « **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ● وإذا مروا بهم يتغامزون ● وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ● وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون** المطففين ٢٩ ـ ٣٢ فهذا مشهد ساخر يسجله القرآن بكل حركة من حركاته بحيث تلمح فيه حركة الأيدي والعيون والشفاه والجباه والاكتاف تشترك في حركة التغامز من هؤلاء المجرمين الذين تجردوا من كل أدب وحياء !!

تلك الحرب النفسية وأشباهها كانت تدار وقت السلم ، ينفس بها الباطل عن حقده ، ويعبر عن موجدته .. محاولا بث الضعف في نفوس المسلمين .

والعجيب أن القوم قد عرفوا أثر هذا النوع من الحرب ، فاهتموا بشأنها ، بحيث عمدوا **الى تنسيقها** ، لتحدث أثرها من التشكيك والبلبلة في نفوس المسلمين ... وكان الوليد بن المغيرة بارعا في هذا اللون من الحرب النفسية .. كان يتولى بنفسه تفريخ الاشاعة وصبها في قالب منطقي ، ويناقش القوم في أمرها ، ويتخير المناخ المناسب لاطلاقها ، ويتحرى التجمعات العامة للجماهير ... لقد جمع الوليد يوما سادة قريش من المشركين ـ وتصدر مجلسهم ، ثم قال لهم : « إنه قد حضر الموسم .. وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا .. فأجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا فقالوا : أنت يا أبا عبد شمس فقل .. وأَرِقمْ لنا رأيا نعمل به .. فقال : بل أنتم فقولوا أسمع منكم !! قالوا نقول كاهن .. قال : والله ما هو بكاهن .. لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمته الكاهن ولا سجعه !! قالوا : مجنون قال : ما هو بمجنون ... لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته !! قالوا شاعر قال : ما هو بشاعر !! لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وما هو بالشعر !! قالوا : فما تقول ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل .. **وإن أقرب القول فيه** : أن تقولوا : **إنه ساحر** جاء بقول هو سحر يفرق فيه بين المرء وأبيه وبين

المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشريته ... فاقتنعوا وتفرقوا عنه بذلك .

وجعلوا يجلسون على السبل لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره .... فأنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله : **إنه فكر وقدر ● فقتل كيف قدر ● ثم قتل كيف قدر ● ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر** » المدثر ١٨ ـ ٢٥ وجعلوا يقولون ذلك لكل من لقوا من الناس فانتشر ذكره في العرب كلها .

والذي أود أن استخلصه من هذا الحديث ما يلي :ـ

١ ـ أن القوم كانوا يعرفون **تأثير الدعاية ضد محمد وأصحابه** بدليل اجتماعهم لهذا الأمر وتدارسهم للاشاعة ، واتخاذهم زعيما لهم يوجه آراءهم ، ويناقش أفكارهم .

٢ ـ أنهم لم يدعوا أمر الاشاعة فوضى تحكمه الآراء الفردية .. التي قد تتناقض أو يكذب بعضها بعضا بل عمدوا إلى مؤتمر لتبادل الرأي فيما يقولون بشأن محمد وقرآنه .

٣ ـ أنهم قد تحروا موسم الحج موعدا لاطلاق الشائعات لينتشر أمرها وتذيع في الآفاق ، بالضبط كما تفعل الدول الحديثة في انتهاز فرص التجمع الجماهيري لترويج الاشاعة لأن عقلية الجماهير لا تناقش ما تسمع .. وإنما تردده دون مناقشة ... (كالببغاء عقله في أذنيه).

٤ ـ أنها قد عمدت إلى لون من الانتقاء للاشاعة الملائمة التي تنطلي على الجماهير واستبعدت ما سواها من الاشاعات التي يسهل دحضها وتكذيبها .

٥ ـ أن القوم لم يتطلقوا باشاعات كثيرة يكذب بعضها بعضا ـ وإنما أجمعوا على واحدة وتواصوا بها حتى تأخذ شكلا أقرب إلى المنطق .

لقد توصل هذا المجتمع الساذج الى أهم الشروط العلمية لفن الاشاعة ـ من وسط جماهيري ـ وتأقيت زمني ـ وحبكة ذكية ـ ودراسة للاشاعة ـ ثم اتخاذ قرار بها واطلاقها بعد ذلك .. ان حربا كهذه لا يمكن أن تمر على العرب دون أن تلعب بعقولهم .. ولقد تصدى القرآن الكريم لتعريتها .. وكشف نفوس أصحابها ـ كيلا تدمر الثقة في نفوس المسلمين الذين كانوا قلة مستضعفة تتعرض لشتى الاهانات في ذلك الوقت العصيب من عمر الدعوة ، إن هذا النوع من الحرب لا يستدعي عتادا ولا قوة .. كما أنه لا يريق دما ، ولا يهدم حصنا .. لأنه موجه إلى نفسية الشعوب . وإلى روحها ، بحيث لا يترك ذرة من هذا الكيان الا أوهنها وأضعفها وسلبها قوة الارادة لتستسلم بعد ذلك وتلقى السلاح ، وتلك هي غاية العدو وما يعمل له جاهدا بأساليب الخداع والدهاء والمكر والتمويه ، ولقد أخذ هذا الفن من حرب الاشاعة يقوى ويكثر التعويل عليه على امتداد الزمن بين أساليب الحرب وتخصص فيه

المتخصصون وأصبح قوة يعمل لها كل حساب ، ويشتد خطر الاشاعة في زمن الحروب ـ حتى لتترك اشاعة خادعة ما لا تتركه أفتك أسلحة الدمار والهلاك .. وكما ذكر القرآن بعض أساليب الاشاعة أيام السلم .. فانه كذلك يذكر بعض نماذج الاشاعة التي تطلق في ميادين القتال تنبيها على خطرها ، وتجنبا لآثارها فنحن نقرأ في كتاب ربنا : « **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** » وقد كانت هذه الاشاعة في أعقاب أحد ـ حيث كانت نفوس المسلمين مثقلة بالآلام لما فقدوا من الأبطال ، ولما تعرضوا له من الابتلاء والشدة .. ولقد واجهت قيادة المسلمين هذه الحرب النفسية بخطة أزكى وعمل أنجح .. كيلا تسري آثارها في نفوس المسلمين فسارعت بالتخطيط للقاء العدو الهارب حتى لا يطمع في المسلمين ولا يظن بهم الظنون .. إنه تجمع لاعلان نوع من الحرب النفسية على العدو الذي ظن أنه قد سحق المسلمين ـ ورغم القتلى والدماء نهض المسلمون بهذا الواجب الثقيل .. فقد خرج الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى المسجد الجامع في أعقاب أحد وأمر بلالا أن يؤذن للخروج في طلب العدو .. كما أمر ألا يخرج من المسلمين إلا من كان محاربا بالأمس ، فارتفع الصحابة على الجراح والآلام ولبوا مسرعين ، مستجيبين لله ورسوله . ورفضوا منطق الحرب النفسية التي كان يرددها العدو وقتذاك .. وهو أن جيش المشركين لا يغلب بعد اليوم .. وبددوا هذه الخرافة .

امتحان صعب من غير شك ولكن روح الايمان تتغلب على تهاويل الموقف وتنهض بتبعاته في قوة وحزم . لقد خرج الرسول بالمسلمين إلى مكان يقال له : **حمراء الأسد بينه وبين المدينة ثمانية أميال واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم يريد إرهاب العدو وبث الذعر في نفسه فأقام هناك ثلاثة أيام .**

ولقد أدت هذه الخطة هدفها فحين علم أبو سفيان بخروج المسلمين في طلبهم وأعلن ذلك في القوم .. قال بعض المشركين لبعض : ما بال هؤلاء مع آلامهم وجراحهم يخرجون لحربنا ؟ أبَقي فيهم عزم وجلد ؟ وحاروا في الأمر ... وذهبت بهم الظنون كل مذهب ـ فأورثتهم خبالا وضعفا وفتت في عضدهم فكروا راجعين إلى مكة سراعا .. فلما بلغ الرسول ذلك قال لأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي هذا الموقف يتجلى بصر القيادة المؤمنة بأساليب الحرب النفسية والرد على الشائعات المسمومة التي كان العدو يطلقها لتنال من عزم المسلمين وتوهن إرادتهم .. ولقد نزل في هذا الموقف قرآن يتلى ، ليظل درسا خالدا لأصحاب المبادىء والرسالات على امتداد التاريخ **يقول الحق** تبارك وتعالى : « **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر**

عظيم ● الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ● فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ● إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » آل عمران ١٧٢ - ١٧٥ .

وفي هذا التصرف من الرسول وأصحابه دروس وعظات .. فيه تبرز معادن الرجال الذين صنعهم محمد على عينه ، فقد ارتفعوا فوق آلامهم وجراحهم .. كما ارتفعوا على الأشاعات المسمومة التي كان يصوّبها العدو إلى قلوبهم ، بقصد تفتيت وحدتهم ، وإشاعة روح الهزيمة بين صفوفهم وتفريغ قلوبهم من المحتوى الايماني لتصبح خاوية تتبع كل ناعق ، وتصغى لكل شائعة وتموت فيها إرادة القتال ، وفيه حزم القيادة التي لم تتردد لحظة . في فرض الخطة الصارمة على الجيش المثخن بالجراح ، وقد نهض الجيش بواجب الزحف حسبما أشارت القيادة دون التفات الى المآسي والجراح - وفي ذلك من الولاء والطاعة ما يذهل العقل ويثير الاعجاب وهكذا أحبطت خطة الحرب النفسية التي شنها العدو بخطة أحكم ، وتدبير أقوى ، وكانت العقيدة هي التي تتحكم في الموقف كله وتسود صفوف المجاهدين « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » الاحزاب ٣٦ .

وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الدروس ليقفوا صفا واحدا أمام مخططات العدو وأساليب كيده . وليثبتوا في ميدان الحرب النفسية ويواجهوها بخطط مدروسة ومواقف ثابتة .. وما أكثر أعداءنا المتربصين بنا على مر العصور .. وما أكثر ما يستخدمون ضدنا من أسلحة الحرب النفسية التي ينفخون فيها من أبواقهم ، وأنهم الجيش الذي لا يقهر والعصمة من ذلك كله تكمن في قول الله سبحانه : « **فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ». إن هذا اليقين الجازم في الانتصار على العدو يفتقر إلى تربية إيمانية عميقة حتى تكون الثمرة كما قال الله سبحانه . « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله** » ولكي يزيدنا القرآن بصرا **بأساليب الحرب النفسية** ، وما ينبغي أن تواجه به من عقيدة وعلم - وبخاصة بعد أن أصبحت في العصر الحديث سلاحا فتاكا يتخصص فيه المتخصصون وأصبحت له المعامل النفسية والوسائل الحديثة التي تتولى تحليل الاشاعة ومدى تأثيرها على نفسية الشعوب .. من أجل ذلك نرى القرآن الكريم يزود الجماعة المسلمة بقواعد تخطيطية ووسائل وقائية وأخرى علاجية لتعصم الصف المؤمن من خطر الشائعات وتؤمن سلامة المجتمع من البلبلة وتدرأ عنه الآثار المدمرة التي تستهدف إرادته وروحه ، ولا شك أن تلك ناحية إعجازية في

كتاب الله .. ترصد بعين القدرة مستقبل هذه الحرب .. وخطورتها على أمن المجتمعات .. فتضع الأسس السليمة لتفاديها .. والخلاص من آثارها .

ولنقرأ في ذلك قول ربنا سبحانه : « **واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ● فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا** » النساء ٨٣ ـ ٨٤ .

إن هذه الآية تضعنا وجها لوجه أمام الشائعات التي تتردد في المجتمعات أيام الحروب . وتعلمنا كيف يتصرف الأفراد في الشائعات اذا سمعوها تتردد في جنبات المجتمع . ثم توضح لنا أن الايمان هو خير عاصم من شرور تلك الشائعات .. وأنها لا تعدو مع الايمان أن تكون عملا شيطانيا لا ينبغي أن يفت في عضد المسلمين فيصدهم عن الاستمرار في الحرب ـ وتوضح للرسول الكريم وهو القيادة التي تتطلع إليها الأنظار أن يستمر على قتال العدو مهما اشتد خطر الاشاعة . حتى ولو قاتل وحده في الميدان فذلك وحده خليق أن يرد بأس العدو ويحبط مؤامراته .. والله من ورائه محيط .

ونحن نرى أن الآية الكريمة تفرض نوعا من الرقابة على الانباء أيام الحروب . حتى لا تتسرب الشائعات في صفوف المقاتلين فتوهن قوتهم .

وتطالعنا في هذه الآية أوضاع المجتمع المسلم في فترة من أحرج الفترات بين أحد والخندق وهي فترة نشطت فيها دعايات العدو بقصد إشاعة البلبلة في صفوف المجاهدين ، وبث الوهن والضعف في نفوسهم ، وكان المجتمع المسلم يومذاك طوائف عدة منهم المنافقون ـ ومنهم اليهود ـ ومنهم فئة لم ترتفع بايمانها إلى درجة الحصانة من عوامل الاغراء والضعف ـ ومنهم السذج الذين لا خبرة لهم بأساليب الحرب النفسية ـ فهم يرددون كل ما يسمعون عن حسن نية ـ كل هذه الطوائف كانت تردد ما تسمع إما عن سوء نية أو عن سذاجة ـ فيتلقفها لسان عن لسان وينقلها فرد عن فرد فلا تلبث أن تملأ رحاب المجتمع ، ومن البديهي أن نيات اليهود والمنافقين مدخولة فهم يرددون الاشاعة عن عمد وقصد ، كلما سمعوا شائعة طاروا بها لتفت في عضد المجتمع المسلم فيلقي السلاح ، وهذا هو المقصود بقوله تعالى : « **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به** » فمن أولئك الذين يذيعون الشائعات ؟ ومن أين تأتيهم ؟..

إن الذين يذيعون الشائعات هم طوائف من المجتمع الاسلامي بعضهم منافق يريد الحاق الدمار بالمسلمين ـ وبعضهم من اليهود الذين يعيشون على اثارة الاحقاد وتحريك الشائعات لارباك المسلمين

وبث الوهن في نفوسهم . وهناك فريق ثالث لم يرتفع بالايمان الى مستوى الموقف العصيب فهؤلاء يرددون الاشاعة دون روية ولا تمحيص لأنهم لا يدركون خطرها كما اسلفنا .

ومن البديهي أن الأشاعة إنما تعد الى تلك الطوائف من أعداء المسلمين - ومن يقفون ضدهم في القتال .. يحيكونها بذكاء وينشرونها بوعي . ويختارون لها الظروف الملائمة زمانا ومكانا وقد يتولى نشرها عملاء من بينهم - أو من ضعاف النفوس الذين يتظاهرون بمؤازرة المسلمين - وقد قسمت الآية الكريمة الاشاعة قسمين : **أولاها** : إشاعة الامن .. والأخرى : إشاعة الخوف والهدف واحد لا محالة وهو توهين الصنف المسلم وبث روح البلبلة والضعف في جنباته **وإشاعة الأمن** : هي التي تتحرى أوقات الحشد والتعبئة للجيش المسلم حتى إذا استكمل غايته من الاستعداد المادي والمعنوي .. وهم بالتحرك إلى العدو إذا باشاعة الأمن تتردد قائلة : ما بال هذا الاستعداد الهائل والعدو ضعيف وعدته قليلة وعدده ضئيل ؟! ولماذا كل هذا الانفاق والاستعداد والحالة آمنة ؟- تلك اشاعة لو تعقلها المسلمون لرفضوا الأخذ بها والانصياع إليها أو ترديدها - لأنها تريد أن تخدعهم - وتؤمنهم تأمينا كاذبا - حتى تفتر عزيمتهم وتبرد همتهم ويقل تحمسهم للقتال .. فيدرك العدو غايته ويميل عليهم ميلة واحدة أما **إشاعة الخوف** : فهي التي تحاول ارهاب الجيش المسلم بالمبالغة في وصف قوة العدو - ووفرة أسلحته ، وكفاءته القتالية وأن جيشه لا يقهر .. وتلك الشائعة لو لم يكتشف خطرها في أول الأمر فانها تثير الذعر في نفوس المسلمين .. وتسلبهم الأمن - وتدع افئدتهم هواء !! وهي في الوقت ذاته تهيء الفرصة لدعاة الهزيمة لكي يذيعوها في الآفاق . فتطير هنا وهناك تاركة اسوأ الاثر في نفوس المسلمين .

وتأمل معي كيف يعبر القرآن عن نشاط أولى الأغراض السيئة في بث الدعاية وذلك قوله سبحانه : « **أذاعوا به** » دون أن يقول : أذاعوه .. كأنما جعلت تلك الشائعات المغرضة بوقا ينفخ فيه دعاة الهزيمة وأعداء الدعوة .. فقد غدت الشائعة آلة ينفخ فيها هؤلاء .. يكبرون صغيرها - ويجسمون ضعيفها .. وينفثون فيها من أحقادهم وأضغانهم لتعمل عملها في الصف المسلم .. إن هذا التعبير يصور لنا تحمس هؤلاء لاذاعة الشائعات الضارة سواء كانت متصلة بالأمن أو الخوف لتؤدي هدفها من قتل الثقة في نفوس المسلمين .. وهذا تعليم للمسلمين ليعرفوا أخلاق عدوهم .

كيف نتصرف في الاشاعة التي تصلنا من أعدائنا ؟

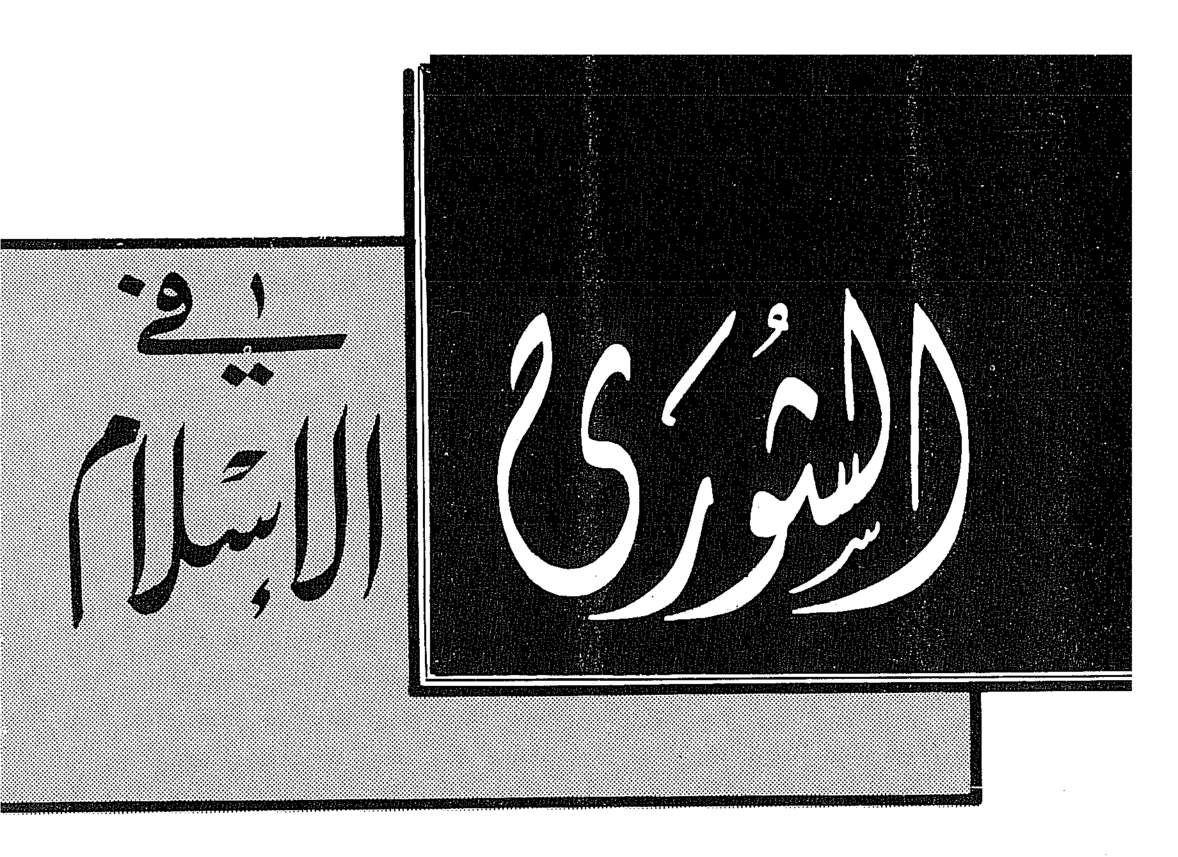
هنا تمضي الآية في تعليم المسلمين وتنمية إدراكهم حتى لا يتسرعوا في ترديد ما يصلهم من اشاعات ، فذلك هو طريق الوهن .. وسبيل الهزيمة .

وانما عليهم أن يرفعوا كل اشاعة وافدة إلى نبيهم ـ أو الى أمير الجيش حتى يتصرف في أمرها والآية الكريمة تفترض أن **توجد فئة متخصصة** بين المسلمين في دراسة الاشاعة وتحليلها ـ ومعرفة بواعثها وأهدافها لتستنبط بعد ذلك ما ينبغي عمله إزاءها كيلا تؤثر في المسلمين بدليل قوله تعالى : « **لعلمه الذين يستنبطونه منهم** » فهم إذن جماعة مهمتها دراسة الشائعات واستنباط أهدافها وبواعثها .. ومعرفة الرد عليها ـ وربما استنبطت تلك الجماعة معرفة شخصية العدو ـ ومدى استعداده ومبلغ تحفزه .. وهكذا تجعل الآية من الاشاعة خطرا يتخصص في دراسته المتخصصون وترسم للمسلمين كيف يتصرفون فيما يصلهم من اشاعات .

وبهذا يتم توفير القيادة ، وتربية خلق الطاعة في المسلمين ، ورد الأمور إلى أربابها ـ وربما توحي كلمة « يستنبطونه » باعمال العقل ، وشحذ الذهن في كل اشاعة وافدة . وهذا يعطي الانطباع بخطر الاشاعة وقوة أثرها وإلا لما استدعت تحليلا ولا استنباطا ، لا غرو أن حرب الاشاعة ضرب من ضروب الحرب النفسية ترتكز على الذكاء والحيلة ـ ومن ثم كان الخلاص منها محتاجا الى الدراية وذكاء العقل لكشف مخططات العدو وتعرف أهدافه . ثم تأتي الآية الاخرى « **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك** » لتؤكد للقيادة المسلمة رفض الاشاعة وعدم الاذعان لها ـ والمضي إلى القتال ولو فريدا ، وتحريض المسلمين عليه ـ ففي ذلك ما يحبط خطط العدو ، ويبطل تدبيره .

إن هذه الآية تبث الطمأنينة في نفوس المسلمين وأنه لا سبيل إلى تأثير هذه الحرب النفسية ما دامت قلوبهم مؤمنة ـ وعقولهم واعية ـ وطاعتهم موفورة ـ وعيونهم مفتوحة على عدوهم ، بعد ذلك كله فان أمر الاشاعة يصبح هينا لأنه من كيد الشيطان .. وكيد الشيطان ضعيف واهن .

إن هنا درسا يجب أن نتنبه له في جميع الأقطار الاسلامية ـ ذلك هو التماس العلاج من القرآن الكريم وتحكيم منهج الله في سلمنا وحربنا ففيه ما يعصمنا من الخطأ ويردنا إلى الصواب ، وأساليب الحرب النفسية رغم اهتمام الاعداء بها في العصر الحاضر وصرف الجهود إليها وإنفاق الأموال الطائلة عليها لتؤدي هدفها .. قد تناولها القرآن على شكل نماذج قوية تتجلى في إرادة الجيش المسلم وصلابته أمام الدعايات كما تتناولها على شكل دراسة تحليلية توضح أهدافها ومخاطرها وترسم للمسلمين السبيل الأمثل لتجنبها ليحيا المجتمع المسلم في أمن وسلام ، لا تلعب به الشائعات ولا تضلله دعايات الأعداء ـ وذلك لكي يعرف المسلمون أن قرآنهم قد استوعب ظروفهم الحاضرة والمستقبلة . كما استوعب أوضاعهم الماضية ـ وذلك من أقوى الأدلة على إعجازه وأنه تنزيل من حكيم حميد ـ وبالله التوفيق .



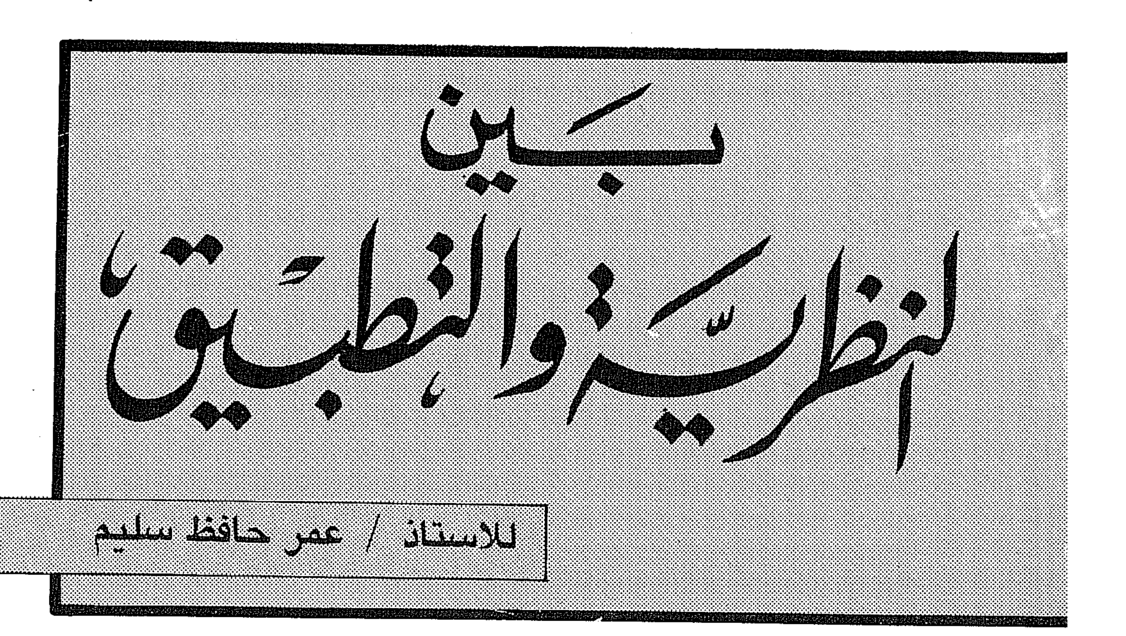
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .

أما بعد :ـ

فان الاسلام يحرص كل الحرص على ارساء المبادىء التي يشعر في ظلها كل مسلم بأنه فرد له مكانته وكرامته بين أبناء مجتمعه .
ومن تلك المبادىء التي يحرص الاسلام على ارسائها : مبدأ الشورى ذلك المبدأ الذي اهتم به القرآن الكريم ، والتزم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما التزم به صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وفي هذا المقال يسرني ان اتناول ذلك بشيء من التفصيل .

اهتمام القرآن بالشورى :ـ

لقد ذكر الله تعالى الشورى في موضعين من كتابه العزيز ، لكل موضع منهما دلالته القوية على وجوب هذا المبدأ الهام من مبادىء الاسلام أما الموضع الأول من هذين الموضعين فهو : قول الله تعالى مخاطبا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم :ـ « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » . الاية ١٥٩ / آل عمران



وهذه الاية تدل دلالة قوية على وجوب الشورى ، من جهة أنها نزلت عقب هزيمة المسلمين يوم احد ، وفي ظروف يتضح منها ان رأي من أشار على النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن صوابا ، ومع ذلك فقد انزل الله - سبحانه وتعالى امره بالعفو عنهم ومشاورتهم ، وهذا يؤيد عناية الاسلام بالشورى واما الموضع الثاني : فهو قول الله تعالى :

« **فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون.والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » الاية٣٦-٣٨الشورى والذي يتأمل في هذه الاية المباركة ، وينظر في تركيبها يجد ان الله قد ذكر الشورى ، كصفة من صفات عباده - بين ركنين أساسيين من أركان الاسلام هما : الصلاة ، والزكاة ، وهذا يدل على اهمية الشورى وأنها واجبة التنفيذ مثل الصلاة والزكاة .

دعوة الرسول الى الشورى :-

لقد دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الاخذ بمبدأ الشورى في كل امر لم ينزل فيه وحي من الله ، ولم تمض فيه سنة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وهذه بعض الاحاديث الواردة عنه - صلى الله عليه وسلم - في ذلك :-

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

« ما رأيت احدا قط كان أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » (رواه الشافعي)
٢ ـ وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العزم ، قال : ـ مشاورة اهل الرأي ، ثم اتباعهم ـ.. » (رواه ابن مردويه)
٣ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (المستشار مؤتمن) رواه ابو داود ـ والترمذي .
٤ ـ وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا استشار احدكم اخاه فليشر عليه » (رواه ابن ماجة) .

تطبيق الرسول للشورى :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قدوة حسنة في تطبيق هذا المبدأ والزام نفسه به .
ولقد اشتملت سنته العملية على صور رائعة لمشاورة الرسول لاصحابه واليك ـ ايها القارىء الكريم ـ عرضا لبعض تلك المواقف التي استشار الرسول فيها أصحابه والزم نفسه فيها بمبدأ الشورى :

١ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في غزوة بدر الكبرى :

وذلك حين خرج الرسول ومعه أصحابه لاستعراض قافلة تجارية لقريش بهدف الاستيلاء عليها ، فما أن علمت قريش بهذا النبأ ارسلت بجيش كبير مجهز بأحدث معدات عصره ، وهنا أراد الرسول ان يختبر مدى استعداد جنوده ، فلم يجد لذلك انجح من الشورى فطلبها منهم يروى ابن هشام في سيرته : ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشار الناس واخبرهم عن قريش ، فقام ابو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال واحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك ، والله ما نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى **اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون** ، لكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ،
فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله خيرا ثم دعا له » .
ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشيروا على أيها الناس ، وانما يريد الانصار ، وذلك لانهم عدد الناس ، وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخوف الا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وان ليس عليهم

آن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : اجل قال : « قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى عدونا بنا غدا ، انا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، فسر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا ، وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني الان انظر الى مصارع القوم .

ـ ويروي ابن اسحق : انه في نفس تلك الغزوة نزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجيشه في ادنى ماء من بدر ، فسأله صحابي جليل هو الحباب بن المنذر ابن الجموح فقال يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل امنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه أو نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله : فان هذا ليس بمنزل : فانهض بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملوء ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : لقد أشرت بالرأي ، فنهض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى اذا اتى ادنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم امر بالقلب فغورت ، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه ، فملىء ماء ثم قذفوا فيه الانية » (سيرة ابن هشام ـ ج٢ ـ ص ٤١١ ، ٤١٢)

٢ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في أسرى بدر :

اخرج احمد ومسلم من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ في قصة بدر ، وفيه : « واستشار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا بكر وعليا وعمر ، رضي الله عنهم فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، واني أرى ان تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة على الكفار ، وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان (قريب لعمر) فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم ، وائمتهم وقادتهم ،

فهوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قال أبو بكر ولم يهوما قلت ، واخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد ، قال عمر : فغدوت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت

وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء قد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة (شجرة قريبة) وانزل الله تعالى : « **ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم.فكلو مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم** » ٦٧ - ٦٩ / **الانفال**

٣ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في الخروج لغزوة احد :

لما سمع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون بأن المشركين قد نزلوا مقابل المدينة ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلمين : اني قد رأيت والله خيرا ، رأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم ، حيث نزلوا ، فان ، أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرى رأيه في ذلك والا يخرج اليهم ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكره الخروج فقال رجال من المسلمين من اكرم بالشهادة يوم أحد وغيره ممن فاته بدر : يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ، فقال عبد الله بن أبي بن سلول : يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فو الله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا الا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا ، رجعوا خائبين كما جاءوا ، فلم يزل الناس برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيته فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار يقال له مالك بن عمرو ، فصلى عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا استكرهنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن لنا ذلك ، فلما خرج عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : يا رسول الله اسكترهناك ولم يكن لنا ذلك ، فان شئت فاقعد ـ صلى الله عليك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه . (سيرة ابن هشام ـ جـ ٣ ـ ص ٤٧٤٦)

وأود ان أشير هنا الى أن ما حدث للمسلمين من هزيمة في يوم أحد ليس معناه أن الشورى سبب في ذلك ، لان هزيمة المسلمين في تلك الغزوة كانت لأسباب لا علاقة

لها بالشورى منها مخالفة الرماة لأوامر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانشغال المسلمين بجمع الغنائم .

٤ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في صلح غطفان :

اخرج ابن اسحق عن الزهري قال :
(لما اشتد على الناس البلاء يوم الخندق) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، والى الحارث بن عوف بن ابي حارثة المري ، وهما قائدا غطفان ، فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه وعن اصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضة في ذلك فلما اراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه ، فقالا له يا رسول الله : امرا تحبه فنصنعه لك ، ام شيئا امرك الله به ولا بد لنا من العمل به ام شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء اصنعه لكم ، والله ما اصنع ذلك الا لانني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت ان اكشف عنكم من شوكتهم الى امر ما ، فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الاقرى او بيعا ، افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا) .

(سيرة ابن هشام ـ ج ٣ ـ ص ١٦٣)

★ التزام الخلفاء الراشدين بالشورى :

على نفس الطريق التي سلكها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الاخذ بمبدأ الشورى سار صحابته من بعده ـ ويكفينا في هذا المقام ان نستدل على صدق ذلك بالمواقف الاتية :

١★ اختيار خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

عند وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى المسلمون ان يختاروا خليفة له يقوم بتدبير الامور من بعده وقد اسرعوا الى ذلك قبل القيام بواجب تشييعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث اجتمع كبار المهاجرين والانصار .. في سقيفة بني ساعدة ليتشاوروا في هذا الامر ، وبعد مناقشات ومشاورات اجتمع امرهم على ابي بكر

الصديق ، فبايعوه خليفة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بايعه عامة المسلمين مرة ثانية في المسجد ، وبذلك تكون تلك البيعة تطبيقا عمليا رائعا لمبدأ الشورى .

★ اختيار عمر خليفة لابي بكر :

رأى ابو بكر في فترة خلافته ان يجنب الامة ما حدث من خلافات عند وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما كان منه الا ان اختار لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستشار كبار الصحابة في ذلك فاقتنعوا بهذا الاختيار ، لذلك فقد سارع المسلمون جميعا بعد وفاة ابي بكر الى مبايعة عمر بن الخطاب بالخلافة ، وهكذا نرى ان رأي الامة كان هو الاساس في اختيار عمر خليفة لابي بكر .

★ اختيار عثمان خليفة لعمر :

وعندما طعن عمر في المسجد ذهب اليه المسلمون وطلبوا منه ان يستخلف عليهم فقال لهم : ان استخلف فقد فعل ذلك من هو خير مني (يعني ابا بكر وان لم استخلف فقد فعل ذلك من هو خير مني (يعني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم) .
ولكني ارى ان تكون شورى بين : عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص ، والزبير حتى اذا انتقل عمر الى جوار ربه اجتمع اهل الشورى ، وتشاوروا اياما ثم اختاروا عثمان بعد ان قام عبدالرحمن بن عوف بمشاورة كبار المهاجرين والانصار فبايعوه وبايعه الناس وهكذا تمت بيعة عثمان بالشورى ايضا .

٥ ـ مشاورة ابي بكر وعمر لاهل الرأي :

ويكفينا في هذا المقام ان نذكر دليلا واحدا على ذلك وهو ما اخرجه ابن سعد عن القاسم ان بابكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كان اذا نزل به امر يريد فيه مشاورة اهل الرأي والفقه دعا رجالا من المهاجرين والانصار ، ودعا عمر وعثمان ، وعليا ، وعبدالرحمن بن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وابي بن كعب ، وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم ـ وكل هؤلاء كان يفتي في خلافته وانما يصير فتوى الناس الى هؤلاء ـ فمضى ابو بكر على ذلك ثم ولى عمر فكان يدعو هؤلاء النفر ،؛ وكانت الفتوى تصير وهو خليفة الى عثمان ، وابي وزيد) .

بعد ان عرضنا لتلك النماذج الطيبة وهذه الصور الرائعة التي تشهد بصدق التزام الرسول وصحابته بمبدأ الشورى ننتقل الى نقطة اخرى تأتي كنتيجة لما عرضناه وهي : « سمات الشورى في الاسلام » وفيما يلي عرض لبعضها :

★ الشورى ملزمة للحاكم :

ولقد كثر الكلام حول هذا الموضوع وتناوله كثير من علمائنا الاجلاء ما بين مؤيد ومعارض ولكل رأيه ودليله . ولكن المجال الان لا يتسع لتلك الخلافات .
وحسبي في هذا المقام ان اشير الى ما سبق من المواقف التي ذكرناها كنماذج لتطبيق الرسول وصحابته لمبدأ الشورى ، فهذه المواقف كافية في الاستدلال على تأييد ان الشورى في الاسلام ملزمة للحاكم .
والقول بان الشورى غير ملزمة للحاكم معناه الغاء ارادة الامة وخضوعها لنزعات الاستبداد الفردي عند الحاكم .

★ مجال الشورى ·

هو الامور التي لم ينزل فيها وحي من الله ولم ترد فيها سنة من رسول الله اما ما نزل فيه وحي من الله او وردت فيه سنة من رسول الله فلا مجال للشورى فيه اذ انه لا يقبل التغيير .

★ كيفية الشورى :

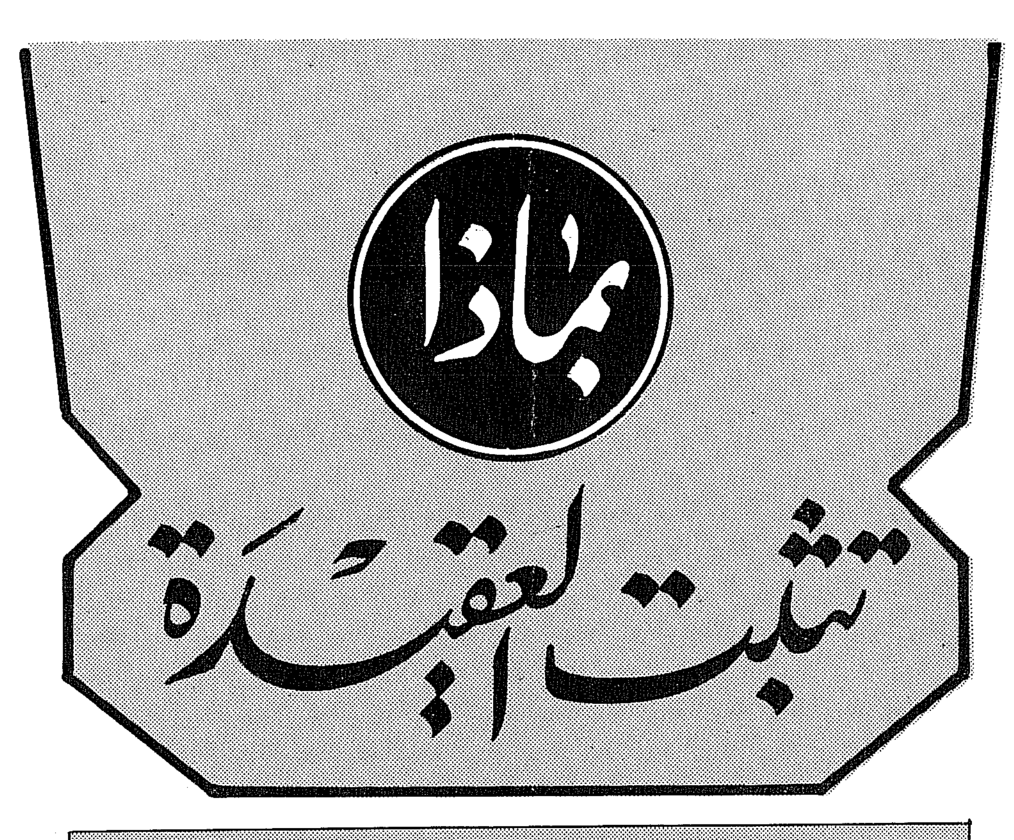
لم يحددها الاسلام وانما تركها للامة تكيفها مع ظروفها وتطوراتها .

★ تأخذ

● تأخذ الشورى في الاسلام برأي الاغلبية ، بل انها تحترم هذا الرأي احتراما شديدا ، وخير دليل على ذلك ما فعله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة احد حين نزل على رأي الاغلبية

● تخلو الشورى الاسلامية من مساوىء النظم الديمقراطية فهي لا تعرف الحزبية التي يمقتها الاسلام .

● الشورى الاسلامية تجنب الامة نزعات الاستبداد الفردي عند الحاكم كما انها تقي المجتمع من آراء الشذاذ .. وفي نهاية حديثنا عن الشورى في الاسلام نتمنى من الله سبحانه ان يوفق المسلمين الى العودة الى الشورى الاسلامية التي لا تعرف التقليد ، ولا تعرف العزف على انغام الغرب ، ولا التغني بانغامه والله المستعان .



للشيخ / عبد الحميد السائح

من الامور التي لا يختلف عليها اثنان ان العقيدة هي الاساس الذي يجب ان يعنى بتثبيتها واحكامها ، وازالة الشبه والغموض عنها حتى تكون صافية صفاء الاسلام نفسه ، وتكون واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، بعيدة عن الدجل والتخيلات والاوهام .

ومن المسلم به ايضا ان العقيدة في الاسلام كلما كانت متينة مكينة امكن البناء عليها والاستناد اليها وثبات صاحبها عند المحن ، وصموده عند الفتن ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ، يهتم اولا بترسيخ العقيدة في نفوس اصحابه ، حتى تكونت فئة مؤمنة صمدت عند الشدائد وتحملت كل المصاعب ، وضحت في سبيل عقيدتها بكل شيء ، حتى اموالها وراحتها واصبح هدفها الاسمى الايمان بالله والحصول على رضاه ، وهجرت في سبيل ذلك اوطانها واقامت دولتها على اساس الايمان وعزة الاسلام ولا ريب أنه نشأ بعد ذلك فئات وطوائف في مختلف العصور جمحت عن طريق السداد وجنحت الى الانحراف ، والاضطراب سيرا وراء افكار فلسفية او آراء نظرية ، ينقصها التمحيص والتحقيق ويعوزها السند العلمي الدقيق.

ومن هذا القبيل ما انبهر به بعض الكتاب المعاصرين من دعوى الاعجاز العددي للقرآن الكريم لرقم ١٩ ، وبنوا على ذلك قصورا ونتائج لا تثبت امام نقاش علمي صحيح ، حتى وصلوا الى انكار ملائكة النار والى تحديد وقت الساعة .

وان ما تضمنه المقال القيم للمستشار حسين ناجي محيي الدين والمنشور في

الوعي الاسلامي العدد ٢١٤/ شوال ١٤٠٢ هـ اغسطس ١٩٨٢ م من نقد لمن تخيل الاعجاز في الرقم ١٩ ، وما ترتب عليه ، هو في محله غير ان المقال تضمن امورا ذات علاقة في اثبات العقيدة ، لا يصح السكوت عليها ولا المرور بها من غير تمحيص ولا تحقيق ، خصوصا ان غير الاستاذ المستشار ذهب الى ما يعارض تلك الامور ويناقضها ، كما يتجلى فيما يلي : يقول الاستاذ المستشار في مقاله المذكور :
١ ـ من المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وائمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور ان الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب ان يكون تقينيا يعني متواترا ، فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ولا يؤخذ فيها بأي خبر ولو كان صحيحا الخ .
٢ ـ كل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب ، واقحاما على الله ما لم يأذن بقوله الخ ..
٣ ـ ان المتدخل في الغيبيات اثباتا بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني او المتدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه وافترى على الله ، وادعى لنفسه ما ليس اليها فضلا عن انه ينحرف الى التكذيب والانكار والتحريف والتزوير الخ ..

والذي ذهب اليه الكاتب الكريم يتفق مع رأي بعض العلماء الاعلام ويقتضيه تعريف علم العقائد بانه « العلم بالعقائد الدينية المكتسب من الادلة اليقينية » كما جاء في كتاب « فلسفة التوحيد او اشرف المقاصد » للعلامة احمد بن محمد المكناسي من علماء القرن السادس الهجري في عهد الدولة المولوية الهاشمية الاسماعيلية . وذهب اخرون الى ان العقيدة تثبت بحديث الاحاد اذا كان صحيحا وهو ما يقتضيه تعريف علم العقيدة بانه « علم يقتدر منه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ، ودفع الشبه » ، كما جاء في كتاب « المواقف » للعلامة عبد الرحمن ابو الفضل عضد الدين الايجي ، وهو من علماء القرن الثامن الهجري ، وذلك ما ذهب اليه الاستاذ محمد ناصر الالباني في رسالته « وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة » ص ٥ وفي رسالته الاخرى « الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ص ٢٥ ـ ٤٥ ورأى ان القول بان العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي وهو القرآن الكريم والحديث المتواتر ، قول مبتدع لا اصل له في الشريعة الغراء ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن احد منهم الخ ..

وازاء هذين الاتجاهين المتضاربين رأيت ان احقق الموضوع من جميع اطرافه واعتمد على ما قرره الاسلاف من العلماء الاثبات خدمة للحقيقة وتجلية لها ، ومعاونة في تحديد ما تثبت به العقيدة في الاسلام ، وما يترتب على ذلك من نتائج :
١ ـ ان الرسول صلى الله عليه وسلم حين يحدث اصحابه في اي شأن من شئون الدين ، انما يبلغ ما امره الله بتبليغه كما قال سبحانه : **وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى .**
٢ ـ ان الصحابي بعد ان يؤمن برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه

يتيقن صدق ما اخبر به الرسول وسمعه منه عن الله سبحانه ، لا فرق في ذلك بين شئون العقيدة او الاحكام العملية الدنيوية الاخرى وسواء استند خبر الرسول الى آية منزلة ، او حديث نبوي ، وكلاهما يفيد اليقين ، ولا مساغ للقول حينئذ بالتواتر والاحاد .

٣ ـ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي ، وتفرق اصحابه في الامصار ، وقبل تدوين الاحاديث في مسانيد وصحاح وسنن ، كانت العمدة على الرواية فاذا كان الراوي ثقة اعتمدت روايته والا اخذ بالاحكام المبنية في علمي الاصول ومصطلح الحديث في ذلك .

٤ ـ ما نقل من الاحاديث والسنن ، منه ما وصل الينا بطريق التواتر ، اي نقله جماعة عن جماعة لا يحتمل تواطؤهم على الكذب ، في جميع مراحل النقل حتى تصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا النوع من الاحاديث المتواترة لا خلاف بين علماء المسلمين وأئمتهم في الاعتماد عليه في العقيدة والاحكام وانه يفيد اليقين واما ما وصل الينا بطريق الاحاد فسيعرف حكمه مما يلي .

٥ ـ جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق ، وطريق اهل السنة ان لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول ولا بقول احد . قال البخاري رحمه الله ، سمعت الحميدي يقول : كنا عند الشافعي رحمه الله فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال : قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال رجل للشافعي ، ما تقول انت ، فقال : سبحان الله ، تراني في كنيسة ؟ تراني في بيعة ؟ تراني على وسطي زنار ؟ اقول لك : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت تقول : ما تقول انت ؟ ونظائر ذلك في كلام السلف كثير . وقال تعالى :(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم)الاحزاب /٣٦ .

وخبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الامة ، وهو احد قسمي المتواتر ، ولم يكن بين سلف الامة في ذلك نزاع .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل رسله آحادا ويرسل كتبه مع الآحاد ولم يكن المرسل اليهم يقولون : لا نقبله لانه خبر واحد الخ ..[٢] .

٦ ـ وفي شرح مسلم الثبوت من كتب اصول الفقه المعتبرة جملة من الاحكام المتعلقة تتلخص بما يلي :

أ ـ الاكثر من اهل الاصول ، ومنهم الائمة الثلاثة ابو حنيفة ومالك والشافعي على ان خبر الواحد ان لم يكن المخبر معصوما نبيا ، لا يفيد العلم مطلقا ، « يقصد بالعلم هنا وجوب الاعتقاد » ، وقيل يفيد بالقرينة وقيل يفيد العلم مطلقا وعن الامام احمد ان هذا مطرد في جميع الحالات .

ب ـ الاجماع على العمل به في حياته صلى الله عليه وسلم .

جـ ـ تحريم العمل بالظن ، المدلول عليه بالايتين : ولا تقف ما ليس لك به علم الاسراء /٣٦ و« ان يتبعون الا الظن» النجم /٢٨ مخصوص باصول الدين فان الظن واجب الاعتبار في العمليات بالدلائل القطعية .

٧ ـ في فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، يجب العمل بالاحاديث الصحيحة ، التي لا يعلم لها معارض يدفعها وهي تنقسم الى ما دلالته قطعية ، بان يكون قطعي السند والمتن ، وهو ما تيقنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ، وتيقنا انه اراد به تلك الصورة والى ما دلالته ظاهرة غير قطعية .

فأما الاول فلا خلاف بين العلماء في الجملة انه يجب اعتقاد موجبه علما وعملا . وقد اختلفوا في خبر الواحد الذي تلقته الامة بالقبول والتصديق او الذي اتفقت على العمل به . فعند عامة الفقهاء واكثر المتكلمين انه يفيد العلم ، وذهب طوائف من المتكلمين انه لا يفيد .

واما القسم الثاني وهو الظاهر فهذا يجب العمل به في الاحكام الشرعية باتفاق العلماء المعتبرين فان تضمن حكما علميا مثل الوعيد ونحوه فقد اختلفوا فيه فذهب طوائف من الفقهاء الى ان خبر الواحد العدل اذا تضمن وعيدا على فعل فانه يجب العمل به في تحريم ذلك الفعل ، ولا يعمل به في الوعيد الا ان يكون قطعيا وكذلك لو كان المتن قطعيا لكن الدلالة ظاهرة .

وذهب الاكثرون من الفقهاء وهو قول عامة السلف الى ان هذه الاحاديث حجة في جميع ما تضمنته من الوعيد ، فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين من بعدهم ما زالوا يثبتون بهذه الاحاديث الوعيد كما يثبتون بها العمل الخ .

٨ ـ وقال الامام الحافظ أبو عمر يوسف المعروف بابن عبد البر الاندلسي واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل ، هل يوجب العلم والعمل جميعا ، أم يوجب العمل دون العلم ؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم انه يوجب العمل دون العلم ، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر ، ولا يوجب العلم عندهم الا ما شهد به على الله ، وقطع العذر بمجيئه قطعا ولا خلاف فيه . وقال قوم كثير من أهل الاثر وبعض أهل النظر انه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعا ، ثم قال : والذي نقول به انه يوجب العمل به دون العلم ، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه .

٩ ـ ذكر المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه « العقيدة الاسلامية » ان الامام الشافعي في الرسالة أول من تعرض لتقسيم العلم بالاحكام التكليفية العملية والاعتقادية الى قسمين :

الأول ـ سماه علم العامة .

الثاني ـ سماه علم الخاصة .

أما علم العامة فلا يسمع بالغا غير مغلوب على عقله جهله ، مثل الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج على المستطيع والزكاة ، وانه حرم عليه الزنا ،

والقتل والسرقة والخمر ، وما كان في معنى ما ذكر .

وأما علم الخاصة ، فما يعرض للناس من فروع الشريعة ، التي ليس فيها نص كتاب لا يحتمل التأويل ، ولم يكن فيها نص متواتر ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو وجد نص ولكن بخبر الاحاد ، لا بالخبر المتواتر أو كانت النصوص فيه قابلة للتأويل ، ثم قال : ومن امتنع من قبول ما جاء في الكتاب أو السنة المجمع عليها ، استتيب ، أما خبر الخاصة (أي حديث الاحاد) فهو ملزم للعاملين في العمل وليس لهم رده ، ولكن لو شك شاك في هذا لم نقل له ـ تب ـ بل نقول له : ليس لك أن تشك . ثم قال الاستاذ أبو زهرة ، وعلى منهاج الشافعي نسير ، والأصل في اثبات العقائد لا يكون الا بالكتاب الذي لا يقبل التأويل ، والسنة المتواترة ، التي تثبت العلم الضروري ، وأما خبر الواحد فانا نرى انه مع وجوب منع رده ووجوب قبوله ، لا يثبت العقائد اثباتا قطعيا ، فاذا كان قد ذكر بالسنة غير المتواترة أمور اعتقادية كبعض الاخبار عما يكون يوم القيامة وعما يكون في الجنات من نعيم مقيم ، وعما يكون في آخر الزمان من أخبار الدجال ونزول المسيح عليه السلام وغير ذلك مما ذكر في أخبار الآحاد التي يرويها الثقات العدول فانا نقبله ولا نرده ، ولكن لأن التكفير أمره خطير واعتبار المسلم مرتدا ، مع احتمال الغلط في أخبار الآحاد يمنع من اعتباره قطعيا في السند ، وكذلك ما يكون متواترا يحتمل التأويل غير المتكلف ، فانه يقبل النص ولكن لا يعتبر مرتدا الخ .

الخلاصة

١ ـ ما ذكره المستشار حسين ناجي ، في المقال المذكور من أنه (لا خلاف بين علماء وأئمة المسلمين في كل العصور وان الاجماع انعقد عليه ، وهو أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب أن يكون متواترا ، وان هذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقيدة ، ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر الخ غير دقيق ، بل ان ذلك موضع خلاف كما عرف مما سبق .

٢ ـ ما ذكره المستشار أيضا من أن كل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب الخ ليس صحيحا أيضا ، وان كان يسوغ له أن يختار القول بأن العقيدة لا تثبت الا بخبر قطعي ، دون الطعن بعقيدة من يقول بغير ذلك .

٣ ـ قول المستشار أيضا ، ان المتدخل في اثبات الغيبيات بغير الدليل القطعي يكون قد افترى على الله ، فيه مجازفة ومخالفة لآراء بعض الأئمة الاثبات الذين أشرت اليهم .

٤ ـ ما ذهب اليه الاستاذ محمد ناصر الالباني ، من وجوب الأخذ بالعقيدة بحديث الاحاد ، وان القول بأن العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي قول مبتدع ولا أصل له في الشريعة ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن أحد منهم الخ قول غير صحيح أيضا ، ويتعارض مع ما نقلناه عن الامام الشافعي وعن شيخ الاسلام ابن تيمية وعن الحافظ ابن عبد البر الاندلسي .

٥ ـ والذي اختاره ليكون منهجا في العقيدة متفقا مع كل الاتجاهات السليمة هو ما يلي :

أولا ـ من أنكر شيئا من أمور الدين ، وهو يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدث به أو

قرره فقد طعن في صدق الرسول وكذب برسالته ، ويلحق به من أهمل العلم بالمتواتر ، والمعلوم من الدين بالضرورة وهو ما في القرآن الكريم والسنة المتواترة ، ومثل هؤلاء يستتابون ، لأنهم سلكوا طريقا غير طريق المؤمنين ، ولا يعتبرون من المسلمين الا اذا تابوا وأصلحوا وعدلوا عن انحرافهم .

ثانيا : كل مسلم له قدرة النظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية اذا ظهر له فيها وجه لا يتصادم مع نصها ، ولا يتعارض مع النصوص والآيات الاخرى ، ولا يؤدي الى انكار أية عقيدة وردت في الكتاب أو السنة المتواترة ، فلا يجوز لنا أن نكفره ونعتبره خارجا عن الاسلام ، لمخالفته المشهور بين العلماء أو لاعتقاده وجها غير مألوف ، وان كان الأجدر بالمسلم أن يتمسك بعقيدة السلف المعروفة عن الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ، دون الدخول في تفصيلات لم تثبت بطريق صحيح يعتمد عليه .

أما اولئك الذين لا خبرة لهم بشؤون الدين واحكامه ولا معرفة لهم بأصول اللغة وقواعدها فليس لهم أن يخرجوا على الناس بأمور تحللهم من فرائض دينهم ، أو تحل لهم ما حرم عليهم بنصوص القرآن ، والاحاديث المعول عليها أو تبعدهم عن نهج الاسلام وقواعده الصحيحة .

ثالثا ـ القول بعدم اعتماد الاخبار والاحاديث النبوية ، والاقتصار على ما في كتاب الله ، أو التفريق بين السنة العملية والسنة القولية ، هو مناف للاسلام ومصادم للقرآن وهوبدعة بعض المنحرفين من أهل الضلال ولم يقل بذلك أحد ممن يعتد بقوله . قال تعالى : « **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون** » .. النحل / ٤٤ وهل سنة الرسول وأحاديثه الصحيحة ، سواء كانت عملية أو قولية الابيان وتوضيح ما اشتمل عليه القرآن من العقائد والاحكام .

رابعا : القول باعتماد أخبار الأحاد التي رواها الثقات في العقيدة والعمل هو مذهب كثير من أئمة المسلمين وعلمائهم في جميع الامصار ، ولذلك فما نقل عن البعض من تحريم أخذ العقيدة من أخبار الاحاد ، قول غير صحيح أيضا ولا يعول عليه .

خامسا : لا يجوز تكفير من لم يعتمد في العقيدة على خبر الاحاد ، ولا من يؤول النصوص القطعية الثبوت تأويلا يحتمله لفظها ، حسب قواعد اللغة العربية وأصولها ، وذلك لأن التكفير أمره خطير ، ويجب أن يعتمد على الأمور القطعية التي لا تحتمل الغلط ؛، وفي حديث رواه البخاري : اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما . أما اذا كان النص قطعي الثبوت قطعي الدلالة مثل : وأحل الله البيع وحرم الربا . ومثل ما ورد في تحريم الخمر والزنا ونحو ذلك ، فلا مجال للتأويل فيها أو الاجتهاد بنصوصها ، وكل من يخالف ذلك ، فقد سلك طريقا غير طريق المؤمنين ، ويستتاب حتى يعتبر من جماعة المسلمين ، وهذا هو الطريق السليم الذي به يصان الاسلام ، من عبث العابثين ، وهراء الملحدين ، وتلاعب المستهترين ، .

قال تعالى : « **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** » **الفتح** /٢٨ .

نسأل الله أن يوفقنا جميعا للحرص على رضاه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة والحسنى ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

بمناسبة رحيل ابطال المقاومة الفلسطينية عن بيروت في ذي القعدة ١٤٠٢هـ ـ اغسطس ١٩٨٢م



للاستاذ محمود عبد اللطيف فايد

يا اخوتي في عالم الأحياء ... لا وقت للعبرات عند رثائي !!
أنا عامر ساح الخلود وهانىء ... بمشاهد التكريم والاعطاء
كشف الغطاء عن العيون فراعها ... سحر من الفردوس ، فيض بهاء
حيث الورود بنظمها وعبيرها ... فرحى تحيي موكب الشهداء
وتمايل الأغصان يعرض لوحة ... لتآلف وتمازج وصفاء
والحور أرسلن اللحون تحية ... للقادمين على سنا وسناء
(عمر) أبو الشهداء يقدمنا هنا ... كالوالد المتبوع بالأبناء
كل أراد المعتدون فناءه ... والله يأبى غير حسن بقاء :
مامات من يهدى على درب العلا ... خطواتنا ، والعزة الشماء

○○○

أرأيتم قومي جميل نهايتي ... وشراسة الأعداء في أجوائي ؟
وتخاذل الأحباب عن صد العدا ... وكأن في حسن الكلام عزائي !
والكون يعجب من بطولة شعبنا ... والمجد يرمقنا على استحياء !
سبعون يوما في جحيم هائل ... وعزيمتي أقوى من الأرزاء
حسبوا الحصار معجلا لنهايتي ... فحصرتهم في بقعة سوداء
ولكم رجا (شارون) نصرا عاجلا ... مترقبا للراية البيضاء
لكنني أرهقته وأغظته ... وعلا يناطح حائط الشهباء
هل ينكر التاريخ حكمة (ياسر) ... وثباته في ساحة الأشلاء ؟
وتبسم الاخوان في جمر اللظى ... وصمودنا في قوة وفداء ؟
ولكل سيف نبوة لكنما ... خطأ القيادة مرهق الأعباء

○○○

يا إخوتي : مازلت أذكر عالما ودّعته ومعالم الأشياء
وربوع (صيدا) قطعة من موطني كيف اعتُبرت بها من الغرباء ؟
الأرض أرضي ، والفضاء يظلها جوى ومسرح زاجلي وسمائي

○○○

آه لصهيون مآرب في دمي يسعى لها في خِسَّة ودهاء
من شردوا في الأرض صاروا فيلقا يهزا بنا ويطل من علياء !!
يتوحدون على اختلاف لغاتهم لمذلتي وإهانتي وشقائي
و(العم سام) كم يؤيد طيشهم لصّان كم دأبا على إيذائي
عجبا خزائنه تضيق بثروتي والمر لي ، والشهد للأعداء
ما عاد يلمحنا كجسم واحد شتان بين حجارة وبناء
وتلاحم الذرات يصنع طودنا من بعد ما قد كن شبه هباء

○○○

أَبني أبي : بالله لا تتفرقوا فالخلف يبقينا مع الضعفاء
الدين والأصل العريق موحد ماح لليل الضعف والشحناء
فلم الشرود عن الصواب كأننا لم نقتنع بتتابع الأرزاء !
لا تحرق المأساة حسن جهادكم لله فوق محجة بيضاء !!
طلقات خصمي لم تفرق بيننا بجنوب لبنان ولا الصحراء
أقطارنا كُوِيَت بفاجر غدرها كم نددت بالطعنة النكراء
الثأر لا التنديد يردع باغيا والنار فوق بلاغة البلغاء
جل المصاب ولن يفيدكم الأسى وتصارع التهمات والآراء
والتبر فوق النار يصفو جوهرا وسنا الخطوب منارة الحكماء

○○○

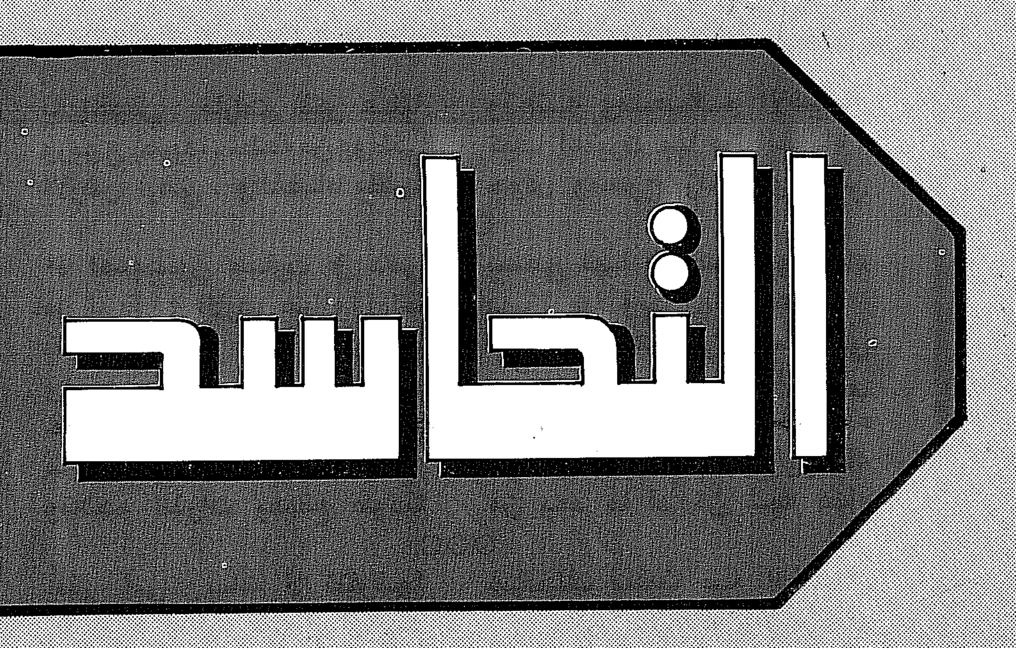
هذا عدوي قد بلوتم غدره فإلام ترجى (لعبة الوسطاء) ؟
هل نأمن الأفعى وشر سمومها في حجرنا أو نتقي بدواء ؟
الحل معروف وفي إمكانكم لو عشتم في وحدة وإخاء
والنصر ظلٌ المؤمنين بربهم أسد الورى ببطولة وفداء
العاملين لدينهم ولعزهم السائرين على خطا الشهداء

○○○

يا إخوتي : إني صدقتكم الهدى ووصيتي سطرتها بدمائي
أترى تحل قلوبكم وعقولكم فتريحكم من نكبة سوداء
لا تنمحي بتخلف وتمزق أو تنجلي بنذالة العملاء

○○○

لا يأس مهما طال ليل محزن فالفجر قارب مؤذنا بضياء
فجر التوحد والتقدم والعلا فجر الشباب لأمتي المعطاء



من مأثورات عمر بن ابي ربيعة الشاعر قوله :

حسدا حملنه من اجلها وقديما كان في الناس الحسد

اي ان الحسد موجود في الانسان منذ خلق ، وبسببه قتل احد ابني ادم اخاه على قرب عهد بالجنة ، وعلى قلة ما جد في الدنيا من اسباب تؤدي الى الاثرة والتحاسد والتنافس . ولكنه الداء الوبيل الذي اعده الشيطان ليكيد للانسان ، والذي كان طبعا في ابليس فاراد ان يبثه في بني ادم ليفسد به حياتهم وينغص معيشتهم ، روى ابن القاسم عن مالك ـ فيما يحكيه القرطبي في تفسيره ـ انه قال : بلغني ان اول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد ابليس ادم . حسده ـ كما قال قتادة ـ على ما اعطاه الله من الكرامة ، وحين امر الملائكة بالسجود له .

ومما ينسب الى علي كرم الله وجهه فيما يرويه كتاب بهجة المجالس : قال ابليس لجنوده : القوا بين الناس التحاسد والبغي لانهما يعدلان الشرك .

وسرى هذا الداء الوبيل الى قابيل الذي حسد اخاه هابيل الذي تقبل الله قربانه فقتله ، وقص الله قصتهما في سورة المائدة حيث قال جل شأنه : (**واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**) الى اخر الايات من ٢٧ الى ٣٢ ـ المائدة .

ولم ينج من الحسد اخص الناس من سلالة الانبياء والمقربين ، واخوة يوسف الذين حسدوا اخاهم خير شاهد على ذلك .

وتوارث الناس هذا الحسد الذي اثمر البغي حتى قال الشاعر :

جنى الضغائن اباء لنا سلفوا فلن تبيد ، وللاباء ابناء ..



للاستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

مفهوم الحسد : والحسد هو ان يتمنى الانسان زوال نعمة انعمها الله على غيره ، ومرده الى الحقد والشر وسوء الطبع ، ومن اجل ذلك امرنا الله بالاستعاذة منه ومن اهله « ومن شر حاسد اذا حسد » وهو من الكفر بالله لان صاحبه اساء الظن بربه على نحو ما فسره « منصور الفقيه » الذي روى صاحب كتاب محاضرات الادباء قوله :

الا قل لمن بات لي حاسدا ... اتدري على من أسأت الادب
اسأت على الله في حكمه ... لانك لم ترض لي ما وهب

وزاد بعضهم :

فكان جزاؤك ان زادني ... وسد عليك باب الطلب .

وهذا النوع من الحسد مذموم ، وقد امرنا الله بمقاومته في نفوسنا .

الحسد والغبطة : وهناك لون من الحسد هو ما يسمى الغبطة ، وهي ان تتمنى مثل حال صاحبك قال عليه الصلاة والسلام : المؤمن يغبط والمنافق يحسد ، وعليه قوله عليه الصلاة والسلام « لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ، ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواهما ابن عبد البر النمري في كتابه بهجة المجالس .

ولأن الحسد يكاد يكون طبيعة في ابن ادم ، وضع النبي صلى الله عليه وسلم له انواعا من العلاج اهمها عدم البغي . فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه يوسف بن محمد بن عبد البر النمري في كتابه السابق انه قال : ثلاثة لا يكاد

يسلم منهن احد : الطيرة والحسد والظن . قيل فما المخرج منهن يا رسول الله ؟ قال : اذا تطيرت فلا ترجع واذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق .

مبعث الحسد : ومبعث الحسد في النفس ما ركب فيها من حب الغنى والسيطرة والأثرة وحب التملك والرغبة في الاستعلاء . فاذا ما وجدت من يفوقها في ذلك استطار شرها ، وعلى ذلك فان النعم التي يفيئها الله على عباده من الأسباب التي تثير الحسد في النفوس ، حتى ورد الأثر الكريم : « كل ذي نعمة محسود » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ما كانت على أحد نعمة الا كان لها حاسد ، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزا » .

وعلى الرغم من أن الانسان قد نهى عن الحسد وأمر أن يقوم نفسه بالجهاد حتى لا تقع في هذا الداء الوبيل وشره المستطير ، إلا أننا نجد هذا الداء مستشريا حتى بين العلماء أنفسهم الذين نصبوا أدلة على الهدى ومعالم للتقوى وأمثلة صالحة للايثار والتواضع .

ولو حسد جاهل عالما لهان الأمر لأن الناس أعداء ما جهلوا كما يقولون : ولأن الشاعر الحكيم أجاد تقرير ذلك حين قال :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها   حسدا وبغضا إنه لدميم

أما أن يحسد عالم عالما فذلك هو العجب ، ومرده ـ كما أسلفت القول ـ الى ما ركب في الطبع من ذلك الداء الوبيل الذي لا يكاد يسلم منه أحد الا من عصم الله ووفقه في أن يتغلب عليه بمجاهدة النفس وحملها على الاعتدال والكف عن البغي .

ولأن تحاسد العلماء فيما بينهم قد اشتهر أمره ، وجرت به أقلام المؤرخين ، ووعته بطون الصحف ، وردت الحكمة التي رواها الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء : هلاك العلماء بحسدهم ، ولعله يقصد أن الحسد بينهم يؤدي الى أن يكيد بعضهم لبعض ، أو يؤدي الى غلبة الانفعال المفرط الذي يثير جيشان الدم الذي يقتل صاحبه إما فرحا أو غما ، كما حدث ذلك بالنسبة لسيبويه الذي تناظر مع الكسائي في مجلس الرشيد فخذل ظلما فمات كمدا وحزنا ... وسيأتي ذكر هذه القصة إن شاء الله تعالى .

وبسبب ذلك الحسد الذي يؤدي الى ركوب البواطل أحيانا لأنه يرغب في الانتصار للنفس لا للحق قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون.

وقد تكون الغيرة غير الحسد ولكنها فرع منه على أي حال ، فالغيرة تدفع الى التنافس وطلب الكمال كما تؤدي الى صون العلم عن غير أهله والمحافظة عليه من الابتذال ، ولعل هذه الغيرة هي المعنية في قول الأشج : إني لأغار على الحديث كما

يغار على الجارية الحسناء .

أمثلة من تحاسد العلماء :

ومما يروى في ذلك ما يحدث به الرواة في كتبهم مما كان يدور في مجالس الخلفاء والأمراء بين العلماء من مناظرات يثيرها التحاسد وتثيره ، وقد يؤدي ذلك الى ذهاب التحفظ ويدفع الى الخفة التي تستوجبها حلاوة الظفر أو الغم الذي يستجلبه الخذلان .

حدث الحريري في كتابه درة الغواص قائلا :

جمع الرشيد بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا عنده ، وقد علم اليزيدي أنه يقصر عن الكسائي في النحو ، فابتدره في اللغة قائلا : كيف تقول : تمرة مذنبة ـ بكسر النون المشددة ـ أو مذنبة ـ بفتح النون ؟

فلم يأبه الكسائي لقوله ، بل ظن أنه قال بسرة . فقال : أقول مذنبة بكسر النون فقال : إذا كان ماذا ؟ قال : اذا بدا الارطاب من أسفلها .

فضرب اليزيدي بقلنسوته الارض ، وقال : أنا أبو محمد اليزيدي وقد أخطأت يا شيخ ، التمرة لا تذنب وإنما البسرة تذنب .

فغضب عليه الرشيد وقال : أتكتني بمجلس وتسفه على الشيخ ؟ والله إن خطأ الكسائي وحسن أدبه أحب الى من صوابك مع قبح أدبك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ ، فأمر باخراجه .

فحرص اليزيدي على الظفر حسدا للكسائي الذي كانت له منزلة في بلاط الرشيد جعلته يبادر بالسؤال في ميدان آخر غير ميدان النحو ، ولا يلقي بالسؤال صريحا حتى يموه الأمر على المسئول ، ولكنه على كل نال جزاءه من الرشيد . ويبدو أن أبا محمد اليزيدي كان مولعا بإظهار علمه بين يدي الخلفاء والامراء فقد حكى صاحب مهذب الأغاني في الجزء الثامن في ترجمته هذه القصة :

قال أبو محمد اليزيدي : كنا مع المهدي قبل أن يستخلف بأربعة أشهر ، وعنده شيبة بن الوليد العبسي ، فجمع بيننا مجلس وفيه الكسائي .

ودارت المناظرة حول النسب الى كلمتي البحرين والحصنين ، حيث قالوا في النسب الى البحرين : بحراني ، وفي النسب الى الحصنين : حصني ولم يقولوا : حصناني .

فقال اليزيدي : لو أنهم نسبوا الى البحرين فقالوا بحري لم يعرف أإلى البحرين نسبوا أم الى البحر ولكنهم حين نسبوا الى الحصنين لم يكن هناك موضع آخر يقال له الحصن فقالوا حصني .

قال الكسائي : لما نسبوا الى الحصنين كانت فيه نونان فقالوا حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى ، ولم يكن في البحرين الا نون واحدة فقالوا : بحراني .

قال اليزيدي : فكيف تنسب الى بني جنان فإنه يلزم على ذلك أن تقول : جنى ، ولكنهم قالوا جناني . فسكت الكسائي .

ثم تناظرا في ضبط كلمة « خيرهم » في هذه العبارة : إن من خير القوم أو خيرهم بتة زيدا . فضبطها الكسائي بالرفع ، وعلل شيبة الذي كان حاضرا المجلس ذلك بأن أو بمعنى بل .

ولكن اليزيدي خطأهما وقال بل هي بالنصب . كما ورد في قول الشاعر :

يـأيـهـا الســائـلي لأخبـــره	عمن بصنعاء من ذوي الحســب
حمــير ســادتـهـا تقــر لـهـــا	بالفضل طــرا جحاجح العـــرب
وإن مــن خيــرهــم وأكــرمــهــم	أو خيــرهــم بتــة أبــو كـــرب

وعلة النصب تقدير إعادة إن ...

واستشهدوا بفصيح من فصحاء العرب فوافق على ذلك . فاستفز اليزيدي السرور حتى ضرب الأرض بقلنسوته وقال : أنا أبو محمد ...

فقال شيبة : أتكتني بحضرة الأمير ؟ فقال المهدي : والله ما أراد بذلك مكروها ولكنه فعل ما فعل للظفر وقد لعمري ظفر .

فقال اليزيدي : إن الله عز وجل أنطقك بما أنت أهله وأنطق غيرك بما هو أهله .

فلما خرجوا قال شيبة : أتخطئني بين يدي الأمير ؟ أما لتعلمن .

قال اليزيدي : قد سمعت ما قلت وأرجو أن تجد غبها ـ عاقبتها ـ .

ثم كتب اليزيدي رقاعا فيها أبيات من الشعر تهجو شيبة لم تلبث أن ذاعت في الناس .

وهذا هو الجانب غير المحمود في القصة . وهو أن يؤدي التغاير والتحاسد الى التهاجي .. والتناظر في العلم أمر طيب ، ولكن ينبغي أن يكون منصرفا الى التعليم وبيان وجه الحق لا الى الانتقاص من أقدار الناس . والكسائي لم يخطىء في ضبطه ، ولكن الحسد يفعل الكثير ..

ويذكر الدميري في حياة الحيوان أن المناظرة بين الكسائي واليزيدي في مجلس الرشيد ، كانت بسبب آخر غير ما ذكر ، وهو أن اليزيدي سأل الكسائي عن إعراب كلمة مهر في آخر البيتين الآتيين :

مــا رأينـــــا قـــط خـــربـــا	نقــر عنــه البيض صقـــــر
لا يكــون العيـــــر مهـــرا	لا يكــون المــهـــــر مــهـــر

ـ الخرب ـ نوع من الطيور ـ العير : الحمار .

فقال الكسائي : يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر يكون ، ففي البيت إقواء ، فقال اليزيدى : الشعر صواب ، لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون ، ثم

استأنف فقال : المهر مهر . والنتيجة التي توصلنا اليها من الحوار على كل لا تختلف ..

بين الكسائي والمفضل الضبي وذكر السيوطي في كتاب المزهر ما نقله عن الزجاجي في أماليه ، قال : أخبرنا أحمد بن سعيد الدمشقي ، قال : قال المفضل الضبى : وجه الى الرشيد فما علمت إلا والرسل تطلبني ، فخرجت حتى صرت إليه وهو متكىء ومحمد بن زبيدة عن يساره والمأمون عن يمينه ، فسلمت عليه ، فأومأ إلي بالجلوس فجلست ، فقال : يا مفضل ، كم في "فسيكفيكهم الله" من اسم ؟ فقلت : الياء لله عز وجل والكاف الثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهاء والميم والواو للكفار . قال : صدقت كذا أفادنا هذا الشيخ ، يعني الكسائي وهو إذن جالس .

ثم قال : فهمت يا محمد ؟ قال : نعم ، قال : أعد المسألة فأعادها كما قال المفضل . ثم التفت فقال : يا مفضل عندك مسألة تسأل عنها ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قول الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال : هيهات ، قد أفادنا هذا متقدما قبلك هذا الشيخ ، لنا قمراها يعني الشمس والقمر كما قالوا سنة العمرين ، يريدون أبا بكر وعمر . قلت زيادة يا أمير المؤمنين في السؤال . قال : زد .

قلت : فلم استحسنوا هذا ؟ قال : لأنه اذا اجتمع اسمان من جنس واحد وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه فسموا الأخير باسمه .

قلت : بقيت مسألة أخرى ، فالتفت الي الكسائي وقال : أفي غير ما قلت ؟ قلت : بقية الفائدة التي أجراها الشاعر المفتخر في شعره . قال : وما هي ؟ قلت : أراد بالشمس إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، وبالقمر محمدا صلى الله عليه وسلم وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين ، فاشرأب أمير المؤمنين وقال للفضل بن الربيع : احمل اليه مائة الف درهم ومائة الف درهم لقضاء دينه .

فما حمل المفضل على الاستزادة في الحديث إلا وجود الكسائي ورغبة في اظهار منزلته وكثرة علمه في مجلس فيه غيره من العلماء .

الكسائي وسيبويه : وقد يؤدي هذا التحاسد الى التزوير وتعمية الحقائق ، ولعل أقدم ما يدل على ذلك في دنيا العلماء ما دار في مجلس الرشيد بين سيبويه والكسائي فيما يحكيه ابن خلكان في وفياته .

قال : ورد سيبويه الى بغداد من البصرة والكسائي يعلم الأمين ، فجمع هارون بينهما ، وتناظرا في قول القائل : كنت أظن أن الزنبور أشد لسعا من النحلة فاذا هو هي أو إياها ...

قال الكسائي : إياها . وقال سيبويه : هي ..

وأصر كل على رأيه حتى اتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من

كلام أهل الحضر .

وكان الأمين شديد العناية بالكسائي لكونه معلمه . فاستدعى عربيا وسأله فقال كما قال سيبويه ، فقال له الأمين : نريد أن تقول كما قال الكسائي ، فقال : ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانه ما يسبق إلا إلى الصواب ، فقرروا معه أن شخصا يقول : قال سيبويه كذا ، وقال الكسائي كذا فالصواب مع من منهما ؟

فيقول العربي : الصواب مع الكسائي . فقال هذا يمكن ... وتم ما أرادوا .

فعلم سيبويه أنهم تحاملوا عليه وتعصبوا مع الكسائي ضده ، فخرج من بغداد مغموما وقد حمل في نفسه لما جرى عليه .

وهكذا ضاع الحق ، وما أشق ذلك على نفس الحر ، ولا سيما إذا كان صاحب السلطان ضالعا في ضياعه .

بين الأصمعي والجرمي : وجاء في درة الغواص للحريري أيضا ، قال : لما شخص أبو عمرو الجرمي الى بغداد ثقل موضعه على الأصمعي إشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنده ويصير السوق له ، فأعمل الفكر فيما يغض منه ، فلم ير إلا أن يرهقه فيما يسأل عنه ، فأتاه في حلقته وقال له : كيف تنشد قول الشاعر :

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين بدأن للنظار

أو حين بدين ؟

فقال له : بدأن . قال : أخطأت . فقال : بدين . قال : غلطت ، إنما هو (بدون) أي ظهرن . فأسرها أبو عمرو في نفسه وفطن لما قصده واستأنى به الى أن تصدر الأصمعي في حلقته واحتف الجميع به فوقف وقال له : كيف تقول في تصغير مختار ؟ قال : مخيتير ، قال : أنفت لك من هذا القول ، أما تعلم أن اشتقاقه من الخير وأن التاء فيه زائدة ؟ ولم يزل يندد به الى أن انفض الناس من حوله ..

وكما كان هناك تحاسد بين الأصمعي والجرمي ، كان هناك تحاسد أشد بين الاصمعي وأبي عبيدة بسطت الكتب الأدبية ألوانا منه ..

وكان هناك تنافس أثاره التحاسد بين المبرد وثعلب ، حتى صار التباعد بينهما والتنافر مضرب مثل ، من ذلك ما ورد في كتابنا « المبرد أديب النحاة » : روى ياقوت أنه قد كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافرة ، واشتهر ذلك حتى صار مضرب الامثال ، وحتى قال بعضهم ممثلا بعسر اللقاء بين هذين العالمين :

كفى حزنا أنا جميعا ببلدة ... ويجمعنا في أرضها شر مشهد
وكل لكل مخلص الود وامق ... ولكنه في جانب عنه مفرد
نروح ونغدو لا تزاور بيننا ... وليس بمضروب لنا يوم موعد
فأبداننا في بلدة والتقاؤنا ... عسير كلقيا ثعلب والمبرد

وبين الشعراء : واذا كان العلماء يتحاسدون لما فضل الله به بعضهم على بعض في العلم ، وهذا التفاضل يؤدي الى ازدياد قرب الفاضل الى الخليفة وارتفاع قدره بين الناس خاصتهم وعامتهم كما يؤدي الى إغداق العطايا عليه ، فإن الشعراء لما يحرزون من أموال الخلفاء والأمراء يكونون أشد تحاسدا وتباغضا .

جاء في الأمالي الجزء الأول : امتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء فأمر له بسبعين ألف درهم وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه ، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثياب . ثم إن جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر ، فقال بعضهم لبعض : يا عجبا للأمير يعطي أبا العتاهية سبعين ألف درهم ، فبلغ ذلك عمر فقال : علي بهم ، وأدخلوا عليه . فقال : ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشعراء ، إن أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيشبب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتا ، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره . وقد أتانا أبو العتاهية فشبب ببيتين ثم قال فينا ما قال ، وذكر أبيات مدحه فيه .

تباهي العالم وخيلائه : ويتصل بتحاسد العلماء ما يدخل في نفوسهم من عزة العلم وخيلائه حتى يخرجه ذلك عن حد الوقار والسكينة ، فإن العلم يطغى كما يطغى المال ، وإذا بلغ العالم في فنه حدا كبيرا ولم يكن الى جانب ذلك تواضع يزينه وتقوى تعصمه طغى وتكبر ، وربما دفعه ذلك الى الجهل حيث يكبر عليه أن يسأل عن شيء يجهله فلا يجيب فيفتي بغير علم ، وتلك من كبائر العلماء .

ومن خيلاء العلماء ما حدث به الشريش في شرح مقامات الحريري : قال مقاتل بن سليمان يوما وقد دخلته أبهة العلم : سلوني عما تحت العرش الى أسفل الثرى . فقال له رجل : ما نسألك عن شيء من ذلك ، إنما نسألك عما معك من الأرض ؟ أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه ؟ فأفحمه . ولما شهرت تآليف ابن قتيبة ولحظ بعين العالم المتفنن صعد المنبر وقد غص الحفل واعتلى تبريز على علماء وقته مع فضل جاه اشتمل به من السلطان . فقال : ليسألني من شاء عما شاء . فقام اليه أحد الأغفال فقال له : ما الفتيل والقطمير ؟ فلم يحر جوابا وأفحم ونزل خجلا وانصرف الى منزله كسلا . فلما نظر الى اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس بهما ، وهذا من عقاب العجب بالنفس .

وقال قتادة : ما سمعت شيئا الا حفظته ولا حفظت شيئا فنسيته . ثم قال : يا غلام هات نعلي فقال له الغلام : هما في رجليك ، ففضحه الله .

واذا كان الحسد داء في قلب العالم فالكبر داء أكبر وقد قيل :

لكل شيء في الورى آفة وآفة المرء من الكبر ..

واذا كانت هذه أمثلة جرت لبعض ما كان يحدث بين أهل العلم . فإن في المقابل لها أمثلة تدل على إيثار كريم ، ومروءة نادرة ، وتواضع جم ، ومعرفة كبيرة بأقدار الناس ، يكفي في الدلالة على ذلك علاقة الأئمة الأربعة فيمن التقى منهم بعضهم ببعض وتقاريظ غيرهم لهم رضي الله عنهم وأرضاهم .



للاستاذ كارم السيد غنيم

لقد خلق الله الانسان وأمر الملائكة بالسجود له إجلالا لما بثه الله سبحانه فيه من روح ، واشعارا للمخلوق الجديد بان كل ما في الكون والحياة مسخر له ، ثم كان سجود الملائكة ايضا امتثالا لأمر الله الواحد القهار . عصى الشيطان ربه في السجود ودار ما دار من الحوار ، ثم انتهى الامر الى طرد اللعين من الجنة فاذا به يتوعد الانسان بان يقعد له كل مرصد ، وانه سيدفع لكل نسل من ذرية آدم شيطانا قرينا له يغويه ويعمل على ايقاعه في حبائل الذنوب والشرك ان استطاع .

ورد في الأثر عن الحسن البصري : ان الجن ذرية ابليس ـ كما

مداخل الشيطان الى نفس الانسان :

ان ابواب دخول الشيطـان الى النفس الانسانية كثيرة ، وكل بحسب ما فيه من نقطة ضعف ، وعموما فانه يمكن القول بان كل صفة ذميمة او خصلة رذيلة تعد مسلكاً من مسالك الشيطـان في دخـولـه الى النفس البشرية ، فمن مداخله

(١) الغضب . (٢) الشهوة . (٣) الحسد . (٤) الحرص الشديد : فاذا كان الانسان شديد الحرص على شيء ما اعمته شدة حرصه واصمته . (٥) الشبع : حتى ولو كان من حلال صافي ، ففيه ست خصال ذميمة هي :

ذهاب خوف الله من قلب العبد ، ذهاب الرحمة من قلب العبد (لأنه يظن ان كل الناس شباع مثله) ، الاثقال عن الطاعة ، عدم تذوق كلام الحكمة وذلك لفساد رقة البصيرة ، عدم نفاذ كلام الوعظ او الحكمة منه الى قلوب الناس ، ثم تهييج الأمراض لتحرك دواعيها في البدن . (٦) الاسراف : في كل شيء من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومتاع (٧) العجلة : وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى) ، واثر عن احد الصالحين قوله : العجلة من الشيطان الا في خمسة أمور ، فان العجلة فيها محمودة لانها سنة : اطعام الضيف اذا دخل البيت ، تجهيز ودفن الميت ، قضاء الدين ، تزويج البكر ، والتوبة من الذنب .

ان الانس ذرية آدم ـ ومن هذه الذرية وتلك مؤمنون وكافرون ، فمن كان كافرا فهو شيطان سواء كان من عالم الجن ام من عالم الانس ، ومن كان مؤمنا ـ جنا او انسا ـ كان وليا لله ، ولقد ثبت ان مع كل واحد من بني آدم شيطانا من الجن ، يجري منه مجرى الدم .

(٨) البخل وخوف الفقر : وذلك لانهما يدفعان الانسان الى الاكتناز والصراع على التملك واحراز المتاع . (٩) التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم . (١٠) سوء الظن بالمسلمين : والقاعدة في الاسلام هي حسن ظن المرء بأخيه الى ان يثبت عكس ما ظن .

وسائل وطرق الشيطان في إضلال الانسان :

ان لهذه الوسائل اشكالاً والواناً منها على سبيل المثال : (١) يخيل الشيطان للانسان اشياء ويوعز اليه بان النفع فيها ، وهي في الحقيقة عين الهلاك للانسان ، فاذا استجاب المرء ووقع فيما زينه له الشيطان خرج اللعين ووقف ضاحكا مستبشرا بما نجح فيه من إغواء ، وكثيرا ما يكون الشيطان نفسه دالا على صاحبه المسكين فيما وقع فيه من مهالك . (٢) للشيطان قدرة على سحر العقل البشري ، وهو أمر لا يسلم منه الا من شاء الله من العباد ، فكم باطل حسنه الشيطان وكم حسن قبحه ، وضعيف الدين يسير اسيرا في ايدي الشيطان . ومن هذه الامور ما يلقيه اللعين إلى افراد معينين من خيالات متناقضة وآراء متهافتة ، حتى ينسيه كتاب الله وسنة رسوله ، ويدور وراء صاحبه اول الأمر بفاتحة الدخول وهي الوسوسة ، فالوسوسة إيحاء شيطاني يتدخل به شيطان المرء في أمور الايمان والطاعة من طهارة وصلاة وغير ذلك . فان كان المسلم مجتهدا في التقرب الى الله دخل الشيطان الى نفسه بانه قد بلغ من الرقي درجة تسقط معها التكاليف الشرعية ، فيظن العبد المسكين ذلك ويترك التكاليف من اوامر ونواه ، ويقع فيما يسمى (الزندقة) . (٣) قد يظهر اللعين بأشكال شتى وقد يسخر اشياء شتى حول الانسان ليوقعه في الضلال بما نصب له من شرك ، ويروى في هذا الشأن اثر وارد عن الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - يقول : كنت مرة في العبادة ، فرأيت عرشا عظيما وعليه نور ، فقال لي : يا عبد القادر انا ربك ، وقد حللت لك ما حرمته على غيرك . فقلت له : أأنت الله الذي لا اله الا هو ؟ اخسأ يا عدو الله . قال : فتمزق ذلك النور وصار ظلمة ، وقال يا عبد القادر : نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في احوالك (اي معرفة دلالات السلوك الى الله والامور العارضة اثناءه) ، لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلا . فلما حكى الشيخ عبد القادر تلك القصة على تلاميذه في مجلس العلم الذي كان يعقده ، سأله احد التلاميذ : وكيف علمت يا استاذ انه شيطان ؟ فأجابه : علمت ذلك بقوله : حللت لك ما حرمت على غيرك ، وايضا انه قال : انا ربك ، ولم يستطع ان يقول : انا الله الذي لا اله الا انا .

قدمنا هذه الكلمات حتى يعلم الانسان اهم مداخل الشيطان واهم اشكال اغوائه حتى يمكننا التنبه له

فنستعمل الوسائل بالوجه الصحيح . من هذه الوسائل :

اولا : الاستعاذة :

الاستعاذة هي الاستجارة بشيء بقصد رد مكروه سوف يقع او وقع بالفعل ، والاستعاذة بالله تعالى هي اللجوء اليه طلبا لمعونته في دفع المكروه . وللاستعاذة صيغ كثيرة منها ..

(١) أقصر صيغة : اجمع العلماء على ان التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه ولكن ورد الأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم . اذا شرع الانسان في تلاوة القرآن . ايهما افضل (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ام (اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) ؟ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : (يا بن ام عبد : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأني جبريل عن اللوح عن القلم) ورجحه النووي في الأذكار . (٢) الصيغة التي علمها جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : حينما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما فعل ليلة ان كادته الشياطين حيث تحدرت عليه من الأودية والشعاب ، وفيهم شيطان بيده شعلة يريد ان يحرق بها وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل : قال ماذا اقول : قال قل (اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق الا طارقا بخير ... يا رحمن) . (٣) الصيغة التي تعلمها الرسول من ابراهيم ابي الانبياء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول (أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة) ، ثم يقول : هكذا كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها اسماعيل واسحاق .

وتسن الاستعاذة في مواضع منها :

(١) عند تلاوة القرآن الكريم : امتثالا للنص القرآني « **فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » (النحل / ٩٨) بقصد طرد الشيطان حال التلاوة حتى يمكن للمسلم ان ينتفع بقراءته فهما وتدبرا ، ثم ايضا بقصد جلب الملائكة فاذا حضرت هربت الشياطين . (٢) قبل القراءة في الصلاة : خلاصة اقوال العلماء في ذلك انه يجوز للمسلم الاستعاذة قبل القراءة في الركعة الاولى فقط من كل صلاة ، ويجوز للمسلم ان يتعوذ قبل القراءة في كل ركعة من ركعات الصلاة ويجوز له ان يتركها في كل الركعات . (٣) قبل النوم : من السنة ان يتعوذ المسلم عند نومه بصيغة اقصرها « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، او (بسم الله ، اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وان يحضرون) ،

كان عبد الله بن عمرو بن العاص يعلمها لأولاده ليقولوها قبل النوم ، ومن كان منهم طفلا لا يعرف القراءة او الحفظ كتبها له في ورقة وعلقها في عنقه . (٤) عند الأرق اثناء النوم . (٥) عند الغضب : روى مسلم عن سليمان بن صرة احد الصحابة رضي الله عنهم انه حدث ان غضب رجل في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرسول : (اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا ـ يقصد الغضب ـ عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) . (٦) عند مشاغلة الشيطان للمسلم اثناء الصلاة : قيل ان شيطانا يسمى (خترب) يلاعب المسلم اثناء صلاته بقصد افسادها عليه ، فاذا ما أحس المسلم به يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم . (٧) حال السفر عند قدوم الليل يتعوذ المسلم بالصيغة المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم (يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك ومن شر ما خلق فيك ومن شر ما يدب عليك ، ومن اسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ووالد وما ولد) . (٨) عند نزول المسلم منزلا ما : يتعوذ بالصيغة المأثورة عن الرسول (حيث يقول : من نزل منزلا ثم قال : اعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) . (٩) عند ورود النزغ الشيطاني في تفكير او عمل : وذلك بنص القول الالهي « واما ينزغنك من الشيطان [illegible] فاستعذ بالله انه [illegible] عليم (الاعراف [illegible]) كذلك

فالاستعاذة سنة عند دخول المرحاض : علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول (اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث) وقيل ان الخبث هم ذكور الشياطين ، والخبائث هم اناثها .

ثانيا : المعوذات :

المعوذات قد تكون ثلاثة : سورة الاخلاص + سورة الفلق + سورة الناس وقد تكون السورتين الأخيرتين فقط ، حسب الروايات التي وردت مرفوعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذه الروايات : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعقبة : (ألا اخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ؟) قلت بلى ، قال : (قل اعوذ برب الفلق) ، و (قل اعوذ برب الناس) .

عن السيدة عائشة : (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه نفث ـ اي دفع رذاذا من فمه ـ في كفيه بـ : قل هو الله احد ، والمعوذتين جميعا ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده . قالت عائشة : فلما اشتكى ـ اي وجع المرض ـ كان يأمرني ان افعل ذلك به) .

عقد الشيطان :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يعقد الشيطان [illegible] قافية [illegible] احدكم [illegible] هو نائم ثلاث عقد .

يضرب على كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارقد ، ـ اي يكتب على كل عقدة عقدها هذه العبارة ـ فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا اصبح خبيث النفس كسلان) .

استعاذات مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذات كثيرة تضمنتها كتب الحديث المختلفة وكذا كتب اهل السلوك والتربية الروحية ، نذكر منها ما يلي : اللهم اني اعوذ بك من البخل ، واعوذ بك من الجبن ، واعوذ بك من ان أرد الى ارذل العمر ، واعوذ بك من فتنة الدنيا ، واعوذ بك من عذاب القبر .

اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ، واعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فانها بئس البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات) .

اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم .

اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء .

اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر ، واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال .

اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة ، واعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وضيق الارزاق والسمعة والرياء ، واعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام .

اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء .

ثالثا : قراءة آية الكرسي :

ولا داعي لذكر آثار واخبار في فضلها لضيق المجال هنا ولكن نقول انها هي الآية رقم (٢٥٥) في سورة البقرة وهي : « **الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم** » .

رابعا : قراءة سورة البقرة :

ومن جملة ما ورد في فضلها ان البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا تدخله الشياطين .

خامسا : خواتيم سورة البقرة :

وهي الآيات (٢٨٥ + ٢٨٦) من السورة

سادسا : أوائل سورة غافر :

وهي الآيات ١ + ٢ + ٣ من السورة الكريمة وهي « **حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير** » .

سابعا : كثرة ذكر الله :

وهذا موضوع كبير متشعب نؤجله الى لقاء قادم ، ولكن علينا ان نعلم الفرق بين من يذكر الله وبين من لم يذكر الله كالفرق بين الحي والميت ، فالذاكر قلبه حي طاهر منير ، والاخر قلبه مظلم خاو من الأنوار ، ولذكر الله صيغ كثيرة وردت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في جميع الاحوال وجميع الاوقات وجميع الأماكن (فيما عدا قضاء الحاجة في المرحاض) .

ثامنا : احدى صيغ التوحيد :

قول : (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) ١٠٠ مرة متوالية .

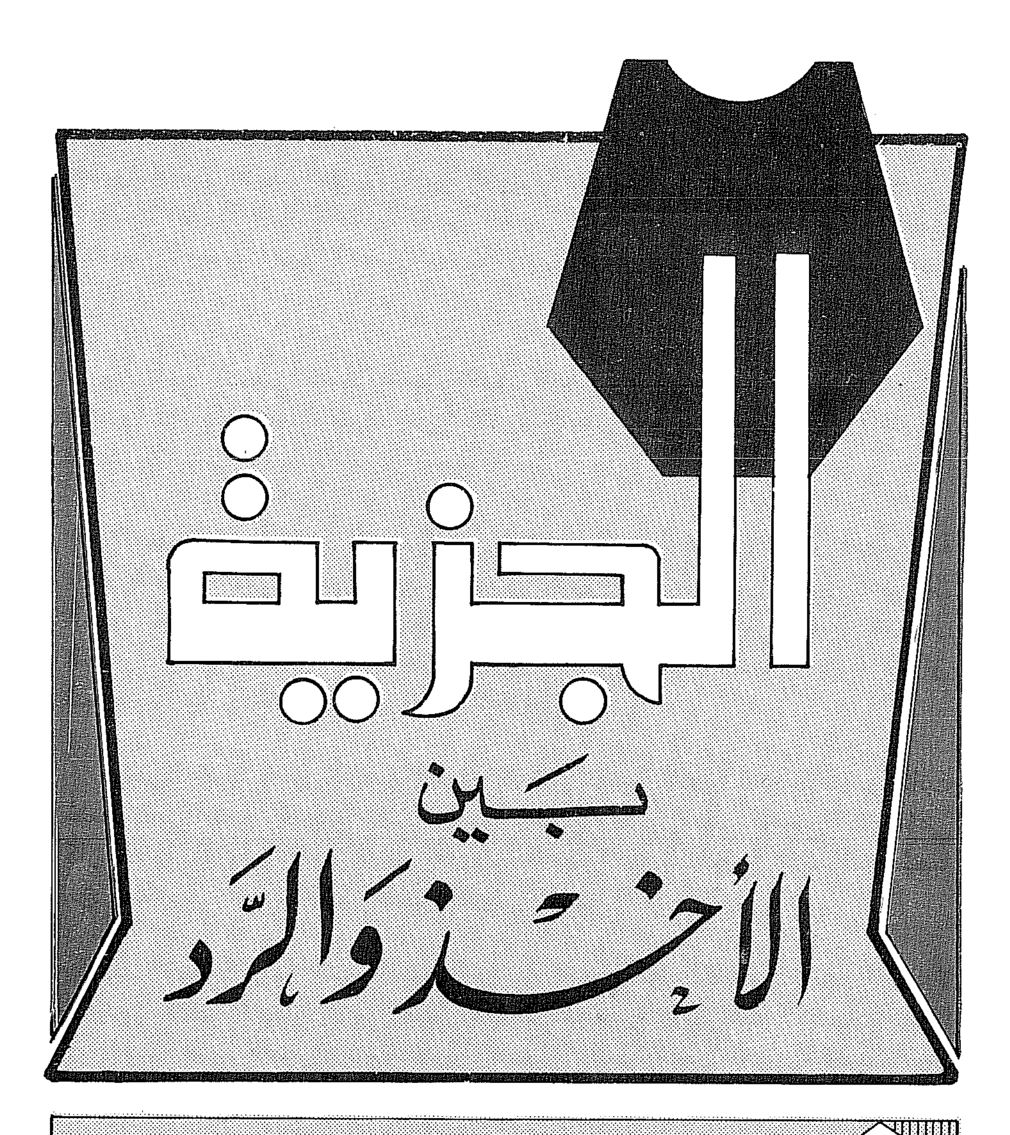
تاسعا : الوضوء والصلاة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما النار تطفأ بالماء ، فاذا غضب احدكم فليتوضأ) وطبعا اذا توضأ فيحسن به ان يصلي على الاقل ركعتين .

عاشرا : الامساك عن فضول الكلام والطعام والنظر ومخالطة الناس :

اما فضول (قليل) النظر : فهو مبدأ الفتنة وبداية الوقوع في المحظور . واما فضول الطعام ، فلقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه ، بحسب ابن آدم اكيلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) واما فضول المخالطة - فيما عدا مخالطة تجر نفعا لدين المرء وتقواه - فهي الاقلال من معاشرة الناس خصوصا غير العاملين بدين الله .

نسأل الله العافية ونعوذ به من شرور الشياطين وسيئات انفسنا انه سميع قريب مجيب .



للاستاذ / ابراهيم النعمة

مقدمة :

الجزية هي الاموال التي تأخذها دولة الاسلام من اهل الذمة او غيرهم من الكفار ، سواء كانت على الاشخاص ام على الارض الزراعية التي يملكونها . هذا هو مفهوم الجزية في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابي بكر وصدر من خلافة عمر . وبعد ان توسعت الفتوحات الاسلامية في بلاد فارس والروم صارت كلمة « الجزية » تطلق على الضريبة التي تؤخذ على الرؤوس فحسب . اما

الضريبة التي تؤخذ على الاراضي الزراعية ، فاطلق عليها اسم « الخراج » . وفرضت الجزية في السنة الثامنة من الهجرة بعد غزوة تبوك ، وقيل بل في السنة التاسعة . وسميت بهذا الاسم من المجازاة في مقابل حفظ نفوسهم وصيانتها من القتل !

وقد وجه خصوم الاسلام سهام نقدهم نحو هذا النظام ، ناعتين الاسلام بانه اعتدى على اهل الذمة وغيرهم من الكفار حين سن نظام الجزية ، واثقل كاهلهم ، فصار كثير من اهل الذمة ينوء بحملها ..!

والعجيب كل العجب ، ان تنزل الى هذا المستوى الوضيع وتتردى فيه منظمة « اليونسكو » التي زعمت في موسوعتها ان الجزية التي فرضها المسلمون على اهل الذمة ، جعلت وضعهم مهينا واثقلت كاهلهم ، وان ازدياد انتشار الاسلام بين اهل الذمة ادى الى تناقص الدخل من ضريبة الجزية ، فاضطرت دولة الاسلام ان تضع ضريبة جديدة هي ضريبة « الخراج » !

ويعترف الكاتب ان ضريبة الخراج لم تكن خاصة باهل الذمة فقط ، بل كانت تشمل اهل الذمة وغيرهم ، الا انه يستدرك فيقول : ان ذلك الوضع الاجتماعي كان ضارا باهل الذمة ويزعم ان اهل الذمة اقبلوا على الدخول في الاسلام تخلصا من الضرائب الباهظة التي كانت تفرض عليهم !

لقد اخطأ كثير من المستشرقين حين تحدثوا في هذه القضية ، لانهم اولا : لا يقرأون ما كتبه المسلمون ، بل ينقل الواحد منهم عن الاخر هذه الشبهات ، واذا اورد قسم منهم الخبر اورده مبتورا او محرفا ، اذ غايتهم الطعن في الاسلام ليس الا ، وليس الوصول الى الحقيقة !

تاريخ الجزية

عرف نظام الجزية منذ عهود قديمة : فكان متبعا في عهد سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ كما ورد ذلك في سفر الملوك .

وعرف لدى النصارى ، فكانت الجزية تدفع للبابوات مقابل حماية الرسول بطرس .. وعرفت الجزية في اليونان : فكان اليونانيون يفرضون ضرائب باهظة ينوء بحملها كثير من الناس في اسيا الصغرى ، وذلك منذ القرن الخامس قبل الميلاد .

اما الرومان ، فقد فرضوها على الامم التي فتحوها ، وهي تعدل سبعة اضعاف

الجزية في الاسلام . يقول الاستاذ محمد كرد علي ناقلا عن بعض المؤرخين وصف حكم الرومان للشاميين :

« وكثيرا ما كانوا ـ الشاميون ـ يبيعون ابناءهم ليوفوا ما عليهم من الاموال ، وقد كثرت المظالم والسخرات والرقيق » .

على ان الضرائب الرومية ، في مصر كانت عامة شاملة ، فهي تجبى على الرؤوس والصناعات ، كما تجبى على الماشية والارض . وليس ذلك فحسب بل كانت تجبى من المارة تجارا وغير تجار ، بل كانت تجبى حتى من اثاث المنازل ! وبلغ الجور والتعسف في الضرائب في هذه البلاد مبلغا كبيرا ، اذ تعدت الاحياء الى الاموات : فكان لا يسمح بدفن الميت الا بعد ان يدفع وليه ضريبة معينة ! يقول « الفردج بتلر » في كتابه « فتح العرب لمصر » على الصفحة ٤٧ :

« ان الروم كانوا يجبون من مصر جزية على النفوس ، وضرائب اخرى كثيرة العدد .. مما لا شك فيه ان ضرائب الروم كانت فوق الطاقة ، وكانت تجري بين الناس على غير عدل » .

وقد عرفت الجزية ـ ايضا ـ في بلاد الفرس . واول من سن نظامها ورتب اصولها وجعلها طبقات كبرى « انوشروان » !

كما عرفت الجزية في بولونيا والدانمرك وانكلترا والمانيا والبرتغال ..!

الجزية في الاسلام :

الجزية في الاسلام ليست هدفا من اهداف الجهاد ولا دافعا من دوافعه ، بل قد تكون نتيجة من نتائجه واثرا من اثاره . يقول القرآن الكريم :

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة / ٢٩ .

فهذه الاية تأمر المسلمين بقتال اعدائهم اذا دعا ما يوجب الى ذلك : كأن يعتدي هؤلاء على المسلمين في اشخاصهم او اموالهم او ديارهم او يحيكوا المؤامرات ضد دولة الاسلام لفتنة المسلمين في دينهم او تعويق انتشار دعوة الاسلام وذيوعها !

ولقد أخطأ قسم من الناس فهم هذه الاية ، فتمسكوا بحرفية اللفظ ، وتناءوا بعيدا عن روح الشريعة الاسلامية في تفسيرها واخذها ، بل ابتعدوا ـ ايضا ـ عن هدى الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والخلفاء الراشدين في اخذها ، اذ الجزية لم تكن سوى وسيلة لهداية الناس الى صراط الله المستقيم .. فلم تكن ضربا من ضروب التحكم والتسلط ، وانما هي دعوة حكيمة للايمان بالله ، واسلوب

حكيم تتفتح به الابصار المغلقة ، وتجدبه الراحة والطمأنينـة النفوس القلقة ، اذ يتعرف من يدفع الجزية على الاسلام : بعقيدته وشريعته واخلاقه وسماحته وعدالته وتراحم اهله وتعاونهم على المكرمات الناصعات والسجايا الرائعات ، وذلك حين يخالط من يدفع الجزية للمسلمين . وهكذا يتعرف غير المسلمين على الاسلام من خلال فرض الجزية عليهم . فهي اذن دواء لداء ، وعملية جراحية لاستئصال امراض قتالة ، واي مرض اشد خطورة من مرض التقليد الاعمى والمحاكاة البلهاء ، وعكوف المرء على ما وجد عليه اباءه من دين وعقيدة وعادات لا تتفق مع العقل وفطرة الله التي فطر الناس عليها ؟!

والمقصود باليد في قول الله تعالى : **(حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)** هو الغنى والقدرة على دفعها : فلا تؤخذ الا ممن يقدر على ادائها كما يقول اهل اللغة ! والصغار في قوله تعالى : (وهم صاغرون) اي راضون بحكم الاسلام في سنه الجزية . وهكذا فسر الامام الشافعي الصغار . وفسره الماوردي بان يجري عليهم احكام الاسلام . فيكون معنى الاية : ان الله يأمر المسلمين ان يقاتلوا من استوجبوا القتال الى ان يعطي رجالهم المقاتلون الجزية عن سعة وقدرة على ادائها ، طيبة نفوسهم باعطائها . يقول الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ :

« واذا اخذ منهم الجزية اخذها باجمال ولم يضرب منهم احدا ، ولم ينله بقول قبيح ، والصغار ان يجري عليهم الحكم لا ان يضربوا ولا يؤذوا » .

على ان سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ حين نهوا عن التشديد في اخذ الجزية منعوا المناداة على املاكهم عوضا عنها . وكتب علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ الى بعض عماله :

« لا تبيعن لهم في خراجهم حمارا ولا بقرة ولا كسوة شتاء ولا صيفا » .

ومن تسامح المسلمين في قضية الجزية ان الذمي لو مات وعليه شيء منها ، فانه يعفى منها ، ولا يؤخذ من تركته شيء . يقول الامام ابو يوسف ـ رحمه الله ـ :

« ان وجبت عليه الجزية فمات قبل ان تؤخذ منه ، او اخذ بعضها وبقي البعض لم يؤخذ بذلك ورثته ، ولم تؤخذ من تركته » .

وتساهل المسلمون في اخذها كثيرا ، فاباحوا دفع النقود والدواب والسلع والمتاع بدل الدراهم ، بل كان علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ « يأخذ منهم في جزيتهم الابر والمسال ويحسب لهم من خراج رؤوسهم » .

وحين تؤخذ الجزية يمنح من يعطونها امانا على انفسهم واعراضهم واموالهم وحريتهم في اقامة شعائرهم التعبدية ، ويقوم المسلمون بالدفاع عنهم اذا اعتدى عليهم معتد . وهكذا تصان ارواحهم ، ويسكنون في دار الاسلام احرارا !

ولقد طور المسلمون مفهوم الجزية ، وجعلوها تدور مع العلة وجودا وعدما ، فان من استعان به المسلمون ، او اشترك في الجيش الاسلامي تسقط عنه الجزية . اما حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « انا لا نستعين بمشرك » رواه احمد وابو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها فهو من الاحاديث الخاصة ، ذلك ان

الثقة لم تكن متوافرة اذ ذاك في غير المسلم . فلا يفهم من هذا الحديث اذن عدم انخراط غير المسلمين في الجيش على الدوام . والذي يدلنا على ذلك ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استعان بقسم من المشركين في بعض معاركه : فاستعان بصفوان بن امية قبل اسلامه في حنين . ومما روي عنه - صلوات الله وسلامه عليه - قوله : « ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه البخاري . لهذا وغيره صرح جمهور فقهائنا - رضي الله عنهم - بجواز الاستعانة باهل الشرك !

على ان روايات كثيرة رواها الطبري عن سويد بن مقرن احد قواد عمر بن الخطاب ، وعتبة بن فرقد ، وسراقة بن عمرو عاملي عمر بن الخطاب ، والاحنف بن قيس .. ان كل واحد من هؤلاء كتب لاهل مدينته كتابا وضح فيه ان من لا يدفع الجزية ينخرط مع المسلمين في الجيش ويقاتل اعداء الله ، فتسقط عنه الجزية .

وقد كتب سويد بن مقرن لرزبان واهل دهستان كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان واهل دهستان وسائر اهل جرجان :

ان لكم الذمة وعلينا المنعة ، على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم . ومن استعنا به منكم ، فله جزاؤه في معونته عوضا من جزائه . ولهم الامان على انفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم . ولا يغير شيء من ذلك .. » كتب سنة ثماني عشرة .

وكتب عتبة بن فرقد معاهدة مع اهل اذربيجان جاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب امير المؤمنين اهل اذربيجان : سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها واهل مللها كلهم الامان على انفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم ، على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم . ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه من الدنيا شيء . لهم ذلك ولمن سكن منهم .. ومن حشر منهم في سنة « ارسل لميدان القتال » وضع عنه جزاء تلك السنة . ومن اقام فله مثل ما لمن اقام من ذلك . ومن خرج فله الامان حتى يلجأ الى حرزه . كتبت هذه المعاهدة سنة ثماني عشرة .

اما البلاذري فيقول :

« ان ابا عبيدة بن الجراح صالح السامرة بالاردن وفلسطين ، وكانوا عيونا وادلاء للمسلمين على جزية رؤوسهم واطعمهم ارضهم » .

وذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢ عن حادث ملك شهر براز الذي قال للامير من وجهته :

« انا اليوم منكم ويدي مع ايديكم .. وبارك الله لنا ولكم . وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ، فقبل منه ذلك » .

وهذا يشبه في عصرنا الحاضر المعاهدات التي توقع بين دولتين مستقلتين

وتسمى بمعاهدات الصداقة الدائمة ، وتتعهد كل من الدولتين بانجاد الدولة الاخرى من اي اعتداء كان لاجل محدود او غير محدود !
ونجد معاوية بن ابي سفيان ـ رضي الله عنه ـ قد اعطى العهد الى الارض . وفيه ترك لهم دينهم ، وان لا يدفعوا الجزية ثلاث سنين ، وبعد ذلك اذا رغبوا بدفع الجزية دفعوا منها ما شاءوا ، والا اعدوا خمسة عشر الف مقاتل ليعاونوا المسلمين وليدافعوا عن الارض . فاذا هاجمهم الروم تعهد معاوية بامدادهم بما يحتاجونه من نجدات !

والذي يدلنا على ان الجزية تؤخذ مقابل حماية أهل البلاد المفتوحة ، ودفع العدوان عنهم ، فاذا عجز المسلمون عن ذلك ردوا الى اهل البلاد ما اخذوه منهم من جزية ما جاء في معاهدة خالد بن الوليد لاهل بانقيا وبسما ، وهذه هي المعاهدة :

« بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه .
اني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد ببانقيا وبسما جميعا على عشرة الاف دينار سوى الخرزة : القوي على قوته ، والمقل على قدر اقلاله في كل سنة .. فلك الذمة والمنعة .. فان منعناكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم » كتبت سنة اثنتي عشرة في صفر .

وكذلك كان امر ابي عبيدة في فتوح الشام . يقول توماس ارنولد :
« كما ان ابا عبيدة قائد العرب في فتوح الشام عندما علم بان هرقل قد جهز جيشا لمهاجمة المسلمين كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم برد الجزية الى اهلها ، وكتب للناس « انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم ، وانا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم » .

ممن تقبل الجزية .

ذهب الاوزاعي والثوري وفقهاء الشام والمالكية على المشهور من مذهبهم ان الجزية تؤخذ من كل كافر ، عربيا كان او اعجميا ، من اهل الكتاب او من عبدة الاصنام والاوثان . وهذا ما رجحه ابن قيم الجوزية حيث قال :
« ولم يفرق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا خلفاؤه في الجزية بين العرب والعجم ، بل أخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نصارى العرب واخذها

من مجوس هجر وكانوا عربا » .
وهذا الرأي اقرب من الرأي الذي ذهب اليه الشافعية والحنابلة والظاهرية والامامية اذ قالوا : ان الجزية لا تؤخذ الا من اهل الكتاب والمجوس !
والذي يجعلنا نميل الى الرأي الاول اننا لو لم نقبل الجزية من غير اهل الكتاب والمجوس لادى ذلك الى اجبارهم على الدخول في الاسلام والقرآن الكريم يقول :

(لا إكراه في الدين) البقرة /٢٥٦

شرط عقد الذمة :

اشترط فقهاؤنا ـ رضي الله عنهم ـ لعقد الذمة المؤبد شرطين :
١ ـ ان يلتزم الذمي بدفع الجزية اذا كان قادرا على دفعها .
٢ ـ تترك دولة الاسلام من عقدت له الذمة وما يدين به ، وتترك له امواله وما يعتقد ، كما تترك له قوانينه في الاسرة : من الزواج والطلاق والنسب فيتبع ما تعارف عليه اهل دينه !
ونستطيع ان نقول : ان الاسلام ضمن لمن يقيم بديار المسلمين اقامة دائمة من الحقوق ما لا نجد مثله في عصرنا الحاضر : ذلك ان من يقيم في إنكلترا وفرنسا ـ مثلا ـ ويتجنس بجنسية هذا البلد او ذاك تسرى عليه احكام ذلك البلد في الاسرة . فاذا تزوج باكثر من واحدة ، يعتبر زواجه باطلا ، وقد يحال الى المحاكمة بسبب هذه الجريمة المزعومة ! واذا طلبت الزوجة النفقة من زوجها ، فلا تنظر المحكمة في قضيتها ، لان هذا الزواج باطل عندهم ، على حين نجد فقهاءنا ، رضي الله عنهم ، قالوا : ان المجوسي اذا تزوج ابنته في بلادنا ، ورفعت البنت امرها الى القاضي المسلم تطلب النفقة فان على القاضي ان يقضي بالنفقة من غير ان ينظر الى العقد : اصحيح هو ام باطل ؟!
وعندما يدفع الانسان الجزية يكون كالمسلم في واجب الدولة في الدفاع عنه ، وفك رقبته ، فقد روي ان قطلوشاه امير التتر اغار على دمشق في اوائل القرن الثامن الهجري واسر من المسلمين واهل الذمة من اسر ، ففاوضه الامام ابن تيمية في ذلك ، فوافق قطلوشاه ان يفك اسرى المسلمين فقط ، لكن الامام ابن تيمية ابى الا ان يفك اسرى المسلمين واهل الذمة ، وكان مما قاله شيخ الاسلام في هذا :
« لا بد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ، ولا ندع لديك اسيرا ، لا من اهل الملة ولا من اهل الذمة ، فان لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، فأطلقهم الامير التتري جميعا . »

الزكاة والجزية :

تؤخذ الزكاة من المسلم بنسبة ٢,٥٪ عن نقوده ، ويدفع زكاة الغنم والبقر

والابل .. بنسب اخرى مبينة في كتب الفقه الاسلامي ، ولا يعفى القادر على الاداء من الزكاة ، والامام يحارب من يمتنع !
وقد حددت مصارف الزكاة تحديدا دقيقا في قوله تعالى :

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) التوبة / ٦٠

وتنفق الزكاة على المسلمين وغيرهم : فينفق بعضها في المرافق العامة ، ويستفيد من ذلك غير المسلمين ـ ايضا ـ وفسرت كلمة (المساكين) في اية مصارف الزكاة : بالذين لا يملكون ما يكفيهم . اما (المؤلفة قلوبهم) فقد فسرها كثير من العلماء بغير المسلمين تتألفهم دولة الاسلام لترغبهم الى الدخول في الاسلام ، او لتتقي شرورهم !

ويستفيد دافع الجزية من زكاة المسلمين حين تدفع بعض اموال الزكاة في اعداد الجيش الذي يدفع عن الامة : مسلمين وغير مسلمين !

ومع ذلك كله ، فان من يدفع الجزية لا يدفع سوى نسبة ضئيلة ، تتناسب مع حالة كل فرد : فالموسر يدفع ثمانية واربعين درهما ، ويدفع الوسط اربعة وعشرين درهما ، اما الفقير ، فلا يدفع سوى اثني عشر درهما فقط . ويعفى من هذه الضريبة من لا يقدر على القتال : كالاطفال والنساء والعميان والمقعدين والمعتوهين والرهبان والعبيد ..

وبدفع هذه النسبة الضئيلة تثبت عصمة دمه وماله . فهي في مقابل خدمتهم العسكرية في جيش المسلمين ، ومقابل حمايتهم من اي اعتداء خارجي كان . فاذا عجز المسلمون عن حمايتهم والدفاع عنهم يردون اليهم ما اخذوه منهم من جزية !

على ان من يدفع الجزية اذا افتقر يعفى من دفعها ، وتجرى له مساعدات من بيت مال المسلمين هو وعياله . ومما كتبه خالد بن الوليد لاهل الحيرة . « ايما شيخ ضعف عن العمل ، او اصابته افة من الافات ، او كان غنيا فافتقر ، وصار اهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام . » .

وكتب والي العراق الى عمر بن عبد العزيز يخبره ان اموالا كثيرة قد اجتمعت فامره ان يوسع بها على المسلمين . فكتب اليه ان قد فعل ، ولا تزال عنده اموال كثيرة ، فامره ان يزوج ابكار النساء ابكار الرجال . فكتب اليه ان قد فعل ، وبقي مال ، فكتب اليه ان يقوي اهل الذمة على العمارة ..!

على ان دولة الاسلام تأخذ من المسلم زكاة ماله مبلغا كبيرا ان كان موفور الغنى ، بينما لا تأخذ من الذمي الا ما ذكرته ، وهي نسبة قليلة جدا .. فلو ان مسلما وذميا ملك كل واحد منهما مليونا من الدراهم ، فتأخذ دولة الاسلام من

المسلم ربع العشر اي خمسة وعشرين الف درهم ، بينما لا تأخذ من الذمي الا ثمانية واربعين درهما فقط !

الفضل ما شهدت به الاعداء :

قال سير توماس . و . ارنولد :

« ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين ، كما يريدنا بعض الباحثين على الظن ، لونا من الوان العقاب لامتناعهم عن قبول الاسلام ، وانما كانوا يؤدونها مع سائر اهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة .. في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين . »

وقال ـ ايضا :

« ومن الواضح ان اي جماعة مسيحية كانت تعفى من اداء هذه الضريبة اذا ما دخلت في خدمة الجيش الاسلامي . وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة ، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار انطاكية ، سالمت المسلمين ، وتعهدت ان تكون عونا لهم ، وان تقاتل معهم في مغازيهم ، شريطة الا تؤخذ بالجزية ، وان تعطى نصيبها من الغنائم . ولما اندفعت الفتوح الاسلامية الى شمال فارس في سنة ٢٢هـ ، ابرم مثل هذا الحلف مع احدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد ، واعفيت من اداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية » .

وقالت الاستاذة (لورا فيشيا فاغليري) :

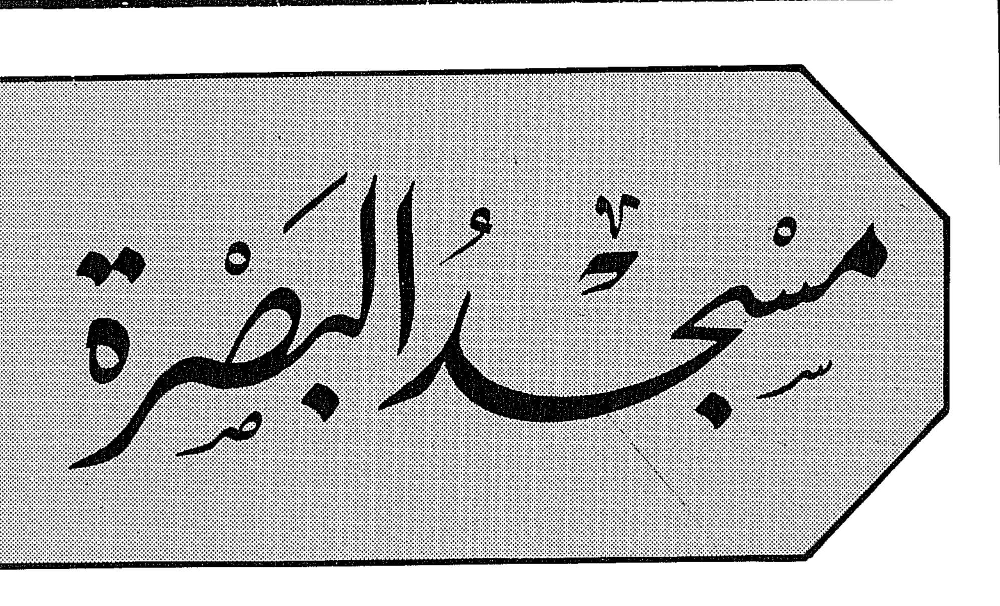
« منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بادیانها القديمة ، وتقاليدها القديمة ، شرط ان يدفع الذين لا يرتضون الاسلام دينا ضريبة عادلة الى الحكومة تعرف بالجزية . لقد كانت هذه الضريبة اخف من الضرائب التي كان المسلمون ملتزمين بدفعها الى حكومتهم نفسها ، ومقابل ذلك منح اولئك الرعايا « المعروفون باهل الذمة » حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الاسلامية نفسها . ولما كانت اعمال الرسل والخلفاء الراشدين قد اصبحت فيما بعد قانونا يتبعه المسلمون ، فليس من الغلو ان نصر على ان الاسلام لم يكتف بالدعوة الى التسامح الديني ، بل تجاوز ذلك ، ليجعل التسامح جزءا من شريعته الدينية » .

وبعد :

فاين نظام الجزية في الاسلام مما فرضته بعض المعاهدات في عصورنا المتأخرة ، اذ فرضت معاهدة « فرنكفورت » ان تدفع فرنسا غرامة مقدارها خمسة مليارات من الفرنكات الذهبية ؟

بل اين نظام الجزية في الاسلام من نظام « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » حيث تقوم الدولة المنتصرة بفرض شروطها من طرف واحد للصلح ، من غير ان يكون للدولة المغلوبة رأي في ذلك ؟!

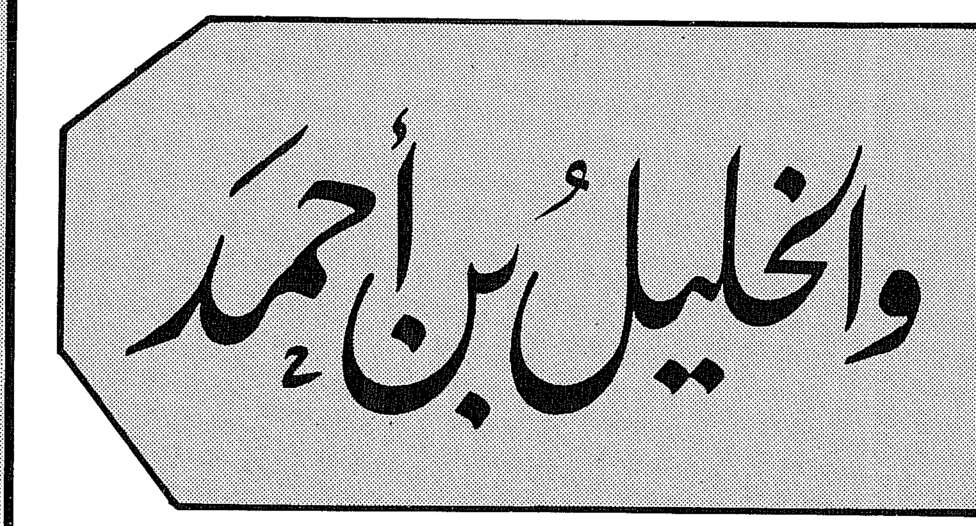
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .



- ١ -

يحتاج مسجد البصرة الى كتاب برأسه ، فقد قدر لهذا البلد الطيب أن يكون المصدر الأول للحركة العلمية في أزهى عصور العربية ، وكان علماؤه لا يقتصرون على البحوث الدينية ، بل يتكلمون في كل ما يتجه اليه العقل من علوم ، بحيث كانت ساحة المسجد الممتدة مدرسة ذات فصول ، والفصول هي الحلقات المتنوعة في المسجد ، فحلقة للنحو ، وحلقة لعلم الكلام ، وحلقة للفقة ، وحلقة للتفسير ، وحلقة للوعظ والقصص ، وحلقة للتاريخ والأخبار ، والناس يعرفون جميعا دسامة هذه الحلقات ويخفون اليها من كل صوب ، بل ان الرشيد على جلالة قدره كان يتنكر في بعض الملابس والأزياء ليشاهد بعض المصاولات الفكرية في البصرة على حالها الطبيعي دون افتعال ، وكذلك فعل المأمون اذ اخذ يصطحب القاضي يحيى بن أكثم إلى حلقات المعتزلة بالبصرة ، لينعم بلذة الصيال الفكري حين يرى رأيا يصول على رأي ، وحجة تقرع حجة ، والناس واعون متيقظون كأنما يسمعون لأول مرة كتاب الله .

وقد انتشرت سمعة المسجد البصري الجامع في العهد الأموي وكان لعهده الأول يقتصر على دروس الفقه والوعظ ، ثم اتجه الى دروس اللغة والنحو حين أخذ



للدكتور/محمد رجب البيومي

عبدالله الحضرمي يقرأ العربية على طلابه ، وقد خطأ كبار الشعراء ومنهم الفرزدق ، فثار عليه الشاعر وهجاه بأبيات منها قوله المشهور :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

وتوالت دروس أبي عمر بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، تقيم للعربية مجدا شاهق الأوج رفيع العماد .

وكان للحسن البصري مجلسه العلمي الرائع ، وفي حلقة درسه نشأ الاعتزال حين خاصمه تلميذه واصل بن عطاء ، واعتزل مجلسه الى مجلس آخر ، وتابعه في اتجاهه عمرو بن عبيد ، واشتد اللجاج فكثرت المعتزلة ، وظهر من رءوسها في المسجد الجامع أبو هذيل العلاف والنظام ، ومهما قيل في الاعتزال من نقد ، فان أعلامه الكبار هم الذين تصدوا للزنادقة والملاحدة ، وهم الذين حاربوا أعداء الاسلام بمنطق العقل فكشفوا عوارهم ، وكان اعتزازهم بالعقل مبعث نهوض فكري لم يقف عند العقيدة وحدها ، بل امتد الى كل بحث علمي .

وبذلك أصبح الفكر الاسلامي ذا ثروة رائعة نقف عليها اليوم فيما كتبه السابقون من تراث يصور أوجه الخلاف بين الفرق المتصارعة ، ولا يعيي صاحب العقل البصير أن يتجه الى ما يرتضيه من الآراء ، مقدرا وجهة نظر المخالف تقديره لوجهته التي يميل اليها ، وفي ذلك من سعة الصدر ورحابة الأفق ما يجب أن يكون على مدى الحياة .

على أن مجالس الوعظ والقرآن بالمسجد الجامع بالبصرة كانت أشد جذبا للعامة من رواد الحلقات ، اذ لا يصبرون على عمق الجدل الكلامي ، وتشعب مراميه ، وقد اشتهر بالقصص التهذيبي ، والوعظ الديني نفر كبير منهم أبو ذر الهمذاني الذي قال عنه الجاحظ : ما سمعت أبا ذر يعظ الناس إلا خيل الي أنه قد نفخ في الصور وقام الناس لرب العالمين ، وما سمعت أحدا يقلده عن غير بصر الا تمنيت أن يمشق بالسياط تسعين !

أما القاضي ابن سيار الأسواري فقد كان عجيبة العجائب حقا ، يقول عنه الجاحظ : ان فصاحته بالفارسية كانت تعدل فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلس وعظه فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن شماله ، فيقرأ الآية من كتاب الله ، ويفسرها للعرب بالعربية ، وللفرس بالفارسية ، فلا يدري العالم باللغتين معا بأي لسان هو أبين ، وزميله الذي يجاوره في الحلقة عمرو بن قائد لا يقل مكانة عنه ، وقد قضى ستة وثلاثين عاما يفسر كتاب الله ، مبتدئا بسورة البقرة ، ومضى عليه هذا الأمد الطويل دون أن يختم القرآن تفسيرا .

وكان عراك النحاة واللغويين لا يقل روعة عن عراك سواهم من المتكلمين ، فكثيرا ما اصطدم الأصمعي بأبي عبيدة في حلقات المسجد الجامع ، وكانت الغلبة في الظاهر للأصمعي لأنه حسن المنطق ، فصيح المخارج ، بارع الفكاهة ، ولكن الذين يدققون في صميم الحوار ويتعمقونه يعرفون عمق أبي عبيدة وبعد غوره ، وان صد عنه تلكؤ لسانه وضعف بيانه أثناء الجدل .

وقد خاصم الأصمعي سيبويه في بعض المسائل ، وانتصر عليه بلباقته المعهودة حين أخذ يشقق الحديث ، وينتقل من فن الى فن ، ولكن الأصمعي نفسه كان يدري أنه يخدع السامعين دون أن يصيب المقتل من صاحبه ، وفيما رواه ياقوت الحموي عن الأصمعي اعتراف صريح يدل على أنه يعرف منزلة من يناظرهم ، ويعلم أنهم يصيبون إصابة لا تحتاج الى اللجاج لو لا ما منيت به النفس البشرية من حب الانتصار وزهو الغلبة .

قال ياقوت : قال أبو حاتم الجستاني : فقلت له ـ أي الأصمعي ـ في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه ، قال : سل ، فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه في المناظرة ، فقال : والله ، لولا أني لا أرجو الحياة من مرضي هذا ما حدثتك ، إنه عرضَ عَليَّ شيء من الأشياء التي وضعها سيبويه في كتابه ، ففسرتها على خلاف ما فَسّر فبلغ ذلك سيبويه فبلغني أنه قال : لا ناظرته إلاّ في المجلس الجامع ، فصليت يوما في الجامع ثم خرجت فتلقاني في المسجد ، فقال لي : اجلس يا أبا سعيد ، ما

الذي أنكرت من بيت كذا ، وبيت كذا ، ولم فسرت على خلاف ما يجب ، فقلت له : ما فسرت الا ما يجب ، والذي فسرته أنت ووضعته خطأ ، تسألني وأجيب ، ورفعت صوتي ، فسمع العامة فصاحتي ، ونظروا الى لكنته ، وقالوا : غلب الأصمعي سيبويه ، فسرني ذلك ، فقال لي : اذا علمت أنت يا أصمعي ما نزل بك مني لم ألتفت الى قول هؤلاء ، ونفض يده في وجهي ومضى ».

وهذه القصة وان صورت جموح الأصمعي وشهوة الزهو لديه فانها تصور أيضا اعترافه بالحق لأبي حاتم ، وتقديره القوي لرأي سيبويه ، كما تصور في الوقت نفسه عظمة سيبويه حين لم يعبأ بمدح العامة أو ذمهم ، بل قال قوله عن يقين في صحته ، بل عن يقين في أن الأصمعي يعلم أنه مصيب ، ولكنه يأبى أن يتراجع ! فسيبويه في مجال التقدير العلمي أوفى كيلا من صاحبه .

واذا كان الشعراء في صدر العصر العباسي يؤمون هذه الحلقات فانهم لا محالة قد تأثروا فكريا بالمتكلمين ، وأخذت أفكارهم تعمق ومعانيهم تغزر بالاستماع الى هذه المجادلات الدقيقة ، وفيهم من بالغ في ذلك مبالغة اشتهر بها ، يقول الدكتور محمد طه الحاجري .

« وقد كان من أثر اتصال الشعراء بالمتكلمين وأخذهم عنهم « في مسجد البصرة » أن جعلنا نرى فيهم من اصطبغ شعره بالصبغة الكلامية ، فعرف بهذا اللون من الشعر كأبي عبد الرحمن العطوي ، وهو شاعر بصري المولد والمنشأ ، وقد ذكره محمد بن داود في كتاب الشعراء ـ على ما ينقل عنه أبو الفرج ـ قال : كان له فن من الشعر لم يسبق اليه ، وذهب فيه الى ما ذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه ، وخف شعره على كل لسان ، وروى ، واستعمله الكتاب ، وأخذوا معانيه وجعلوه إماما ».

ونختار من أساتذة هذا المسجد الجامع شخصية الخليل بن أحمد فنعرف به على ايجاز وانه الشهير الجهير .

ـ ٢ ـ

قيل إنه لو اختير عبقريان من علماء الاسلام لكان أحدهما الخليل ، دون نزاع ، كما قيل لن يجوز على الصراط بعد الأنبياء من هو أدق ذهنا من الخليل . وهما قولان يجدان مبررهما من واقع الخليل العلمي لأن جهده في شتى ميادين العربية كان من الدهشة والعجب بحيث جاز لدارسيه أن يقفوا أمامه مبهورين .

تلقى الخليل بن أحمد العلم في مسجد البصرة على أساتذة كبار منهم عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ، ولكنهما بالقياس اليه في منطق العلم الموازن ذوا جهد متواضع ، لأن الخليل مع عبقريته الساطعة قد كافح وجالد وترك البصرة الى بوادي الأعراب ، ولم يسمع شيئا من العلم الا ناقشه وأبدى رأيه فيه تفنيدا أو تأييدا ، وقد ذهب الى البادية وجمع ما استطاع جمعه من ألفاظ الأعراب ، ومواد اللغة ، وكان السابق الى تدوين أول معجم لغوي عرفته العربية ، وقد جعل يقابل

فصحاء اللغة في مواسم الحج بمكة عدة سنوات ، ليقارن ما جمعه بما عند الفصحاء ثم رسم الخطة لوضع معجم يشمل المهمل والمستعمل معا فاحتوى على نحو من ١٢,٣٠٥,٤١٢ كلمة عربية بعضها مستعمل وأكثرها مهمل . وقد حدا به الى تدوين المهمل ما منحه من تفكير عقلي دقيق ، لأنه كان يجيء بالفعل فيذكر الاحتمالات في حروفه كلها ضما وفتحا وسكونا ، ثم يقلب اشتقاقه على شتى وجوهه فتأتي صيغ كثيرة منها المهمل والمستعمل ، فيقول عن كلمة واحدة هذه مما استعمله العرب وعن أخرى هذه مما لم تستعمله . ثم أضاف في مجال الاستشهاد على ما نطقت به العرب كثيرا من درر الشواهد ، ونوادر الفرائد ، وعجيب القواعد مما يعز وجوده في معجم غير معجم العين ، وقد نسب هذا المعجم الى تلميذه الليث ، وكل ما في هذا النسب أن الليث سمع أستاذه ودون قوله وزاد عليه في حدود منهجه الذي قرره ، ولسنا نبخس الليث فضله ، ولكن النزاهة العلمية تقول إن احضار الأرض واعداد أدوات البناء ، وتشييد القصر كله من عمل الخليل دون نظر الى لبنات جديدة وضعها تلميذ أو تلميذان في عدة جدر من جدران البناء ! وقد بدأ الخليل معجمه بالعين ولم يبدأ بالهمزة كما فعل غيره من بعده لأنه رأى هذا الحرف مما يلحقه النقص والتغيير والحذف ، ولم يبدأ بالألف لأنها لا تكون كلمة في الابتداء ، ولا تكون في اسم أو فعل الا زائدة أو مبدلة ، أما العين فهي أنصع الحروف فخصت بالابتداء ، وهناك كتاب يسمى فائت العين ينسب للخليل ، وليس له ، لأنه لو ذكر الفائت لوضعه في مكانه في النسخة التي يقرؤها لطلابه ، كما هي عادة العلماء ! ولا بد أن عالما لغويا كبيرا استدرك على الخليل بعض ما استعمل من ألفاظ لم تذكر في « العين »، وليس ذلك بمستغرب ، فقد قال الامام الشافعي في « الرسالة » لا يحيط بكلمات اللغة العربية بشر الا أن يكون نبيا !

أما كتاب سيبويه الشهير فمن وحي الخليل أستاذه ، لأن الخليل بعقله العلمي قد جاز بالنحو حد الرواية الى ضبط الأصول ، وبسط الفروع ، واستخراج العلل والأسباب ، ولو تفرغ للنحو وحده لكان قد اهتدى الى أكثر مما اهتدى اليه ، وبعض الناس يقيمون معركة في غير ميدان ، فيذهب أحدهم الى تجريد سيبويه من كل فضل ، ونسبة الفضل في الكتاب كله إلى الخليل ، وبعض آخر يذهب الى أن الخليل أستاذ سيبويه حقا ، ولكنه يشرح النحو دون تأليف ، فألف سيبويه كتابه من جهده وحده ، وكلا الفريقين جانح عن الحقيقة موغل في الخطأ ، فأثر الخليل في سيبويه واضح ، واذا وجد في الكتاب قول سيبويه : « سألته » أو : « وقال » فالضمير راجع الى الخليل وحده ، فما ظنك بمن يسأله سيبويه وينتظر اجابته ! الحق أننا نضع الحق في نصابه حين نقول ان الكتاب بتوجيه من الأستاذ للتلميذ ، وأن التلميذ كان له جهد يكافىء جهد الأستاذ ، وكلاهما في النحو ذو مقام عظيم .

ونأتي الى عجيبة العجائب حقا ، وهي ابتداع الخليل علم العروض ابتداعا على غير سابق مثال ، وتفرده وحده لا شريك له بانشاء علم عربي كامل تام ، اذا صرفنا النظر عن بحر استدركه بعده المستدركون !! ونحن نعرف أن كل شيء مبتكر في

العلم أو الفن يكون مظنة التعثر ، والأخذ والرد ، ويكون نواة يضعها المبتكر الأول في الأرض الجديدة ثم تتوالى الأيام عليها بتوالي الباحثين سقيا ورعيا وتسميدا وتهوية حتى تنشق الأرض عن الغصن الأخضر ، وينمو الجذع والساق ، وتهتدل الفروع ، وتنضج الثمار ! هذا هو المعهود في دنيا العلم ، أما أن يكون العروض دوحة فينانة مثمرة ممتدة نشأت في أرض الخليل وحده وبمعونته رعيا وتهوية وريا وتشذيبا ، قد بسقت غصونها ، وامتدت ظلالها وجاءت بأشهى الثمر ! أما أن يكون دوحة العروض الوارقة المثمرة كلها من صنع الخليل وغرسه ، فهذا هو الشيء الذي لا ينتهي منه عجب ذوي العقول .

يقول حمزة بن الحسن الأصبهاني .

« ان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم ـ التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول ـ من الخليل بن أحمد ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض ، الذي لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، فلو كانت أيامه قديمة ، ورسومه بعيدة ، لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا ، وذلك في اختراعه هذا العلم ، وفي تأسيس بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ، ثم امداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الاسلام ».

لقد رأى الخليل فاشية اللحن على أيدي الموالي . وشاهد من ضعف السلائق ، وبلبلة الألسنة ما خشي معه على الشعر رواية وانشاء . فأخذ يجمع شعر العرب من كل فج ليجعله طوائف وشيعا ، وليخص كل طائفة بوزن معين تنتمي اليه مئات القصائد ، فاتخذ أصولا ، ووضع لكل أصل تفعيلات متميزة يعرف بها ، وانتهت الأصول الى خمسة عشر أصلا سماها بحورا ، وجعل لكل بحر اسما يناسبه ، وقد أخذ يستخفي عن الأنظار وهو يقطع الأبيات على ما اخترعه من الأوزان ، فيذكر فعولن مفاعيلن متفاعلن ، ويكرر ذلك تطبيقا لما يحضره من الشاهد ، وقد رآه أحد أولاده يقطع الأبيات ، وينطق بالوزن العروضي فدهش وحسب أباه مجنونا ومضى ليخبر أسرته ، ولكن الخليل ابتسم لما علم وقال في عطف :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني	أو كنت تعلم ما تقول عذرتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني	وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وللخليل بن أحمد جهد معلم في شكل الحروف على نمطها المتعارف الآن ، اذ أن الخط العربي كان في صدر الاسلام خلوا من الشكل والاعجام ، فجاء أبو الأسود ليجعل النقط ضبطا للحروف ، فعلامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة تحته ، وعلامة الضمة نقطة وسطه ، وجعل التنوين نقطتين ، ثم جاء نصر بن عاصم ، فأعاد النظر الى الخط بتوجيه من الحجاج بن يوسف فأشار بنقط الاعجام بعد أن كانت الحروف كلها مهملة ، فوضع نقطة تحت الباء ونقطتين تحت

الياء وواحدة فوق النون واثنتين فوق التاء ، وثلاثة فوق الثاء وهكذا ، فاختلط نقط الشكل بنقط الاعجام ووقع الناشئون والكبار أحيانا في لبس مما يقرءون ، ولكن الله عز وجل هدى الخليل بن أحمد الى أن يميز بين الشكل والاعجام ، فجعل النقط للاعجام وحده ، أما الشكل فوضع له ما نعرفه الآن من علامات الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة للمضعف ، والشرطتين للتنوين ، وجعل للهمزة رأس عين « ء »، فكان مجموع ما تم له وضعه ثماني علامات هي : الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والهمزة والصلة حرف « صـ » والمدة ، وترك كتابا يتضمن ذلك فلم يزد أحد عما فعل .

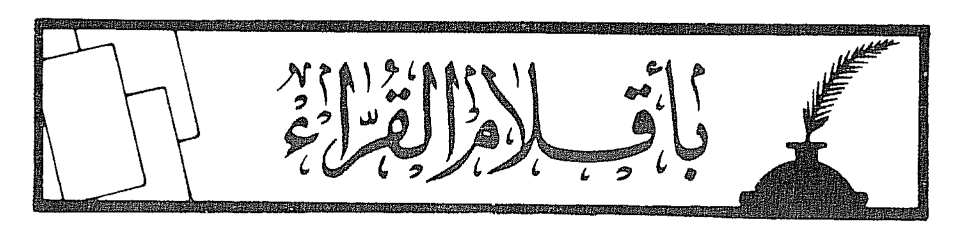
ومع هذا العلم الرفيع ، والاختراع المدهش فان الخليل كان متواضعا كل التواضع لم يفخر على أحد بما أحدث ، مع أن من يقرءون كتبه يفخرون تائهين لأنهم استطاعوا قراءتها فقط ، وعدوا أنفسهم بها علماء كبارا يشار اليهم بالبنان ، وقد تباعد عن الرؤساء فلم يتصل بخليفة أو وزير ، لأنه جعل العلم وجهته فقاسى من مشقات العيش ما كان يجب أن يمهد له تلقائيا ليفرغ الى مجهوده الضخم العملاق ، وقد عاش حتى رأى تلاميذه في حياته يتكسبون بعلمه ، ويعلمون الناس بما وعوا عنه درسا وتأليفا ، فتساق لهم الهدايا ، وتفرق عليهم البدر ، وتكال اليهم المناصب ، وهو مقيم بكوخ صغير من أكواخ البصرة ، فاذا غلبته نفسه ، وللنفس غلبة في أحيان الضيق ، تعزى بما يحفظ من روائع الحكم قرآنا وحديثا وشعرا ، وأخذ ينشد قول الأخطل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

وقد أدرك حالته المتقشفة بعض الولاة من أبناء المهلب بن أبي صفرة ، فأجرى له راتبا ، وكان واليا على فارس والأهواز وأرسل اليه يستدعيه ، فأحس الخليل أنه منصرف لا محالة عما هو بصدده من معالجة شئون العلم نحوا وعروضا ولغة وموسيقى ، فرد عليه بقوله :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

وكانت وفاة الخليل فجأة بمسجد البصرة ! هذا المسجد الذي شهد فتوحه العلمية قد قدر عليه أن يشهد مصرعه بل مصرع أنبغ من شاهد من العلماء ، اذ يذكر المؤرخون أن الخليل بن أحمد دخل المسجد وهو يفكر في اختراع نوع من الحساب تذهب به الجارية الى التاجر فلا يظلمها ، فصدمته سارية « عامود » من سواري المسجد فشجت رأسه وسقط مغشيا عليه ، فعجلت هذه الصدمة القاسية بوفاته رحمه الله ، وإن أجل الله اذا جاء لا يؤخر .



لغتنا العربية

كتب الأخ / الحسيني محمد عبد الرحمن - من الأردن - حول هذا الموضوع يقول : -

الحديث عن اللغة العربية لا ينبغي ان ينتهي .. بل لا بد ان يأخذ طابع الاستمرارية .. طالما اننا نحيا بها وتحيا بنا ..

لقد جعلها الله سبحانه وعاء لكتابه المجيد : « **إنا جعلناه قرآنا عربيا** » ... كما انها وعاء لعلوم الدين كلها من تفسير ، وفقه ، وتوحيد ، وغيرها ..

وهي لغة حديث رسولنا العظيم - صلى الله عليه وسلم - الذي أوتى جوامع الكلم ..

وهي التي تحوي كنوز تراثنا العلمي والأدبي .. ذلك التراث الذي نفخ الروح في هذه الأمة قديما فسادت الدنيا كلها ..

ولقد افاض كثير من الكتاب في الحديث عن العلل التي اصابت لغتنا .. والعى الذي اصاب ألسنة المتحدثين بها ... فأصبحت لغة غريبة بين قومها .. لا تلقى منهم عناية ولا اهتماما ..

والأسباب واضحة لا تخفى على احد ..

وقد يكون كلامنا معادا اذا قلنا ان الشباب في كل دولنا العربية تقريبا يرى ان الوظائف المرموقة وفرص العمل المربحة هي غالبا من نصيب اولئك الذين يجيدون لغة اجنبية او لغتين ..

اما الذين يجيدون اللغة العربية فأصبح مكانهم في الصفوف الخلفية ..

وصارت النصيحة المتداولة على ألسنة كثيرة موجهة للنشء تقول لهم : أتقنوا لغة اجنبية تفوزوا بالخير والفلاح .

اما الذين يدرسون اللغة العربية في المعاهد والجامعات فانهم - وهذا شيء محزن - جرفتهم الاقدار الى هذا المصير الذي لم يرغبوا فيه .. اذ ان اكثرهم من اولئك الذين تلفظهم الكليات العملية كالطب والهندسة وغيرها ..

وقد نتج عن ذلك ان نشأ جيل من مدرسي اللغة العربية لا يكاد يحسن نطق جملة واحدة .. اذا قرأ احدهم القرآن تعتع فيه وأعوج لسانه .. والشعر الذي تحسبه لؤلؤا منثورا ..

اذا أنشده أحدهم ذهب برونقه وروائه .. فلا تكاد تحسبه شعرا او حتى نثرا مقبولا .. هؤلاء هم الأمناء على أجيالنا .. والقائمون على تأديبها وتقويم ألسنتها ..

★ ★ ★ ★

اما وسائل اعلامنا فيبدو ان الحديث عنها اصبح كلاما لا غناء فيه ..

وكأني بالقائمين عليها لا يعنيهم ان تكون لغة اجهزتهم لغة عربية سليمة او غير سليمة .. لا يعنيهم ذلك في شيء طالما ان ما يريدون توصيله للناس يصل اليهم بأية صيغة كانت ..

★ ★ ★

وان نسيت فلا أنسى ابدا الخطباء .. وخاصة خطباء المساجد ، فقد سمعت بعضهم وهو يخطب يغم عليه بدهيات في اللغة .. ورغم كل هذا فأنني لا ارى الاصلاح عسيرا وأعد من خطواته ما يأتي :

١ - ان يبدأ تقويم اللسان من الصغر ، وذلك بالاهتمام الجاد بمدارس تحفيظ القرآن الكريم .. او التي تسمى في بعض البلاد : الكتاتيب .. ذلك لان حفظ القرآن الكريم منذ الصغر هو الحليب الذي اذا رضعه الطفل اكتسب مناعة ضد اعوجاج اللسان ..

٢ - انشاء مجمع لغوي على مستوى الدول العربية كلها .. لا تكون مهمته قاصرة على نحت الالفاظ .. وانما يتولى - بما يتاح له من وسائل - حماية لغتنا من التبذل والانحطاط .. واحياء تراثنا اللغوي الهائل وتنشئة اجيال قادرة على التحدث باللغة العربية الناصعة ..

٣ - ان تكون لهذا المجمع اذاعة وصحيفة يشرف عليها ويؤدي من خلالهما رسالته ..

٤ - ان يضاف بند الى مواثيق الشرف الاعلامية في الدول العربية ينص على ان التفريط في التحدث او الكتابة باللغة العربية السليمة يعد اخلالا بهذه المواثيق ..

٥ - ان يوضع المتحدثون بلغتنا الجميلة في موضعهم السليم .. فلا يحرمون من الوظائف والمناصب الهامة بينما تعطى لغيرهم ممن يجيدون لغات اجنبية ..

٦ - ان يدرك كل من له اهتمام بالثقافة الاسلامية ان بين علوم اللغة العربية وعلوم الدين رباطا وثيقا جدا ، فهما

كشقي المقص .. وان من يقرأ في علوم الدين ويهمل القراءة في علوم اللغة فقد فاته خير كثير .. ولم يعرف تاريخ امتنا عالما تبحر في علوم الدين الا وكان ـ بنفس القدر ـ متبحرا في علوم اللغة ..

٧ ـ ان يدخل كليات اللغة العربية من يعشق لغتنا الجميلة او على الأقل من لا يبغضها ..

٨ ـ المجلات الاسلامية لا تكاد تولي اللغة العربية شيئا من الاهتمام ..

صحيح ان ما ينشر فيها يلتزم الاسلوب اللغوي السليم .. لكن هذا وحده لا يكفي ..

اذ كيف لا تنشر هذه المجلات شيئا من بديع تراثنا اللغوي ؟. ثم كيف لا تهتم بتصحيح الاخطاء اللغوية الشائعة ؟ ولماذا لا ينشر فيها القدر الكافي من الموضوعات التي تناقش موضوعات تتعلق باللغة العربية وآدابها .. الى غير ذلك مما يعرفه القائمون عليها اكثر مما يعرفه مثلي ..

أخيرا فاني اكرر .. الاصلاح ليس عسيرا .. اذا أردناه ..

عدو العرب والاسلام

كتب الشيخ / علي احمد الحاوي ـ من مصر العربية ـ تحت هذا العنوان يقول شعرا :ـ

بيجن ربيب الحقد والأسقام — قد ظل دوما مدمن الاجرام
كم من قبيح سافر يحلو له — غر يعيش بأسوأ الأحـ[illegible]م
كم من بلاء وافتراء حاكه — بيجن عدو العرب والإسلام
صهيون في صلف وحلم زائف — متخبط في [illegible]ـنة وظلام
عقل الصهاينة القرود عقيدة — قامت على السـ[illegible]ـات والإرغام
لا يؤمنون بمبدأ او قيمة — وفقا لأخلاق [illegible]ـر سامي
قد صدعوا الأقصى بكل بلية — بين اعتداء وا[illegible]ـام دامي
موجات صهيون بآمال تندت — في جنة الأطما[illegible] والأوهام
فكر عقيم مفلس متعفن — ويضيق بالأعرا[illegible] والأفهام
هذا هو الأقصى ينادي أمة — هي أمة الاسلام والإقدام
لخلاص مسجدها وزهرة قدسها — من قبل فوت الحين والأيام
لا بد يوما أن ترد لأهلها — كل الحقوق لسيد وهمام

مع الصحافة

من الخطأ أن يظن أن صفحات قليلة كهذه يمكن أن تحيط بما تعرضه الصحافة من شؤون العالم الاسلامي في خلال شهر ، كما أن من الخطأ أيضا أن يظن أن الصحافة نفسها تولي شؤون المسلمين في العالم اهتماما حقيقيا شاملا لهمومهم وأزماتهم وأوضاعهم عامة . فمن المعروف أن الصحافة عادة لا تقول كل شيء ، أو هي لا تستطيع ذلك ، لأسباب أصبح الكثير منها معروفا .. ومألوفا أيضا .

ثم ان المسلمين أنفسهم لم يقوموا حتى الآن بانشاء وكالة أنباء اسلامية تتوفر على الاهتمام بقضاياهم على نحو يسع الأحداث الكثيرة المتتابعة التي تجتاح هذا العالم الاسلامي المترامي الأطراف . والى أن يتم ذلك سوف تبقى أخبار العالم الاسلامي على هامش الصحافة ، ولن تجد لها مكانا الا في ثنايا أخبار الغرب أو الشرق ،

حين لا تجد وكالات الأنباء العالمية مفرا من ذكرها ، لأنها تتصل ـ على نحو أو آخر ـ بمصالح تلك الدول غربية كانت أو شرقية . هذا .. فضلا عما تتعرض له أخبار المسلمين من تشويه أو توجيه ، تبعا لما تقتضيه مصالح هذه الدولة أو تلك ، وميولها .

● ●

واهتمام الصحافة في معظمه ينصب هذه الأيام على ما يسمى «عملية السلام » في الشرق الأوسط ، وعلى الأوضاع العربية التي نجمت في أعقاب مؤتمر فاس الأخير ، وعلى المخاوف الجديدة المتوقعة من استئناف المعارك في حرب الخليج .

وأما ما يحدث من اشتباكات دموية بين المسلمين والسيخ في الهند ، وأما أحوال سائر المسلمين في الشرق الأقصى أو في افريقية وغيرها .. فقل أن نظفر بما يجلو الصورة بوضوح .

وأما الحرب المنسية في أفغانستان بين المجاهدين المسلمين والغزاة الروس فلم نكن لنعرف عنها شيئا لولا تقرير ورد في صحيفة اسلامية غير مشهورة سنورد قبسات منه بعد قليل .

○ دوامة المبادرات

احتلت المباحثات الأردنية

الفلسطينية موقعا بارزا من اهتمام الصحافة ، ومع ذلك لم يخف عدد من المحللين السياسيين شكوكهم في نجاح أي تحرك سياسي ، ما دام العدو الاسرائيلي يستطيع أن يفرض ارادته بقوة السلاح ، دون أن تبدي الدول

العربية ارادة مماثلة لخيار عسكري ما ، يتيح للخيار السياسي استعادة بعض الحقوق المغتصبة .

تقول صحيفة «الغارديان » في مقال لها بعنوان « خريطة جديدة للشرق الأوسط » :

« الحقيقة هي أنه ليس هناك أدنى أمل في الشرق الأوسط بامكانية اقناع الحكومة الحالية في اسرائيل بمنح الفلسطينيين أي شيء أكثر من الحقوق البلدية المحدودة في مدن الضفة الغربية .

فالمفاوضات التي حدثت مؤخرا في الأردن ، والجهود الدبلوماسية العربية التي ستجد مكانا لها في واشنطن قد أجريت على أمل أن حكومة جديدة ذات آمال بالسلام ستظهر في تل أبيب أخيرا .

ورغم أن كلمة «الكونفيدرالية » ظلت تستخدم دائما لوصف العلاقة المستقبلية بين ضفتي نهر الأردن ، ففي القانون الدولي تعتبر الوحدة الداخلة في الاتحاد الكونفيدرالي دولة ذات سيادة لها الحق بصياغة سياستها الخارجية ووضع نمط دفاعاتها العسكرية .

ومن الواضح أن هذا لا يتناسب مع الخطط الأمريكية والاسرائيلية التي ترمي الى تذويب الفلسطينيين » ..

وحول الأمل الذي يتعلق به بعض العرب في تغيير حكومة العدو الاسرائيلي ، لتسهيل المباحثات ، والفوز ببعض الحقوق .. تقول «الهيرالد تريبيون » :

ومن المشكوك فيه أن يكون ما حدث (في الغزو الصهيوني الأخير للبنان) قد قلص التأييد القوي لبيغن في أوساط الاسرائيليين الذين يحبون أسلوبه المتشدد ولغته «العبرية القديمة » وتعصبه العرقي .

وتنقل صحيفة «كورييري ديلاسير » الايطالية في تحقيق لها ؛ وجهة نظر معظم اليهود في اسرائيل بعبارة موجزة لأحد اليهود يقول فيها :

« أعتقد أن بيغن يمثل اسرائيل ، وهو تعبير عن الحسم .. وعن الارادة ، القوة والايمان بالخط العادل (!) ومذابح صبرا وشاتيلا لا تغير أبدا وجهة نظري هذه ...

نحن الاسرائيليون لا علاقة لنا بهذا الموضوع . لا تنخدعوا أبدا بالمتظاهرين في تل أبيب فهم لا يمثلون الأغلبية هنا » .

أما « الايكونوميست » فتعرض تحليلا للظروف المحيطة بالمباحثات الأردنية الفلسطينية في مقال نشر في أوائل هذا الشهر جاء فيه :

لا تدوم اجراءات الوحدة بين الدول العربية طويلا ـ وقد كانت هناك عدة محاولات في الماضي ـ لأنها كانت تقوم

دائما على أسس عاطفية غامضة . ولكن المحادثات المطولة والمكثفة التي تجري في عمان منذ يوم السبت الماضي التاسع من أكتوبر والتي قد تسفر عن قيام اتحاد كونفيدرالي بين الأردن والضفة الغربية وقطاع غزة هي أكثر واقعية لأنها مبنية على أسس متينة من المخاوف المشتركة .

لقد غير الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ترتيب أولوياتهما منذ الحرب في لبنان .

فقبل الحرب كان يجب أولا تحرير الضفة وقطاع غزة من الاحتلال الاسرائيلي ، ثم يأتي بعد ذلك احتمال ربطهما مع الأردن في اتحاد كونفيدرالي . أما الآن فقد جرى ،

تحت ضغط الخشية وعامل الوقت ، بحث تفاصيل هذا الاتحاد للموافقة عليه مسبقا ، على أن ينفذ عندما تتم استعادة هذه المناطق المحتلة .

وهكذا أصبح الاتفاق الأردني الفلسطيني عامل ضغط لازالة الاحتلال . ولم يأت هذا الاجراء تنفيذا لبيان القمة العربية في فاس في الشهر الماضي ولكن الأردن شعر بالخطر يتهدده من جانب اسرائيل ، وبخاصة بعد سيل التصريحات من وزير الحرب أرييل شارون التي هدد فيها النظام الهاشمي .... والفلسطينيون شعروا بالخطر يتهددهم أيضا .. »

○ في أعقاب قمة فاس :

تعرب معظم الصحف العربية عن خيبة أمل كبيرة من التطورات التي أعقبت مؤتمر فاس الأخير على صعيد العلاقات العربية ، لا سيما ما يتعرض له الفلسطينيون من ضغوط فقد ورد في افتتاحية للرأي العام أواخر ذي الحجة بعنوان « الوفاق والحد الأدنى » :

بعد مؤتمر القمة العربي الأخير في فاس ، بدا أننا خرجنا بصيغة من التضامن العربي ...
لكن يبدو أن «العادة القديمة » غلابة ، بحيث أن مناخات الانقسام بدأت تطل من جديد ، وتبرز رؤوسها ، من شتى الأمكنة والمواقع .

والحقيقة أننا لم نعد نتعاطى تلك «الأحلام القديمة » حول الوحدة بين الدول العربية ، وما درجنا عليه في السنوات الطوال الماضية . ولا ننكر أننا صدمنا في جميع تلك الأحلام ، حتى أننا بتنا نشك في أننا لم نكن نتحدث عن

خرافات . ولذلك تحولت أحلامنا ـ حتى لهذه الدرجة ـ نحو أن يكون بين الدول العربية ولو حد أدنى من التوافق ، بحيث نحفظ وجوهنا أمام العالم ، ونمتنع عن أن نكون مضغة في أفواه الآخرين ، ومضحكة لديهم .

وعن أزمة القرار الفلسطيني كتبت «الوطن » في افتتاحيتها في ٢٦ ذي الحجة :

« إذا كنا ندعو الى ان يعطى الفلسطينيون حق تقرير المصير في مواجهة اسرائيل ، فاولى ان نعترف للفلسطينيين ايضا بحق تقرير المصير في مواجهة العرب . ولطالما نادينا باستقلال العمل الفلسطيني ورفع الوصاية من عليه ، خاصة ان التجارب العديدة اثبتت ان القيادة الفلسطينية تملك وعيا سياسيا يمكنها من مواجهة الكثير من

التحديات التي تعترض طريقها باقتدار .
ان الجهد العربي ينبغي ان يصب في اتجاه دعم الموقف الفلسطيني وليس الى تصفيته .. وكفانا نكسات وصدمات وشرذمات وتصفيات !»

○ حرب الخليج المدمرة

عبرت مجلة الرائد الصادرة في الهند عما يسببه استمرار حرب الخليج من آثار مدمرة للمسلمين ، وهم في اشد الحاجة الى دمائهم وامكاناتهم وقواهم . تقول المجلة :

لقد انتهز العدو هذه الفرصة ، فرصة انشغال البلدين بالحرب الأهلية ، واشتباكهما ، والوهن الذي اصابهما بسبب هذه الحرب الطويلة ، أن يحقق أهدافه في لبنان وأماكن أخرى .

○ المجاهدون المنسيون في افغانستان

قبل ان نعرض نبذا من تقرير عن أفغانستان نشير الى مقال نشرته « الموند » الفرنسية عن « الحرب المنسية في افغانستان » وعزت فيه صمت الغرب المريب الى عقود شراء الغاز التي تبرمها دول الغرب مع السوفيات . تقول « الموند »:

« إن الصمت والنسيان الذي يبدر من شركات التلفزيون تجاه « الحرب القذرة » التي ما زالت تدور في افغانستان يبدو غريبا وظالما .. وان كافة الحكومات الاوروبية الغربية التي تعاقدت لشراء الغاز السوفياتي في الاونة الاخيرة لم تسأل على الاطلاق عن المصدر الحقيقي لهذا الغاز الذي ستحصل عليه ، والحقيقة ان قسما كبيرا من الغاز الذي سيبيعه الاتحاد السوفياتي الى الدول الاوروبية الغربية والذي سينقل عبر سيبيريا ، مسروق من افغانستان ..».

وعن خطة السوفيات في الحرب لضرب المسلمين الافغان بالمسلمين الروس تقول الصحيفة :

ان القيادة السوفياتية العليا فهمت الخطأ الذي ارتكبته في البداية بارسالها الى الحرب في اراضي دولة مسلمة قوات سوفياتية مسلمة تم تجميعها من اوزبكستان وتركمانيا وتادجيك وقرغيزيا .

اما « الاكسبرس » فقد تحدثت عن الاسلحة الكيماوية والالغام (الدمى) التي يستخدمها السوفيات ضد المسلمين الافغان ، وذلك في مقال نشرته اواخر ذي الحجة بعنوان « دمى الموت السوفياتية » جاء فيه :

« انها الغام صغيرة فظيعة لانها اشبه ما تكون بلعب الاطفال ، فهي لا تتجاوز حجم علبة السجائر ، والسوفيات يلقونها في كل مكان فوق الجبال الافغانية وخاصة في الممرات الاساسية وعلى طول الحدود الباكستانية ..

ولهذه الالغام الوان خضراء ورمادية او صفراء تمتزج مع الاعشاب والطبيعة المحيطة بها ، واذا ما وطئها انسان فانه فسيفقد ساقه اما اذا لمسها فسيخسر يده .

ويعتبر الاطفال اول ضحايا هذه اللعب البلاستيكية التي تبدو بريئة وكذلك النساء والرجال ..

وقد لاحظ الاطباء السويسريون ان الجروح التي تسببها الالغام في بعض

الاحيان تتعفن وتصبح الاصابة شبيهة بتلك التي يتسبب فيها الفوسفور ولا تستجيب للعلاج التقليدي بالمضادات الحيوية ».

اما جريدة « الدعوة » الصادرة في « دلهي » بالهند في ١٣ ذي الحجة فقد عرضت تقريرا مطولا عن التطورات الاخيرة في عمليات الجهاد الافغاني جاء فيه :

الأمر الأساسي الذي نشاهده في الحرب التي تدور رحاها في افغانستان هو :

انها ليست حربا بين جيشين من الجيوش النظامية ، بل هي عبارة عن مقاومة شعبية اتسع نطاقها وشملت جميع انحاء البلاد . حيث اصبح كل مواطن افغاني مجاهدا في سبيل الله ..

وتقسم افغانستان الى ثلاث مناطق من وجهة المعارك القائمة فيها :

١ ـ المناطق التي تشتمل على معارك ساخنة .
٢ ـ مناطق الاشتباكات العادية
٣ ـ مناطق اللا حرب واللا سلم .

كابل ، وجلال آباد ، وغزني ، وهرات ، وقندهار ، ومزار شريف تعيش قلاقل ومعارك ولا يسودها السلم . ان جميع تلك البلدان تحيط بها ظروف خطيرة معبأة بالاشتباكات والمعارك . ولذلك فان السلطات في تلك البلدان تضطر في اغلب الاحيان الى فرض منع التجول حتى بالنهار ..

وقد حدثت خلال شهرين ماضيين معارك ساخنة جدا في سبع عشرة ولاية افغانية من بين ثمان وعشرين ولاية . كما حدثت في ست ولايات اشتباكات نعتبرها اشتباكات عادية . بينما عاشت خمس ولايات وضع اللا حرب واللا سلم ..

ان القوات الروسية استخدمت سلاحها الجوي في جميع الولايات على وجه التقريب ، والولايات التي اصيب فيها السكان باضرار جسيمة في الارواح والاموال بالغارات الجوية الروسية هي : فارياب . وغور ، وننكرهاو وقندهار ..

وعن غارات فدائيي المدن يقول التقرير :

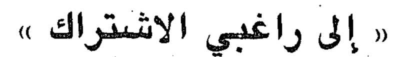
هذا عنصر جديد انضم الى حركة المقاومة الافغانية من عام ١٩٨١م .

ونطلق على هذا العنصر الجديد مصطلح (فدائيو المدن) ان هؤلاء الفدائيين ـ على العكس من المجاهدين الذين يشتغلون في القرى والضواحي ـ يشنون الغارات على المدن بصورة عصابات تتكون حينا من نفرين واحيانا من ثلاثة او اربعة انفار .

وان اكثر من ضرب اعصاب ادارة كابل وقوات الاحتلال الروسي هو هذا العنصر الفدائي الجديد . ان فدائيي المدن ينفذون عمليات الاغارة بكل نجاح على كل من كابل العاصمة ، ومدينة غزني ومدينة هرات ومدينة قندهار .

وعن الوضع السياسي يذكر التقرير :

ان ادارة كابل تعاني صراعا عنيفا بين حزب برجم وحزب خلق . ولا تزال ادارة كارمل تستنفد جهودها لانهاء هذا الصراع بين الحزبين الشيوعيين . كما ان ادارة كارمل بايعاز من روسيا تخطط الآن لاثارة سوء التفاهم بين المهاجرين الافغان وبين المواطنين الباكستانيين .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ــ سابرس ــ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

